آخر حوار مع :
الشيخ صالح عشماوي

الأمة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الرابع والأربعون - السنة الرابعة - شعبان ١٤٠٤هـ - أيار (مايو) ١٩٨٤م

التبشير النصراني في غربي افريقيا

■ جامع عمر بن الخطاب ـ الدوحة ■

126659517

● التبشير النصراني في غربي أفريقيا .... بابكر حسن محمد قدرماري ٤٦
● موسوعة عالمية للسنة النبوية .... صالح سليمان ٥٠
● مكتبة الأمة ٥٢
● ليس فارساً .. بل قاطع طريق .... الدكتور محمد رجب البيومي ٥٤
● ندوة عن الاقتصاد الإسلامي .... عيسى الجراجرة ٥٨
● (الأسرة المسلمة) :
أبغض البقاع إلى الله .... إعداد : أم حسان الحلو ٦٢
● الراحلون (قصيدة) .... محمود مفلح ٦٤
● تصريحات وأقوال ٦٥
● (من عجائب المخلوقات) : الصحراء : هجرة الحيوان والطيور ....
● (العلم والحياة) ٧٠
● مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ٧٢
● الشاهد المتألق .... الدكتور عماد الدين خليل ٧٦
● نتائج استطلاع الرأي ٧٧
● بريد الأمة ٨١
● بأقلام القراء ٨٤
● الأسس الأيديولوجية للاقتصاد الإسلامي .... ترجمة عبد الرحمن يس المبارك ٨٥
● شؤون المسلمين في العالم ٨٦
● مع الصحافة في العالم ٩٢
● مسابقة العدد الرابع والأربعين ،
وحل مسابقة العدد الثاني والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطر وأفكار) :
ملامح التغريب في المجتمع الإسلامي .... مامون فريز جرّار ٩٦

مالك بن نبي : منعطف في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث

■ مالك بن نبي رحمه الله واحد من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة ، إلى الآن لم يأخذ حقه الكامل من الدراسة والتحليل ، اللهم إلا ما قدمه الأخ الباحث المفكر جودت سعيد جزاه الله خيراً ، ونستطيع القول : إن منهج مالك بن نبي أشبه ما يكون بحاسة لم يحسن العمل الإسلامي الاستفادة منها بالقدر الكافي حتى الآن ، فقد أمضى في أوروبا أكثر من ثلاثين عاماً متأملاً ، يحلل ويستقرىء ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي ، وهو المهندس الذي تخرج في كبريات المعاهد العلمية في باريس .... (ص : ٢٨) ■

في إسبانيا : بشائر التوجه الإسلامي المعاصر

■ بعد وفاة الجنرال فرانكو بدأت قبضة الكنيسة الكاثوليكية بالتراخي ، الأمر الذي أتاح قدراً لا بأس به من الحرية الدينية للمسلمين وغيرهم من أتباع الديانات والمذاهب النصرانية الأخرى ، والذي تأكد بدستور عام ١٩٧٩م الذي نص على الحرية الدينية ، كما أدى إلى بروز حركات تدعو إلى الاستقلال الذاتي للفئات التي تكوّن الشعب الاسباني .

وقد يجد الأندلسيون فرصتهم في العودة إلى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، إلى جذورهم الأولى .... (ص : ٣٦) ■

مسجد عمر بن الخطاب في الدوحة

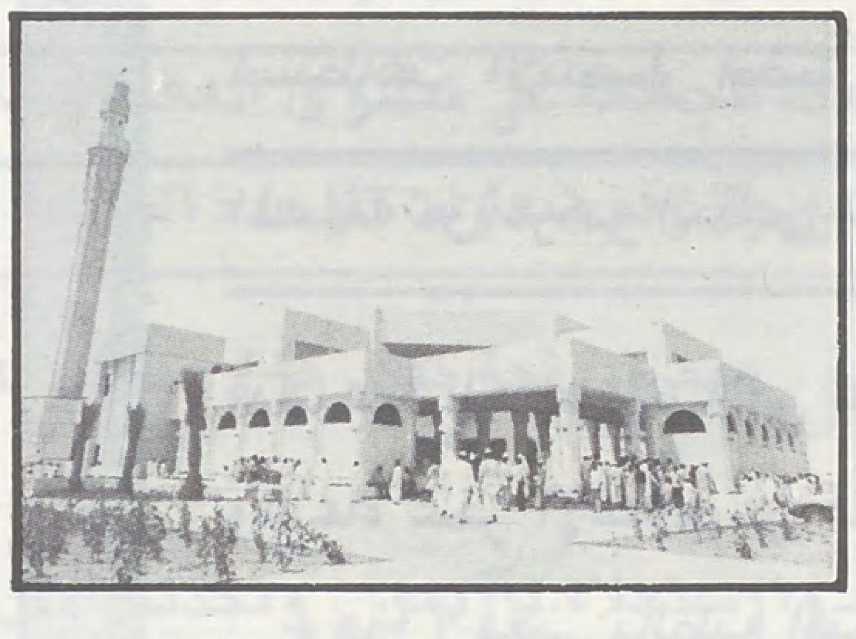

■ بدأ العمل بإنشائه في شعبان ١٤٠١هـ . روعي في تصميمه : الجمع بين الطابع الإسلامي والعناصر المعمارية الحديثة الممزوجة بالتفاصيل والزخارف المنتقاة من البيئة ، وأن يكون مسجداً ومركزاً ثقافياً إسلامياً ..

يتكون من طابقين : أرضي وعلوي بمساحة (٤٣١٤) متراً مربعاً ، يتسع لأربعة آلاف مصل . كما يتسع القسم الخاص بالنساء لسبعمائة مصلية ، وقد ألحقت به مكتبة عامة تحتوي على ألف وستمائة مجلد في التفسير والحديث والفقه ومختلف فروع الفكر والثقافة الاسلامية ، إلى جانب كتب خاصة للأطفال ، وعدد من الدوريات والمجلات الإسلامية ، وكتب إسلامية باللغات الانكليزية والفرنسية والأوردية والماليبارية ... كما الحق به أيضاً سكن للموظفين ومواقف للسيارات .... (ص : ٧٢) ■

الإخراج الفني مجدي نجيب

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٠ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
«	□ مكتبة دار العلوم	ص . ب ٢٧٠١ الشارقة
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « «	الظهران
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٢٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ ـ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43\44 GLARGES STREET LONDON W1Y7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN DEUTSCHLAND E.V.	MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY

تأملات في مسيرة العمل الإسلامي

حتى نكون

□□ هذه مجموعة ملاحظات أو تأملات في مسيرة العمل الإسلامي ووسائل الدعوة إلى الله لا ندعي لها العصمة من الخطأ كما لا ندعي لها الكمال، وإنما هي وجهة نظر نعتقد لها الصواب كما أنها تحتمل الخطأ، حسبنا في ذلك النية الحسنة التي نعتصم بها ومسؤولية المناصحة التي نستشعرها، ونرجو إن فاتنا الحصول على أجري المصيب فلا أقل من الحصول على أجر المخطىء، وذلك مساهمة منا في إغناء الرؤية لتصويب مسار العمل الإسلامي وتحري الحكمة في الدعوة إلى سبيل الله ومحاولة الانتقال بمواقع العاملين والدعاة من عقلية التبرير إلى منهج دراسة أسباب التقصير، ذلك أننا نعتقد أننا المسؤولون عن هزائمنا وتخلفنا وعجزنا مهما حاول بعضنا الإلقاء بالتبعة على الآخرين، استجابة لخطاب التكليف وتحديد المسؤولية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ فليس العيب الوقوع في الخطأ فكل ابن آدم خطاء، وإنما العيب في الإصرار عليه وعدم الاعتبار به وتكراره ومجانبة الخيرية والوصول إلى توبة الفكر والسلوك - وخير الخطائين التوابون - والذي نرجوه أن لا تعتبر أية جهة أنها المقصودة فيحول ذلك دون الاستفادة والإفادة. ذلك أن هذه الملاحظات لا تنتمي إلى أية جماعة أو جهة وإنما تنتمي إلى الإسلام بكل شموله ورحابته وتجيء من موقع الشعور بمسؤولية النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.
ولسوف نتابع في هذه الملاحظات ما أمكننا ذلك والله نسأل أن يلهمنا الإخلاص في العمل والسداد في الرأي وهو حسبنا □□

□□ نستطيع أن نقول: إن الدعوة الإسلامية الحديثة استطاعت وإلى حد بعيد الانتصار في المعركة الأساسية، وهي تحقيق الذات الإسلامية، وتحديد معالم الشخصية الإسلامية وبيان مقوماتها وطرحها على الساحة من جديد، والتحقق بالتميز الإسلامي على مستوى التصور، وإن كان هذا التميز لا يزال بأشد الحاجة إلى الترشيد، ولعل صور الصراع المحتدم بين الإسلام وخصومه، وشراسة المواجهة مؤشر واضح على تحقق الوجود الإسلامي على الساحة، سواء نُظر لذلك من خلال المؤمنين به المضحين في سبيله، أو من خلال الخصوم واشتدادهم بالمواجهة ... كما أن الدعوة الإسلامية الحديثة استطاعت الانتصار أيضاً في معركة التحدي الحضاري، والصراع الفكري، وتخليص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الأوروبية الغازية المتفوقة مادياً، وتجاوز المشكلات التي قُذف بها العالم الإسلامي ليكون ذلك وسيلة ومدخلاً لاسترداد الحلول الاستعمارية لعالم المسلمين وادعاء عجز الإسلام عن المواجهة وتنظيم أمور الحياة ...

وهذا لا يعني بالطبع التخلص النهائي من بعض الشراذم والأعشاب الضارة التي ما تزال تعيش في الحقل الإسلامي، وتمارس عملية النفاق الاجتماعي لإخفاء حقيقتها وتعمل لمصلحة غير المسلمين، لأن الشر من لوازم الخير، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (الفرقان: ٣١) كما استطاعت الدعوة الإسلامية الحديثة الاحتفاظ بشعور المسلمين بوحدة العالم العربي والإسلامي وإقناعهم بأن ذلك دين لا يجوز التفريط فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٩٢) فالأمم أقوى من الحكومات، والمبادىء أبقى من السياسات رغم واقع التجزئة الذي جاء به الاستعمار الحديث ليثأر لهزيمة الحروب الصليبية بعد أن أجمع على تقطيع أوصال دولة الخلافة، وأمعن في تفتيت وتذويب العالم العربي، قلب الأمة الإسلامية ودماغها، وفرض واقع التجزئة وأقام الكيانات الإقليمية والدويلات مستخدماً كل النزعات القبلية والعشائرية والعائلية والجنسية والقومية، وبعث كل الفوارق من مرقدها لتكون حواجز في وجه الأمة الواحدة على شكل لم يحدث له مثيل في العالم حتى بعد الاقتسام الاستعماري لتركة الرجل المريض!! ذلك أن التمزيق لم يأت بحسب نوع الاستعمار، وإنما مزقت البلاد العربية والإسلامية شر ممزق، وقُطِّعت إرباً إرباً رغم أن العلم الاستعماري كان واحداً، فالبلاد العربية التي كانت تابعة للاستعمار البريطاني وواقعة تحت انتدابه، كالعراق وفلسطين والأردن، جعل لكل منها كيانها الخاص، وفي مناطق أخرى من العالم العربي كانت واقعة تحت الحماية البريطانية حيث بلغت التجزئة وعدد الدويلات صورة لا يقبلها العقل ... كما قسم الاستعمار الفرنسي سورية ولبنان، وجعل المغرب العربي مغارب، ورسم الحدود وضمن حراستها، وأقام السدود والحواجز حتى بات العربي المسلم اليوم قادراً على التحرك في معظم أنحاء العالم إلا في وطنه العربي ... وكذلك حاول الاستعمار إيجاد البدائل الفكرية والسياسية والتربوية على الأرض الإسلامية على شكل لم يحدث ما يشبهه في مختلف مناطق الاستعمار في العالم، ونبش القبور وقرأ الحجارة والصخور في محاولة يائسة لتثبيت الكيانات ودعم الدويلات باسم: الفن الشعبي والفلكلور، وغير

على مستوى المسئولية

ذلك كثير من المصطلحات ...

لذلك نقول : إن الدعــوة الإسلامية الحديثة خاضت معارك متعددة الجوانب ، وكانت المواجهة مكلفة خلال نصف قرن من الزمان ؛ إنه قدر هذه الأمة في هذه المرحلة من الحياة ، كما أنها قدمت تضحيات وخاضت معارك ضد الظلم والاضطهاد والاستعمار والاستعباد أعادت للذاكرة صور الجهاد الأولى ، ودقت ناقوس الخطر اليهودي والتبعية الثقافية بشكل مبكر ، ومبكر جداً ، فلعلنا ندفع اليوم ثمن الانسلاخ عن الإسلام ، وضريبته من التفرقة والتخلف ...

نعود إلى القــول : إن الدعوة الإسلامية الحديثة ، رغم كل محاولات التفتيت ، استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين بوحدة العالم الإسلامي ، وعملت على تنمية هذا الشعور ، وبدأت بإقامة بعض المؤسسات الجامعة على مستوى العالم الإسلامي ، وعقد المؤتمرات الشعبية التي تعاظم أمرها إلى درجة اضطر معها الرسميون في عالم المسلمين إلى رفع شعارات الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، بعد أن كاد بعث الكيانات الإقليمية يعصف بها ، ويهدد تاريخ الأمــة ، ويمزق رقعة تفكيرها ، ويقضي على وحدتها الشعورية الجامعة ...

كما أنها استطاعت أن تعيد الجماهير المسلمة إلى الاعتزاز بالإسلام ، والاستعلاء بالإيمان ، وتجديد الأمل بقدرة هذا الدين على مواجهة المشكلات المعاصرة بما له من تاريخ وتجربة حضارية ، ولقد ساعد على ذلك عوامل كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، لعل من أهمها : سقوط الحضارة الغربية الأوروبية وعجزها عن الإجابة عن مشكلات الإنسان وإخفاق خريجي المدارس الاستعمارية وتلامذتها ، الذين مكن لهم الاستعمار ، من تحقيق أي أمل أو تقديم أي عمل للجماهير المسلمة ، وأن ما طرح من شعارات وبدائل فكرية لم تخرج في الحقيقة عن أن تكون أقنعة اختبأت خلفها الطائفيات والإقليميات التي تحمل الكيد التاريخي للإسلام ، أو وسائل للابتزاز السياسي وممارسة سلخ الجماهير عن إسلامها ، أو الأمرين معاً ؛ رغم المحاولات المستميتة لجعل الهزائم انتصارات ، وتقديم فلسفة المبررات ، فقد تكرس الانفصـــال وبوركت التجزئة ، وقامت المعارك بين العرب والمسلمين ...

ولعل من الإنجازات الكبيرة على المستوى الفكري استطاعة الدعوة الإسلامية حل المعادلة الصعبة التي توهمتها الجماهير المسلمة بين العلم والدين حتى كادت تسقط في فرية أن العلم من لوازم الإلحاد ، ذلك أن البعثات التي تمت تحت رقابة الاستعمار ، أو ضمن مناخه اختيرت غالباً من المارقين والمترفين ، ومن البيوتات المفتونة بالحضارة الغربية المادية إلا من رحم الله ، ليعودوا إلى قيادة المجتمع ويبرهنوا عملياً أنهم إنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الحصول على الشهادات والمراتب العلمية بسبب انفصالهم عن الدين ... فقدمت الدعوة الإسلامية نماذج إسلامية رفيعة على أرقى ما يكون الانتماء والالتزام ، وجاءت في الوقت نفسه على أرقى المستويات في التخصص العلمي ...

ولسنا الآن بسبيل أن نعرض لحصاد الدعوة الإسلامية خلال نصف قرن من تفويت لأغراض الاستعمار وإفساد لمخططاته ، وحسبنا في ذلك الهجوم الشرس ومحاولات التصفية الجسدية التي توقع على المسلمين من أعداء الإسلام بعد أن سقطوا فكرياً وحضارياً ووطنياً ، ولم يبق أمامهم إلا اللجوء إلى القوة والعضــلات ، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم في مواجهة النبوة الذي قصَّــه علينا الله تعالى في عديد من آياته :

﴿ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ (الأنبياء : ٦٨) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (إبراهيم : ١٣) .

إن الدعوة الإسلاميـــة استطاعت أن تقدم هذا الرصيد ، رغم عمليات المطاردة والمحاصرة وعدم إعطائها الفرصة والحرية لإثبات وجودها والبرهنة على قدرة الإسلام على حل مشكلات الأمـة ... وقد أشرنا بأنه لا يعنينا هنا أن نعرض لحصاد الدعوة الإسلامية خلال نصف قرن إنما الذي يعنينا ما يمكن أن نهتدي إليه من عيوب ـ رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي ـ يأتي التنبه إليها مسدداً للعمل وآخذاً

حتى نكون

بيده إلى سبيل الرشاد ، وتكاد تكون المشكلة المطروحة الآن على العاملين للإسلام ، وعلى القيادات الإسلامية بشكل خاص ، أو القضية المطلوبة الآن بعد أن آمنت الجماهير بالإسلام وتوجهت صوب مبادئه من جديد ، بعد أن آمنت به مبادىء عامة ومثلاً رفيعة وقيماً ثابتة ، وبدأت رحلة العودة وتجديد الانتماء ، فهل يعني هذا أن العمل الإسلامي أدى مهمته ؟

إن الخطورة كل الخطورة تكمن في عملية التوقف عند حدود هذه الخطوة ، خطوة الاكتفاء بالإيمان بالإسلام مبادىء ومثلاً ، ومن ثم الاسترخاء وخداع النفس بالأماني والاستسلام لنوم عميق ، وعدم القدرة على تجاوز هذه الخطوة إلى مرحلة ترجمة المبادىء إلى برامج ،

أو بعبارة أخرى : الانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة المبادىء إلى مرحلة البرامج ، الانتقال من مرحلة الخطب وزعامة المنابر إلى مرحلة الخطط ودراسة الاحتمالات ووضع الحسابات الدقيقة لكل حركة ، أي : وضع الخطط المرحلية على ضوء رؤية شاملة للظروف المحيطة والإمكانات المتاحة ، وإعطاء الزمن الكافي لإنضاج كل مرحلة وعدم استعجال الثمرة ، ولا يتحقق هذا إلا بالإدراك الكامل لمفهوم الوسع في التكليف القرآني ﴿ ... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ (البقرة : ٢٨٦) حيث لا يجوز أن نكلف أنفسنا بما لم يكلفنا الله به ، فنقع في إحباطات وارتكاسات تعيق نمو العمل وتقوده إلى المهالك وتقتل الأمل في نفوس الجماهير المسلمة ... لا بد من الالتزام بمصلحة وحركة هذه الجماهير التي آمنت بمبادىء الإسلام ، والاعتراف بأنها مرحلة الاختبار الصعب ، ذلك أن المبادىء أثبتت مصداقيتها تاريخياً ، وكان دورنا تجديد ذاكرة المسلمين تجاهها ، لكن يبقى اختبارنا الصعب هو ترجمة هذه المبادىء إلى برامج ، والآراء إلى مواقف وهو الوجه الآخر للقضية ، وفي اعتقادنا أن من المشكلات المهمة التي يعاني منها العمل الإسلامي اليوم : مشكلة وجود الرأي وفقدان الموقف ، فالكثير الكثير من دعاة الإسلام اليوم يتمتعون بآراء على غاية الأهمية والسداد ، لكنها الآراء التي تفتقد إلى المواقف الضرورية لمسيرة العمل الإسلامي ، فهل نوبخ آراءنا بمواقفنا ؟! ذلك أن العجز عن الالتزام بمصلحة الجماهير المسلمة وحسن قيادة حركتها وفق المبادىء الإسلامية يخشى أن يذهب بحصيلتنا كلها ...

إن التوقف عند مرحلة الآراء والمبادىء وتركها معلقة على المنابر ، أو حبيسة الكتب دون تنزيلها إلى واقع المسلمين يحمل من الخطورة الكثير إلى درجة قد نساهم معها بإجهاض هذه المبادىء وحرقها على أيدينا إذا عجزنا عن تمثلها ، وبذلك لا نختلف عن غيرنا في نظام حياتنا ووسائل كسبنا وطرق إنفاقنا ...

إن العجز عن ترجمة المبادىء والآراء إلى برامج ومواقف ، وعدم القدرة على ربط الأسباب بالنتائج ، وعدم القدرة أيضاً على دراسة الاحتمالات وغياب الحسابات الدقيقة والأمينة هو أزمة العمل الإسلامي اليوم أو أزمة القيادات الإسلامية بشكل عام ، ذلك أن عدم القدرة على ترجمة المبادىء والآراء إلى برامج ومواقف وربط الأسباب بالنتائج ودراسة الاحتمالات والحسابات الدقيقة يعني من وجه آخر الحكم على هذه المبادىء أنها أقرب في طبيعتها إلى المثالية البعيدة عن متناول البشر ، والخيالية الفلسفية التي قد ترضي العقل وتذكي العاطفة لكنها لا ترشد السلوك وتنظم الحياة ، وبذلك يدخل علينا أعداء الإسلام من النافذة من جديد بعد أن طردناهم من الباب بحجة أن الإسلام مثالي لا يمكن تطبيقه في مجتمعات اليوم ، وأنه كان يصلح لفترة معينة ولجيل بذاته ، أما الآن فأين هذا من واقع الأمــة الذي يقتضي مبادىء من نوع آخر تمتلك القابلية للتطبيق ... ومن هنا ندرك أهمية تربية الجيل الأول وكيف أن الصحابي كان لا يتعلم الآية ما لم يعمل بالتي سبقتها ...

قد يكون صحيحاً إلى حد بعيد أن الهجمة الشرسة واستمرارية المدافعة وتعدد آفاقها فَوَّتَ الكثير من الفرص التي كان بالإمكان الإفادة منها في مجال ترجمة المبادىء إلى برامج ، لكن يبقى الإلقاء بالتبعة كلها على غيرنا يعني في جملة ما يعني أننا دون سويَّة المعركة ، ودون سوية التعامل معها ، وذلك بعدم القدرة على امتلاك زمام المبادهة فيها واستنفاد الجهد كله بالمواقع الدفاعية والتحرك في إطار الفكر الدفاعي ...

ومع اعترافنا بأنه لا بد من الاستمرار في الدفاع عن المواقع الإسلامية المهددة ، والاستمرار في تحرير الأفكار الإسلامية المستهدفة لاستمرار الهجوم ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ... ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

على مستوى المسئولية

لكن هل المفروض على عالم المسلمين أن تبقى المعركة دائرة على أرضهم ، ويستمر الإسلام في معركة الدفاع عن النفس إلى ما لا نهاية ، وكلما رددنا تهمة ودحرنا شبهة ألقى إلينا أعداء الإسلام بأخرى لنتوجه صوبها دون إمهال ، أم أن « استراتيجية » المعركة بين الإسلام وخصومه تقضي بنقلها إلى أرض العدو ، فيكون خير وسيلة للدفاع الهجوم ، ونقل الإسلام من موضع الاتهام إلى موقع التحدي للمبادىء والأفكار التي عجزت عن حل قضية الإنسان ؟!

إن الدفاع عن النفس المسلمة وصيانتها إنما هو في حقيقته وسيلة لتكون قادرة على عطاء معين من نوع آخر ...

إلى جانب أهمية التحديد الدقيق لمعركة الدفاع ومساحتها ووسائلها ، الأمر الذي لا يجوز له أن يستغرق جهدنا ويستنفد طاقاتنا ، فإن المواقف الدفاعية والاستمرار في مواقع الفكر الدفاعي لا تعني تقدماً ولا بصارة بالأمور ، ولا شمولية في الرؤية ، وإنما تعني مراوحة في المكان الواحد ولو بذل كل الجهد ، وتعني عجزاً في تقدير الأمور ودراسة نتائجها ، إنها تعني انفعالاً ولا تعني فعلاً ، تعني إثارة ولا تعني ثورة تغييرية للواقع غير الإسلامي ، قد تعني شدة بالصُرعة لكنها لا تعني أبداً ضبط النفس عند الغضب ، ومن ثم حسن التصرف واختيار الموقع الفاعل ، وعدم استنزاف الطاقة والقدرة على التحكم ...

إن الاستمرار في حالة الدفاع يجعل الزمام في يد أعداء الإسلام والمسلمين ، ويبقي التحكم بالمعركة في صالحهم زماناً ومكاناً ومضموناً ، فيكون الاستنزاف ، ويكون الإنهاك ، ويتحقق الاستهلاك ، وقد يتقن العدو اللعبة فيحسن إثارة المشكلات في الوقت المناسب ويتحكم بمسار المسلمين الفكري والكتابي ... وقد يلجئهم إلى مواقع يضطرون معها إلى بعض الممارسات التي هي محل نظر ابتداء من الناحية الشرعية تحت شعار : الضرورات تبيح المحظورات ؛ وبذلك نقع في أزمة الفكر المنكوس ألا وهو : الاحتكام إلى النتائج والالتزام بها دون القدرة على مناقشة المقدمات التي أدت إليها ، أو نبصر المقدمات الخاطئة بعد أن نسقط في النتائج حيث لا يفيد الندم والبكاء على الأطلال ...

فإلى متى نفتقد زمام المبادرة في الطرح ، ونستمر في معالجة رد ومواجهة ما يطرح على ساحتنا ، ونعجز عن الطرح ؟! وإلى أي مدى يجب أن تبلغ المعركة الدفاعية التي كثيراً ما تكون خطة ذكية تصرفنا عن معالجة قضايانا الأصلية فنبقى نراوح في مكاننا ، خاصة عندما ينحصر جهدنا في استرداد المعارك القديمة والدخول فيها بعد أن استنفدت جهدنا ولا تزال ، وقد يكون ما قدم إليها فيه الكفاية ، كقضية العامية والمرأة وتحديد النسل والحجاب والسفور ... وقد أشبعها أسلافنا بحثاً ودرساً ، ورُدَّت على أعقابها ؟!

إن المعركة التي دارت بين طه حسين والرافعي ما تزال مستمرة إلى اليوم ، وما يزال كثيرون منا يعانون من عقدة طه حسين !! ، والمفروض أن تكون قد انتهت ولم يبق منها إلا القيمة التاريخية ... وبذلك نكون قد ساهمنا شئنا أم أبينا ، ومن حيث ندري أو لا ندري بصقل خصومنا ، وعملقة أعدائنا وتكبيرهم لكثرة ما عاودنا مناقشة أفكارهم وتجديدها ، الأمر الذي بناها وصلَّبها ، وكأننا ما زلنا نحس بالغلبة في داخلنا ، وكثيراً ما تواطأ أعداء الإسلام في الخفاء على اصطناع وإثارة قضايا ومشكلات ، وطرح مؤلفات انتهى الرأي فيها تاريخياً ، وهم لا يزالون يبعثونها من مرقدها ليصرفوا جهد العاملين للإسلام إليها ، وتكون فرصة لهم لتوظيف هذا الجهد لإنهاك عدوهم الذي يعارضون ؛ وكثيراً ما اصطنعت المعارضات السياسية غير الإسلامية قضايا في المعاهد والمدارس والجامعات في العالم الإسلامي لإثارة دعاة الإسلام ، ومن ثم توظيف رفضهم وإدانتهم لأغراض سياسية ينهكون بها عدوهم ، أو يثيرونهم باتجاه قضية جزئية ليمرروا ما يشاؤون من أمور كبرى تتعلق بأمن البلاد وحياة العباد ، وقد تتطور الأمور أكثر فأكثر لتصبح الدماء الإسلامية محلاً لتصفية الحسابات الدولية ... إن الكثير من الحسابات غير الإسلامية تصفى اليوم في عالم المسلمين على حساب الدماء المسلمة ،

فهل نعيد النظر في حساباتنا ودراسة معاركنا وجدواها ، ونضع استراتيجية صحيحة لمعركتنا ، وننتقل من معركة تحقيق الذات إلى مرحلة تفتيش الذات وتقويم الذات ، قال تعالى :

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة : ١٤ ـ ١٥) □□

■■ الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .. وبعد .

فإننا نعني « بالدين » ابتداء دين الله تعالى الذي هو الإسلام في كل العصـــور .

ونعني بـ « الضرورة » ذلك العنصر الأساس الحتمي الذي لا غنى عنه للشيء ، كالماء للزرع ، والروح للجسد الحي .

ونعني بـ « الحضارات » كل نمط صنعه الإنسان لحياته على الأرض ، والذي تختلف فيه الأمم بالدرجة لا بالنوع .

فهل تستطيع حضارة صحيحة أن تقوم بمعزل عن الدين ؟ وهل تستطيع الاستمرار والبقاء حين تخرج عن حقائقه ، وتتحدى قيمه وقوانينه ؟ ولنبدأ القضية من أولها : ■■

الدين ضرورة للحضارات

أوهـــام الإنســـان . . .

زعموا أن « أشعب » الطفيلي الطماع اتبعه الصبيان يصيحون به فقال لهم كاذباً : كيف تتركون وليمة بني فلان في شرقي بغداد وتتجمعون حولي ؟!

فانطلق الصبيان يركضون نحو الوليمة المزعومة ، وبعد لحظات صدَّق كذبته فانطلق يركض هو أيضاً حتى لا تفوته مطايب الوليمة !!

وهذه مأساة الإنسان في كل مكان وزمان

يصنع الأوهام والأكاذيب ثم يصدِّقها ، ويجعلها كأنها حقائق مقدسة .

كهنـــة الحضـــارة المعاصـــرة . . .

ومن هذا النوع ما دأب على ترويجه الملحدون من كهنة الحضارة المادية ، حين زعموا أن الدين طور متخلف من أطوار الحياة الإنسانية ، وقد أدى دوره في العصور الماضية ، ولم يعد صالحاً لحياة الإنسان الحضارية في تقدمها الهائل ، وفنونها المتشعبة ، وكلما تقدم الإنسان حضارياً ـ في زعمهم ـ استغنى عن الدين بضوابط العقل ، وفنون العلم ، ووسائل الثقافة والفكر ، وحراسة المجتمع والدولة ... إلخ .

وهذه مزاعم موغلة في السذاجة والخطأ جميعاً تلك التي لا تتصور رسالات الله تعالى إلّا لفقراء البشر ، وأهل البداوة من الأمم ، والضعفاء المتخلفين من الناس !!

حقـــائق القـــرآن . . .

ولذلك جاء القرآن العظيم بجملة وافية من الحقائق حول هذه القضية الكبرى التي ضلت فيها العقول والفلسفات ، وتخبطت الأفكار والنظريات !

ومن إعجاز القرآن الذي يتبدى للناس في هذا الزمان أنه استفاض في مناقشة هذه القضية ، وفصل فيها القول ، وساق على حقائقه الحجج والبراهين ، وأبطل ما يهرف به أدعياء المعرفة والفكر ، بل عكس عليهم دعواهم حين بين ضرورة الدين للحياة الإنسانية في أي طور كانت ، ومهما كان نصيب الإنسان من التقدم الحضاري ، أو التخلف المادي ، بل يقرر القرآن العظيم أمراً على غاية الأهمية هو : اطراد الحاجة إلى الدين كلما اتسعت حضارة الإنسان ، لأن الحاجة إليه ـ حينئذ ـ أوجب وألزم ، والناس إليه أفقر وأحوج ، لما تشيعه المظاهر الحضارية من خلل واضطراب في علاقات الناس لكثرة تداخل المصالح ، وتصادم المنافع ، وقدرة الناس على التفنن في الاحتيال ، واصطناع الوسائل والأساليب !

فالدين روح الحضارة ، وضرورتها اللازمة التي تسير معها طرداً لا عكساً على ما نبينه فيما يلي :

أولاً ـ التدين فطـــرة وشـــرعة . . .

وهذه أولى حقائق القرآن العظيم التي يقررها للناس ، فهو العلة الغائية للخلق جميعاً : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ (آل عمران : ٨٣) .

وللمكلفين خـاصـة : ﴿ وَمَـا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

وهذه الفطرة نظمت في منهاج واضح هو شريعة الله تعالى لعباده ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) .

ويجمع القرآن العظيم جانبي الدين (**الفطرة والشرعة**) في آية فذّة ، ذات

بقلم : د. عبد الستار فتح الله سعيد

دلالات باهرة هي قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ٣٠) .

فلدينا أمـــران متكامـــلان :

١ ـ **الفطـــرة** : أي أصل الخلقة التي خلق الله الناس عليها ، وطبعهم بطابعها .

٢ ـ **الشـــريعة** : أي ذلك المنهاج الكامل القيم على تنظيم الحياة كلها .

ولا يكفي واحد منهما لإسعاد الإنسان ، وقيادته في طريق سوي سليم ، ومن هنا شقي الناس حين فرقوا بينهما ، أو أنكروا أحدهما ، أو صادموا حقائقهما .

فالطبع (**الفطرة**) غريزة داخلية لا بد لها من دليل عملي يترجمها في واقع الحياة ، ويكون مظهر تحقيقها ، وقائد خطاها على حدود معلومة مأمونة الشطط والانحراف .

والشرع (**الدين القيم**) لا يكفي وحده إذا لم يكن موائماً للفطرة الداخلية في هذا الكائن الذي يتعامل معه ، حتى لا يتصادم مع تركيبه النفسي ، والروحي ، والمادي ، والفكري ... إلخ .

ومن تمام الإحكام في هذا التوافق بين « **الطبع والشرع** » خروجهما من مشكاة واحدة ، وقد صنعهما الذي أحاط بكل شيء علماً ، ومن هنا كان الدين الإلهي منقطع النظير لا يتصادم فيه الأمران ولا يتنافران ، بل يتكاملان ويتوافقان ، بخلاف مناهج البشر جميعاً فإنها خبط في مجاهل لا علم للإنسان بها مهما تقدم حضارياً ، ولذلك ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ٣٠) .

ومن هنا أيضاً : شقي الناس شقاء مراً حين تدينوا على غير طريق الوحي الإلهي ، كالرهبانية النصرانية ، وذلك لأنهم نبُّوا جانب الفطرة بغير خط صحيح ، قائم على علم وحكمة .

وشقي الناس شقاء أمر من ذلك حين رفضوا الدين جملة ، وأنكروا الفطرة ذاتها ، فوقعوا في عبادة الحزب ، أو الفرد ، أو الشهوات ، لأن الفطرة لا يمكن فسخها ولا نسخها كما قال تعالى : ﴿ ... لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ... ﴾ ، وهذه حقيقة قرآنية لا تزال تتحدى المنكرين الجاهلين ، ومن لم يعبد الله الواحد القهار ، انكبّ يعبد أي شيء حتى الأحجار والأبقار ... غاية الأمر أنه هوى من علياء العبادة إلى أسقط أنواعها ، تماماً كما قال القرآن العظيم : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج : ٣١) .

ثانيـاً ـ الدين سابق على الحضـارات . . .

فإن الله تعالى لم يترك الإنسان هملاً بلا دين قط ، وإنما جعل الدين القيم لازمة وجوده في كل مراحل حياته ، حتى قبل أن تكون له مجتمعات ، أو تقوم له حضارة ، ثم بعد انتشاره وامتداده في فجاج الأرض من باب أولى .

ومن تقريرات القرآن العظيم في ذلك بإيجاز :

١ ـ أن الإنسان حين خُلق في الملأ الأعلى ، وأسكن الجنة زوّده الله تعالى بشريعة واضحة العقيدة ، محدِّدة الحظر والإباحة (بالقدر المناسب لحياته حينئذ) .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١) وعلى رأسها بداهة أسماء الله تعالى ، وصفاته العلا .

وحين أسكنه الجنة قال له : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٣٥) فهذه إباحة للسكن ، والزوجة ، والأكل ، وحظر لنوع معين من الشجر .

٢ ـ وحين أخطأ آدم وأكل من الشجرة ، وأهبط إلى الأرض زوّده الله تعالى بمنهاج الهدى منذ درج على هذه البسيطة الجديدة ، وكان بالقدر المناسب لحياته حينئذ في حظره وإباحته :

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ... ﴾ (طه : ١٢٣ ـ ١٢٤) وهذا تحديد عجيب لوضع الدين من أول الطريق الإنساني على الأرض ، وهو بمثابة قانون إلهي صارم يحكم مسار الحياة الإنسانية جميعاً ، فإذا سارت على دين الله صلح حالها ، وإذا تمرّدت عليه تخبطت وماج بعضها في بعض مهما أوتيت من فنون العلم ، ومظاهر المادة ، والجاهليات المعاصرة أبلغ شاهد على ذلك حيث تندلع فيها الجرائم ، وأمراض العصاب والجنون ، والانتحار الفردي والجماعي رغم وفرة المباهج المادية !!

٣ ـ ويقرر **القرآن العظيم** أن الإنسان حينما درج على الأرض كان مكتمل الدين والاعتقاد ، رغم أنه كان بدائياً من الناحية المادية ، جديداً على الأرض لا حضارة له ولا صناعة ، ولا خبرة ولا تجارب في شؤون الحياة ومظاهرها ، التي تعلمها بالتجربة ، والتدريب ، والاكتساب .

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة : ٢٧ ـ ٣١) .

فالقصة هنا عن « **ابني آدم** » أي من فجر التاريخ البشري الأول ، وهي « **بالحق** » وليست أسطورة مما راج في تاريخ البشر بلا أصل ولا حقيقة ، وهي تتحدث عن شريعة كاملة كان عليها الإنسان حينئذ :

(العبـــادة : كالقربان ، **العقيـــدة** : يتقبل الله ، أخاف الله رب العالمين ، النار ... إلخ)

(**الأخـــلاق** : ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ... إلخ) .

ومتى كان ذلك كلـــه ؟

حين كان الإنسان متخلفاً ـ حضارياً ـ عن معرفة الدفن لجثة ميتة ، حتى تعلّم ذلك من غراب يعيش على فطرة الطير بلا حضارة ولا مدنية !

والآية الكريمة تستعمل في هذا المقام لفظاً غاية في البيان وهولفظ « **العجز** » الذي يدل على غاية القصور ، وانقطاع القدرة ﴿ ... قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ... ﴾ ؟!

٤ ـ فإذا امتدت البشرية وتشعبت ، وصارت أمماً وشعوباً وقبائل ، ودولاً وحضارات

> **■ كلما أمعن الإنسان في سلم الحضارة وتعقدت حياته ومشكلاته ، وتشابكت مصالحه وتصادمت مع مصالح الآخرين كانت حاجته إلى الدين ألزم وآكد .. ■**

الدين ضرورة للحضارات

ومماك .. لم يدعها ربها لأهوائها ونزواتها وإنما جعل لها ديناً ثابتاً يبعث به رسله ، وينزل به كتبه ، وهذا ما قرره القرآن في آيات كثيرة منها هذه الآية الجامعة ، التي ضمت أعلام الأنبياء ، وأولي العزم منهم على امتداد التاريخ البشري كله من بدء النبوة إلى ختامها ، قال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ... ﴾ **(الشورى : ١٣)** فلم يترك الله تعالى الفطرة لتعمل وحدها قط ، وإنما جعل لها دائماً دليلها العملي وخطها الواضح المستقيم الذي سماه (الإسلام) في كل العصور كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ **(آل عمران : ١٩)** ، مع ملاحظة أن هذا الاسلام الواحد لا يختلف في حرف واحد من العقائد والأخلاق ، ويتحد تماماً في أصول العبادات والمعاملات .

ولا يقع فيه إلا تفاوت جزئي يسير في صور العبادات والمعاملات ، جرياً على سنة الله تعالى في مناسبة صور الأحكام لمقتضيات الزمان والمكان (كما حدث مع آدم في الجنة ، ثم في الأرض ، ثم حرّم زواج الأخت بعد انتشار البشر ، ثم امتدت دائرة الحلال والحرام حسب حاجة الإنسان ، وتنوع علاقاته ، وتعدد حاجاته ، وامتداد حضاراته وثقافاته التي تحتاج دائماً إلى المزيد من الضوابط الهادية ، والتعاليم الحكيمة ، والأحكام الوقائية والعلاجية لمشكلاته ...) وهكذا .

ومن هنا جاءت شريعة الله الخاتمة **(أي الصورة الختامية لدين الله الإسلام)** جاءت على أوفى ضروب الحكمة والتمام ، والتأصيل والتفصيل ، والشمول والكمال حتى وصفها الله تعالى أعظم وصف وأبلغه فقال : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً** ﴾ **(المائدة : ٣)** .

فهو دين كامل ، ونعمة إلهية تامة ، وقد رضيه رب العزة ليكون ديناً للناس إلى يوم القيامة ، بعد أن ختم الأنبياء بـ « **محمد** » ﷺ ، لكنه مدّ صوت النبوة بعده محفوظاً ، مصوناً ، معجزاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لتكون حجته سبحانه وتعالى باقية دائمة على البشر ، ومن هنا تضمن **القرآن العظيم** هذه الحقائق التي ذكرناها والتي تتبدى لنا في جلالها وإعجازها كلما طفح الفكر البشري بالأباطيل والأضاليل ، ولنعلم عن يقين صدق القرآن حين يقول الله لنبيه الكريم : ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً** ﴾ **(الفرقان : ٣٣)** .

ثالثاً ــ الرسل يحملون الدين لأهل الحضارات

وهذه الحقيقة الثالثة من حقائق القرآن العظيم ـ وما أكثر حقائقه ـ ، ولذلك نجده يفصل قصص الأنبياء عليهم السلام ، ويطلعنا على مظاهر الحضارة الباذخة التي واجهوها ، وما دار بينهم وبين أممهم في هذا الباب ، مما يحمل الجواب على كثير من الأباطيل التي روجها الملحدون من كهنة الحضارة المعاصرة ، والتي يعيد بها التاريخ نفسه وإن اختلفت الأساليب .

فالقرآن العظيم يقرر ـ ابتداء ـ أن الرسالة الإلهية وجهت إلى الأمم جميعاً حتى تسقط دعاوى القائلين بتعارض الدين والحضارة .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ **(فاطر : ٢٤)**

﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ **(النحل : ٣٦)** .

والقرآن العظيم يبين لنا ـ ثانياً ـ أن الرسل عليهم السلام قوبلوا بهذه المزاعم الباطلة عن الدين والحضارة من قديم ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ **(غافر : ٨٣)**

﴿ **وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** ... ﴾ **(غافر : ٥)** ومن خلال التذكير بانتظام العقوبة الإلهية على المكذبين نجد حضارات باذخة تطويها يد القهر الإلهي حين تمردت : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ **(الفجر : ٦ـ١٤)** .

أجل ، كانت حضارات باذخة ، تتوثب نشاطاً في البر والبحر ، ولكنها فجرت في الأرض ، واستكبرت بغير الحق ، وملأت الدنيا عناداً وفساداً فلم تعد صالحة للبقاء الصحيح ، أو الاستمرار الصالح عدلاً وحقاً من الله العليم الخبير : ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ **(الروم : ٩)** .

ولذلك يفصّل لنا **القرآن العظيم** ـ ثالثاً ـ صوراً وانماطاً من هذه الحضارات ، ومبلغها من الرقي المادي الذي لم يغن عن رسالات الله شيئاً ، بل كان من موجباتها ومبرراتها ، رحمة من الله بعباده ، وضرورة لاستنقاذ الناس من جبروت « **الحضارات** » التي قننت الظلم ، ونظمت البغي ، واستكبرت على كل حق ، وفسقت عن أمر ربها : « **فطرة وشرعة** » ! وبطرت معيشتها ، وكفرت بأنعم الله رب العالمين !!

رابعاً ــ نماذج من هذه الحضارات ...

تحدث القرآن العظيم طويلاً في عرض نماذج من هذه الحضارات التي اشتدت وامتدت ، واستعلت وسادت ، ثم انحرفت وغوت فبعث لها الرسل الأكرمين هداة مصلحين ، ومبشرين ومنذرين ، وكم طوى القرآن ذكر أمم وحضارات كما قال تعالى ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً . وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً** ﴾ **(الفرقان : ٣٨ ، ٣٩)** وكم طوى من قصص الرسل مع اممهم كما قال تعالى : ﴿ **مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ **(غافر : ٧٨)** ، ولنأخذ هنا نماذج بلغ القرآن ذروة **الإعجاز** في تصوير حضارتها ومنها :

أولاً ــ حضــارة العمالقة الجبَّارين :

وهؤلاء هم (**عاد**) قوم هود عليه السلام ، وكانت مساكنهم بالأحقاف في جنوبي الجزيرة العربية ، وقد جعلهم الله تعالى خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادهم بسطة في الأجسام والأرزاق ، وكارثة الطوفان قبلهم لا تزال تقرع مسامع الأرض عامة ، ومسامعهم هم خاصة لقرب الديار ، وقرب الزمان نسبياً ، ولكن الحضارة الإنسانية لا بد أن تتخبط وتضطرب إذا تفلتت من ضوابط الشريعة الإلهية الهادية .

ولنستمع إلى القرآن يقول على لسان هود عليه السلام يخاطب قومه : ﴿ **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ **(الشعراء : ١٢٨ـ١٣٤)** ، **والريع** : المكان المرتفع من الأرض كانوا يقيمون فيها أبنية شامخة للعبث واللهو . **والمصانع** : القصور والحصون الضخمة الفخمة . **والبطش** : السطوة والأخذ بالعنف والقوة .

وهذه مظاهر مشتركة ومتكررة في عامة الحضارات حين يعتصر مترفوها دماء اممهم وشعوبهم المستضعفة ، فيتكدس لديهم فائض مالي رهيب لا يجدون ـ مع الأسف ـ وسيلة لإنفاقه إلّا في هذا السفه الجنوني : باقامة التماثيل ، والانصاب ، والأهرامات ، والمسلات ، والأبنية الشاهقة ، وقصور اللهو والعبث ... وغير ذلك مما يصنع للتفاخر ، او لتخليد الذكرى ، او لتصريف

■ شقي الناس شقاء مراً حين رفضوا الدين جملة ، وأنكروا الفطرة فوقعوا في عبادة الحزب ، أو الفرد ، أو الشهوات .. ■

الأموال المعتصرة بالعسف والجبروت كما هو داب هذه المجتمعات ذات المعايير الفارغة !!

فهل أغنت القوة المادية والبدنية ، أو الوفرة والغنى عن رسالات الله عز وجل ؟ وهل استغنت هذه القوى بمظاهر حضارتها عن كوابح الوحي ، وضوابط الشرع ؟!

الحق أن هذا الانحراف الحضاري المروع كان من موجبات الإسراع بالرسالة إليهم ، ضرورة ردّ الناس إلى عبادة ربهم وخالقهم ، ولاستنقاذهم من تفاهة الأهداف ، وعبث الأقوال والأفعال ، وضروب الجور والطغيان وحتى يشتغلوا بمعالي الأمور التي خلق من أجلها ذلك الكائن المكرم ، المستخلف في أرض الله ، ليعمرها بالحق والخير ، والرحمة والإحسان .

ثانيـاً ـ حضـارة نحاتي الجبـال ...

وهم (الثمـامدة) قوم صالح عليه السلام ، وكانوا في الجانب الآخر من الجزيرة العربية ، ولا تزال آثارهم شاهدة على حضارتهم التي سجل القرآن العظيم كثيراً من مظاهرها فيقول على لسان نبيهم عليه السلام : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأرضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ **(الأعراف: ٧٤)** .

ويقول الله عز وجل في ذلك أيضاً : ﴿ **أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَا هُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأرضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** ﴾ **(الشعراء: ١٤٦-١٥٢)** .

وما هي الحضارة إذن إذا لم تكن هذه الأمور ؟

الأمن والجنات ، والعيون والزروع ، والنخيل والثمار ، ونحت الجبال بيوتاً أشراً وبطراً واستعلاء في الأرض ، واتخاذ القصور في السهول ، ولقد جاءهم الرسول الكريم لينقذهم من عبث حضارتهم ، ومن أمراضها القاتلة ، وليعيدهم عبيداً لله وحده يعمرون القلوب قبل القصور ، ويستعمرون الأرض بالحق والعدل .. لا على جثث المستضعفين والمغلوبين !!

ثالثاً ـ الحضـارة الفرعونيـة ...

وهي إحدى الحضارات القديمة العريقة ، والتي قامت على أساس دولة وحكومة منظمة ، لا على أساس قبلي محدود .

وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض ما سجله القرآن عنها ، قال تعالى : ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ **(الزخرف: ٥١)** .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَـهِ مُوسَى ...** ﴾ **(غافر: ٣٦،٣٧)** .

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَى ...** ﴾ **(القصص: ٣٨)** .

إن هذه القدرة الحضارية من الملك والأنهار ، والقوة على البناء وتشييد الصروح كانت هي التي أضلت فرعون ، وجعلته يستعلي في الأرض بغير الحق ، ويجعل أهلها شيعاً ، ويذبح أبناء بني إسرائيل ، حتى بلغ به الاستخفاف بكليم الله موسى عليه السلام أن يقول عنه : ﴿ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** ﴾ **(الزخرف: ٥٢،٥٣)** .

ولما اندحر الطغيان الفرعوني الجبار خلّف وراءه حضارة باذخة ، وكنوزاً رابية لم تغن عنه شيئاً حين انحرف عن أمر الله عز وجل : ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ** ﴾ **(الدخان: ٢٥-٢٩)** .

الحضـــــارة المؤمنـــة ...

ولا يفوتنا أن نشير إلى نماذج من حضارات قامت في ظل الإيمان ، واشار إليها القرآن الكريم ومنها :

أولاً : حضارة سليمان عليه السلام الذي سُخر له الجن والإنس والطير ، وسُخرت له الريح عاصفة تجري بأمره ، وعُلم منطق الطير ، وأُسيلت له عين النحاس الذائب يشكل منها الصناعات ، وتعمل له الجن ﴿ .. **مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**[1] ... ﴾ .

وهذه حضارة شاهقة لا تلحق ، ومع ذلك كان سليمان عليه السلام في غاية الإخبات والإنابة لرب العالمين حتى قال فيه ربه ﴿ **نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّـهُ أَوَّابٌ** ﴾ ، ولقد بلغ به الأمر في سماع الحق والرجوع إليه أن قال له هدهد ضعيف ﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ** ﴾ ، فهدى الله بسليمان وهدهده أمة إلى الإسلام والتوحيد ، كما هو مفصل في سورة النمل .

ثانياً : حضارة ذي القرنين الذي قال الله تعالى فيه ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ...** ﴾ **(الكهف: ٨٤)** .

وهو الذي اقام الردم الهائل بطريقة صناعية فذة : ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً** ﴾[2] .

أي إنه سدّ بين الجبلين بسد من حديد أوقدت عليه النار ، وأفرغ عليه النحاس المذاب حتى صار أقوى من حجارة الجبلين حوله .

ومع هذا التمكن ، والقوة ، والحضارة نجده مسلماً مخبتاً لله رب العالمين ، كما قال القرآن على لسانه ﴿ **مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ** ﴾ ، ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ...** ﴾ .

وهكذا يقرر **القرآن العظيم** ضرورة الدين للإنسان في بداوته وحضارته على سواء ، وهو أحوج إليه دائماً كلما أمعن في سلم الحضارة ، وتعقدت حياته ومشكلاته ، وتشابكت مصالحه ، وتصادمت مع مصالح الآخرين .

أحـــوج الحضـــارات إلى الدين ...

ولعلنا بذلك ندرك أن الحضارة المعاصرة هي أحوج الحضارات البشرية جميعاً إلى دين الله عز وجل ، حاجة تتفق مع سبقها العلمي والصناعي والمادي ، وإلا فستدمر نفسها لا محالة بأدوات حضارتها الباذخة ، ومن خلال صراعها الحيواني الأسود بعدما تمردت على دين الله فطرة ومنهاجاً .

لكن من يدلهم على الدين الصحيح ؟ ومن يقود خطاهم إليه ؟

إن البشرية اليوم حائرة تلتمس الطريق ...! ولدى المسلمين ـ وحدهم ـ قارورة الدواء من وحي السماء .. ويالها من مهمة جليلة ، ومسؤولية جسيمة ﴿ **وَإِنَّـهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ **(الزخرف: ٤٤)** .

هـــوامش :

(١) تحدث القرآن عن هذا كثيراً ، وقد وردت هذه الأمور بالذات في سورة سبأ : ١٠ ـ ١٤ ، والمحاريب : القصـور ، والجفان : القصاع الضخمة ، والجـواب : الأحواض ، والقدور الراسيات أي الثابتة في مكانها لضخامتها .

(٢) راجع القصة كلها في سورة الكهف : ٨٣ ـ ٩٨ ، زبر الحديد : قطعـه . الصدفين : جانبي الجبلين . القطـر : النحاس المذاب .

حديقة الأمة

من نور كتاب الله

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

(البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦)

وصيّة أم ...

روى الأصمعي عن أبان بن تغلب قال : مررت بامرأة وبين يديها ابن لها يريد سفراً ، وهي توصيه قائلة :

اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، وقليل اجدائها عليك أنفع من كثير عقلك :

إيَّاك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة ، فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم ، ومثل لنفسك مثالاً فما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما كرهته منه فدعه واجتنبه ؛ ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها . . . إذا هززت فهز كريماً ، فإن الكريم يهتز لهزتك ، وإيَّاك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، وإيَّاك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جواداً وبدينك شحيحاً . . . ومن أعطي السخاء والحلم فقد استجاد الحلة : ربطتها وسربالها ، انهض على اسم الله . . .

[البيان والتبيين]

تعميم الانحراف !!

إن الثورة على مادية الحضارة الحديثة ليست بالشيء الجديد ، فقد حمل لواءها سلسلة طويلة من أعلام الفكر والأدب في كل جيل من أجيال هذه الحضارة . . . ثورة على تسخير النشاط الإنساني كله ، أوجلّه ، في تحقيق مغانم مادية ، وقصر السعي على توفير أسباب الراحة والمتعة والاستكثار من أدوات الزينة والترف ، والتضحية في ذلك بالقيم الفنية ، وأخطر من ذلك بالقيم الخلقية ، وإذا كانت الحضارات القديمة قد سمحت بمثل هذا الانحراف لفئة محدودة ، فإن الحضارة الصناعية بما أوجدت من رخاء ، وبما استحدثت من أسباب الترف ووسائل الإغراء بالترف قد جعلت الانحراف ميسراً أمام الفرد العادي . . .

(د . محمد الموافي : مقدمة « كل شيء في الحديقة »)

عليك من العلم بما ينفعك ..

حدَّث شيخ من عبس ، قال : صحبت سليمان ، فأردت أن أعينه وأتعلم منه ، وأن أخدمه ؛ قال : فجعلت لا أعمل شيئاً إلا عمل مثله . . قال : فانتهينا إلى دجلة ، وقد مدَّت وهي تطفح ، فقلنا : لو سقينا دوابنا ؛ قال : فسقيناها ، ثم بدا لي أن أشرب ، فشربت ، فلما رفعت رأسي ، قال : يا أخا بني عبس ، عد فاشرب . قال : فعدت فشربت ، وما أريده إلا كراهية أن أعصيه ؛ ثم قال لي : كم تراك نقصتها ؟ قال : قلت يرحمك الله ، وما عسى أن ينقصها شربي ؟ قال : وكذلك العلم تأخذه ولا تنقصه شيئاً ، فعليك من العلم بما ينفعك . . .

[كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة]

يكمل بعضهم بعضاً ...

قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح :

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقضاهم علي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم (أعلمهم بالمواريث) زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي (ابن كعب) ، ولكل أمة أمين .. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة . . . » .

علماء بالمرصاد ...

. . . ولما لم يمكن لأحد أن يُدخل في القرآن شيئاً ليس منه ، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون ، ويبدلون ، ويضعون عليه ما لم يقل ، فأنشأ الله عز وجل علماء يذبون عن النقل ، ويوضحون الصحيح ، ويفضحون القبيح ، وما يخلي الله عز وجل منهم عصراً من العصور . . .

[ابن الجوزي ـ الموضوعات]

من جوامع كلمه ﷺ

- المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور .
- أي داء أدوىٰ من البخل ؟!
- رب مبلغ أوعىٰ من سامع .
- مطل الغني ظلم .
- إن لِأهل النعمة حساداً فاحذروهم .

كل الصيـد في جـوف الفرا !

قصـــة

مثـــل :

يضرب لمن يفضل على أقرانه ... وهو قديم تمثل به رسول الله ﷺ حين استأذنه أبو سفيان ، فأخر إذنه ، فلما دخل عليه ، قال :

ما كدت تأذن لي حتى أذنت لحجارة الجلهمتين قبلي ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنك وذلك يا أبا سفيان كما قال القائل ، أو كما قال الأول : كُلُّ الصَّيْدِ في جوف الفرا » أي : إنك في الرجال كالفرأ في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ؛ قال له ذلك يتألفه على الإسلام ... (الأمثال لأبي عبيد ، تحقيق قطامش)

﴿ أَلْهَـاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

إذا بلغ التأنق في الأحوال المنزلية الغاية ، تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا في دنياها ... أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها ، وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها .

(ابن خلدون ـ المقدمة)

أشـــــرف المجـــالس

قال محمد بن كعب القرظي :

دخلت على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أُحِدُّ النظر إليه ، فقال لي : يا ابن كعب ، مالك تحد النظر إليَّ ؟ قلت : لما نحل من جسمك ، وتغير من لونك .

قال : فكيف لو رأيتني بعد ثالثة في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتي ، وابتدر فمي وأنفي صديداً ودوداً ، كنت والله أشد نكرة علي ... أعد عليَّ حديثاً كنت حدَّثتنيه عن عبدالله بن عباس .

قلت : سمعت عبد الله بن عباس يقول : كان رسول الله ﷺ يقول :

« إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ،
ومن أحب أن يكون أعز الناس ، فليتق الله ،
ومن أحب أن يكون أقوىٰ الناس ، فليتوكل على الله ،
ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه ... »

[البيـان والتبيين]

تعليق الجواب على شرط لم يلزم أن يكون مستقبلاً ..

قال تعالى عن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ ، وهو ماضي المعنى قطعاً ، لأن المسيح عليه الصلاة والسلام إما أن يكون صدر هذا الكلام منه بعد رفعه إلى السماء ، أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة ... وعلى التقديرين ، فإنما تعلق الشرط وجزاؤه بالماضي ، وغلط على الله من قال : إن هذا القول وقع منه في الدنيا قبل رفعه ، والتقدير : إن أكن أقول هذا فإنك تعلمه . وهذا تحريف للآية ، لأن هذا الجواب إنما صدر منه بعد سؤال الله له عن ذلك ، والله لم يسأله وهو بين أظهر قومه ، ولا اتخذوه وأمه إلٰهين إلا بعد رفعه بمئين من السنين ، فلا يجوز تحريف كلام الله انتصاراً لقاعدة نحوية ، هدم مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآية ...

[ابن القيم ـ بدائع الفوائد]

علماء المسلمين والتَّاريخ

... وأول من نظَّم نقد الروايات التاريخية ، ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامي ، فإنهم اضطروا إلى الاعتناء بأقوال النبي ﷺ وأفعاله لفهم القرآن ... فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها ، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا ...

[أسد رستم ـ مصطلح التاريخ]

الكلمة

بين الاستمرارية والنفاذ

بقلم : حسن فضل المولى دفع الله

١ ــ الإعلام .. علم وفن :

إن المسلم مدعو في كل زمان ومكان وبإلحاح شديد إلى عدم التفريط في أي مظهر من مظاهر القوة ، والإعلام هو فن استخدام قوة الأفكار بالوسائل الإعلامية المختلفة لخدمة أهداف العقيدة الإسلامية .. **وللدكتور حمد المرزوقي** ، الأستاذ بجامعة الرياض ، وقفة هنا إذ يرى أن الإعلام علم وفن ، علم من حيث كونه تصوراً نظرياً متماسكاً ، يعتمد على منهج دقيق في صياغة فروضه واختيارها ، ثم متابعة نتائجه وتقويمها ، وهو فن من حيث أداة العرض والقدرة على غزو المشاعر والعقول ، ومن ثم فلا بد من وضع خطة متكاملة تستوعب المتغيرات والتداخلات القائمة في الساحة التي يتوجه إليها إعلامنا ، وبالتالي التمييز بين أهداف العمليات المختلفة من كسب وتحييد وتشويه ..

وفي هذا المجال نحتاج إلى إرساء قواعد للأبحاث الميدانية والنظرية ، ولدراسات متعمقة في أنفع السبل للتوصيل والتأثير والإقناع ، لنقلع عن المحاكاة والانقياد لنظريات وأفكار قوم لا يؤمنون ..

وقد أحسنت الندوة العالمية للشباب الإسلامي وهي تفرد لقاءها الثالث للإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، النظرية والتطبيق ، والذي أمَّه لفيف من المفكرين والعلماء أبرزوا من الآراء والنظريات ما جعلنا نستبشر بمستقبل مشرق للإعلام الإسلامي ..

وسيكون المستقبل أكثر ثراءً لو تواصل العطاء في هذا الجانب وبأساليب أكثر تنوعاً ..

٢ ــ ترقية سبل المتابعة والاختزان :

ولما كان محور العمل الإعلامي هو الأخبار والمعلومات والأفكار التي تتعلق بشتى نواحي الحياة ، فإنه يتوجب علينا أن نستحدث من الوسائل ما يجعلنا أكثر قدرة على رصد ومتابعة كل ما له تأثير على حياتنا ، من قريب أو بعيد ، سلباً كان ذلك أم إيجاباً ، وأن نختزن ذلك بصورة تجعل من المعلومات دانية القطوف ، سهلة التناول عند الحاجة .

وهنا يمكن أن نستفيد من خدمات التوثيق والبث الانتقائي ؛ بهدف توفير المعلومات المطلوبة لأغراض محددة في الوقت المناسب ..

ولا خيار أمامنا سوى الاستحواذ على هذه الوسائل ، وتسخيرها بصورة جادة وقاصدة ، وهذا قمين به أن يُقعِّد لنا أرضية راسخة ، نعالج من خلالها القضايا بنفاذ وبصيرة ، لأن من لا دراية له بمجريات الأحداث ، ومن لم يستبطن الوقائع ويستجليها ، فإن مرئياته وتحليلاته ومعالجاته ستأتي فجة وقاصرة ، وهذا ما نلحظه ؛ **إذ أن جل ما نبثه عبر وسائلنا المتاحة لا يتعدى دائرة الخواطر التي يلدها الانفعال العابر مما يؤدي بدوره إلى تاثير باهت وموقوت .**

٣ ــ توجيه الاهتمام نحو قضايا المجتمع :

والعمليات الإعلامية ينبغي أن لا توغل في الاهتمام الخارجي على حساب قضايا المجتمع ، فهي قبل ذلك أشبه ما تكون بالجهاز العصبي في جسم المجتمع ، وذلك لما تنهض به في مختلف ميادين التنوير والإخبار والثقافة والإرشاد ، والتعليم والتربية والإصلاح الاجتماعي . وهذا ما تعرض له **الدكتور عبد اللطيف حمزة** وهو يقول :

« **يمكن التاكيد بأن الإعلام الداخلي يجب أن يكون سابقاً على الإعلام الخارجي ، بل إن الإعلام الخارجي إنما هو انعكاس لا بد منه للإعلام الداخلي ، ومن ثم كان من الأخطاء التي ترتكبها بعض الدول في وقتنا هذا أن تسلك في الإعلام خطة عكسية فلا تصيب هدفاً إعلامياً ذا بال** » .

ولتكن الأولوية لتحقيق التقارب والالتحام بين أفراد المجتمع المسلم ، عقيدياً وفكرياً ، وروحياً ، وسياسياً ، وذلك من خلال إزالة أسباب التباعد والخصومة والشقاق ، والتأكيد على المفاهيم التي تلتقي عندها وجهات النظر ، وطرح كل ما من شأنه أن يبعث على الاختلاف والمناظرة . وبذلك سننسبغ على مفهوم « **الأمة**

■ الإعلام الهادف إلى نشر عقيدة الوحدانية ، والملتزم بالأوامر والنواهي الموصولة بها لا يمكن أن ينادي بنصف الحقيقة ..

المسلمة » مدلولاته الحقيقية وأبعاده المرجوة ..

٤ ـ ضرورة اتساع دائرة الممارسة :

ونحن إذ نتهيأ لممارسة نافذة يجب أن لا نعوِّل كثيراً على المؤسسات والأطر المفتعلة ، وإنما هي ممارسة ينبغي أن تتواصل وتتسع دوائرها بصورة مستمرة ، وعلى المستويات كلها ، وأن تصبح جزءاً من اهتماماتنا اليومية ، وأن نتيح لكل مسلم مجالاً للإبداع والابتكار والإسهام على أي صورة من الصور ، ومهما كان الجهد ضئيلاً .

وهذا النهج هو الذي اختطه دعاة الصهيونية ؛ مما جعل إسرائيل مستغنية عن وزارة الإعلام كما هو الشأن في بقية دول العالم ، وفي الوقت ذاته فإن الإعلام الصهيوني يأخذ بخناق العالم بأسره ، ويصبغ كثيراً من مظاهر حياتنا في العالم الإسلامي بما له من امتداد في ذواتنا ..

٥ ـ التأكيد على مبدأ الترشيد والانتقاء :

والدعوة إلى اتساع دائرة الممارسة لا يعني عدم الالتفات إلى إيجاد فئة توظف قدراتها وجهودها من أجل الإنجاز في هذا الحقل .

ولكي يتسنى لنا « **الإسراع في ترشيد الطاقات الإسلامية** » وهو من الأهداف التي من أجلها ولدت مجلة « **الأمة** » كصوت متميز ، وغيرها من المنابر ، فإن السعي نحو الإتقان يدعونا إلى ممارسة قدر من الانتقاء واختيار ذوي المواهب والمهارة في مجال الإعلام ، مع المضي وباستمرار في تبني وتأهيل العناصر القادرة على العطاء والإبداع .

وما ذلك إلا لأن الإعلام الناجح يتطلب من القائمين عليه صفات خاصة ، أورد بعضاً منها **الدكتور محمد الهواري** ، الأستاذ بجامعة دمشق ، ومن أهمها : **الذكاء ، والخيال الواسع ، وموضوعية التفكير ، وتحمل المسؤولية ، والتفاني في العمل ، وامتلاك القدرة على التعبير ، ومعرفة الطريقة التي يفكر ويشعر بها الآخرون** .

وإن نحن فعلنا ذلك ، نستطيع أن ننتفع بمزايا كل وسيلة ، وبالتالي نوجه العملية الإعلامية في مسارها النافع ، مع تحقيق أكبر قدر من التحكم والانضباط والموضوعية فيما يصدر عبر وسائلنا من أقوال ..

٦ ـ الكلمة .. إيمان وموقف :

وفي سبيل استقطاب العناصر ذات الاستعداد والمهارة يجب أن لا نغفل عن مسلمة بدهية ، وهي عدم التفريط في المبادىء ، من التزام صارم وسلوك قويم ، وذلك إحقاقاً للتلازم الضروري بين القوة والأمانة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص : ٢٦) .

والأمانة تقتضي من القائمين على منابر الكلمة عندنا ؛ سواء أكانت مسموعة أو مقروءة أو مرئية ، تقتضي الإيمان بأن الكلمة قضية وموقف عقيدي ، وغير الملتزم أخلاقياً أو أدبياً بالقضية التي يؤمن بها وتشكل هاجسه الوحيد ، فإنه لا يمكن أن يحقق نجاحاً إعلامياً .

والمسلم الحق وهو يؤدي واجبه الإعلامي يظل أبداً حبيس إحساس أكيد ؛ بأن الكلمة مسؤولية وأمانة ، وكل ما يقوله يجب أن يصدر عن إيمان واقتناع ويصدقه العمل ، وهذا ما قصد إليه **سيد قطب رحمه الله** بقوله :

« **إن الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق** » .

٧ ـ ليس بعد الحقيقة إلَّا الخداع :

والإحساس بأن الكلمة مسؤولية وأمانة يقودنا إلى الصدق مع النفس والآخرين ، وتوخي الحقيقة هو هاجس المسلم الملازم ،

وعلى حد قول الأستاذ رمضان لاوند :

« فإن الإعلام الهادف إلى نشر عقيدة الوحدانية ، والملتزم بالأوامر والنواهي الموصولة بها ، لا يمكن أن ينادي بنصف الحقيقة ، ولا يوافق على إجراء أي تسوية بقصد الحصول على تأييد مشروط » .

وهذا قمين به أن يهيء لمسيرتنا الإعلامية مسلكاً نظيفاً قوامه التجرد والتثبت وعدم الميل مع الهوى ، نستشعر خلاله أبعاد التوجيه الإلهي في قوله تعالى :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٨) .

وكل زلة تسوق إلى الانحراف يعصمنا منها قوله ﷺ لمعاذ بن جبل : « **وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلَّا حصائد ألسنتهم** » .

وليس بعد قول الحقيقة إلا الخداع . والخداع علاوة على أنه مصادم لأصل تعاليم الدين ، فإنه في الوقت ذاته لا يأتي بمردود وإن بدا لبعضهم ذلك . وكما يقولون :

« فبمقدورك أن تخدع بعض الناس كل الوقت ، وقد تخدع كل الناس بعض الوقت ، ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت » ..

٨ ـ الأسلوب توأم المضمون :

بقي بعد ذلك أن نقف عند الأسلوب ، والذي هو توأم المضمون .

ولن يتأتى للأسلوب أن يأخذ بمجامع القلوب إن لم يتذرع بالوضوح والبساطة والجاذبية .

والإعلامي الناجح هو الذي يسكن الكلمات ليصيِّرها سهلة الهضم ، تنبض بالحياة والحركة ، تخاطب الأذن لتسمع ، والوجدان ليتأثر ، والعقل ليتدبر .

ولقد كان **الرسول** ﷺ أعلم الناس بمداخل النفوس ، فكان خطابه للناس غاية في الإبانة والرصانة والوضوح ، وهذا ما ضمنته **السيدة عائشة رضي الله عنها** قولها :

■ كيسنجر ... لا يزال يتكلم الانكليزية بلكنة ألمانية .. ■

« **كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه** » .

وفي اللغة العربية سعة وغناء .

وهنا نعرض لمسألة في غاية الأهمية ، وهي التأكيد على الأسلوب الإعلامي ، الذي يأخذ أمر اللغة العربية بقوة لا رخاوة فيها ولا تميع ، وذلك بحسبانها لغة وحي وعبادة .

ومن خلال وسائل الإعلام يستمد الإنسان اليوم ثقافته ولغته ، وهذه الوسائل هي التي ارتبط بها مصير اللغة فبإمكانها أن تحفظها غضة طرية ، أو تذهب بها تحت تأثير الاستعمالات الخاطئة : من تبسيط مخل أو سوقية مبتذلة ..

هذا ما لزم التنويه إليه ، وإن كنا نلحظ في الآونة الأخيرة شعوراً متنامياً ، « **يحرص على تنقية المادة الإعلامية ، التي تقدم من خلال وسائل الإعلام جميعها ، عن كل ما ينال اللغة العربية الفصحى أو ينفر منها أو يقلل من أهميتها** » .

ويتأتى ذلك بتوجيه الكتَّاب ومقدمي البرامج والمذيعين إلى وجوب التزام قواعد الفصحى كتابة ونطقاً ..

هذا المبدأ أكدت عليه وثيقة السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية وهي تفرد له المادة السابعة عشرة .

ولعل صنيع الآخرين تجاه لغاتهم يستفزنا بإيراد موقف نحن أحق به وأولى ، فقد أوردت « **القبس** » الكويتية في أحد أعدادها : **أن شركات التلفزيون الأمريكية المعروفة باسم « أى . بي . سي » حالت يوماً ما بين كيسنجر والظهور على الشاشة لقراءة تعليقاته باللغة الانجليزية ، لأنه سيواجه صعوبات كثيرة في نطق الانجليزية على نحو سليم وصحيح ، ولذلك ارتأت أن يقوم أحد المعلقين نيابة عنه بتلاوة التعليق ؛ لأن كيسنجر لا يزال يتكلم الانجليزية بلكنة ألمانية** ..

أخلص إلى القول :

لقد أوتينا بسطة من المال ، ووفرة في العقول ، وخصوبة في اللغة ، فما أحوجنا إلى تسخير هذه المكتسبات في سبيل التمكين للكلمة ، تلك الكلمة التي تمكِّن بدورها لموازين الحق في النفوس .. ولنتخذ من القرآن الكريم هادياً ومرشداً .

قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ (**الأحزاب** : ٧٠) .

ولا يكون القول سديداً إلا باستيفاء جملة شروط ، ولعل فيما ذكرته بعضاً منها ...

وإني لأطمع أن يكون فيما سقته خطوة على الطريق الصحيح ، باتجاه مستقبل نوجد لنا فيه مكاناً علياً في هذا العصر .. الذي هو عصر « **الكلمة** » بلا منازع .

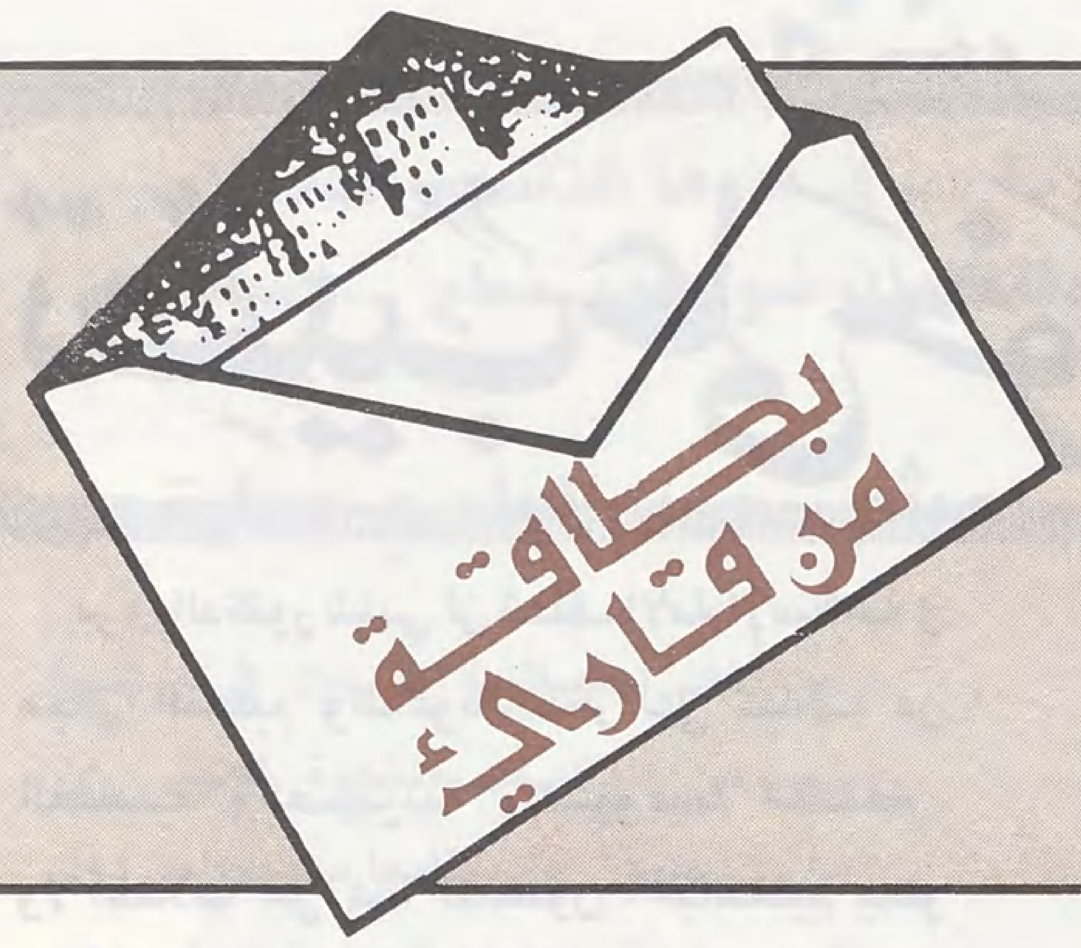

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

لاءات إسرائيلية ... ولاءات عربية !!

□□ أشار المتحدث الرسمي باسم الحكومة الإسرائيلية إلى أن إسرائيل لا تزال تحكمها اللاءات الأربع المعروفة :

لا للتفاوض مع عرفات .

لا لانسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل ١٩٦٧م .

لا لإقامة دولة فلسطينية .

لا لتقسيم القدس .

فما هو مصير لاءات الخرطوم العربية الثلاث ؟ □□

(الاتحاد الظبيانية)

القارىء : محمد الحامدي ـ البحرين

الإعلان العالمي لحقوق الحيوان !!

□□ رابطة حقوق الحيوان .. هيئة معترف بها رسمياً في فرنسا ، احتفلت مؤخراً بالذكرى الخامسة للإعلان العالمي لحقوق الحيوان الذي أعلن عام ١٩٧٨م بقاعة منظمة اليونسكو بباريس .

وقد تضمن الإعلان « أن جميع الحيوانات لها حق في الحياة والعيش والمساواة ضمن إطار التوازن الطبيعي ، دون أن يتميز الإنسان بتنظيم كل ما يتعلق بالكون لأنه ليس وحده في هذا الكون .. ولا يقوم التوازن إلا إذا كان على أساس الحقوق بين الإنسان والحيوان .. □□

(مرآة الجامعة)

القارىء : صابر حسان أبو طالب ـ الأردن

عقدة ذنب ..

في حديث لمجلة « المجلة » العدد [٢١٤] قال أحد الضباط الأمريكيين :

إننا لم نقتل مجرد عرب كانوا يطلقون النيران على منطقة السفارة الأمريكية ، إذ كان بالإمكان تبرير مثل هذا العمل ... ولكننا كنا نطلق النيران على المسلمين وحدهم ... وهكذا كان موقفنا منحازاً إلى جانب النصارى ، ويؤدي ذلك إلى إثارة ذكريات سيئة عن الحروب الصليبية ، كما أنه يعني قتل المدنيين ...]

(المجلة)

القارىء : عبد الله المحمد ـ بيروت

استهلاك الطاقات !

إن ما استهلك من أسلحة المسلمين وذخائرهم وثرواتهم وطاقاتهم ، وما سببته المعارك الجانبية والداخلية ... لو وُجِّه بعضه لمواجهة الأعداء الخارجيين ، لما تمكن العدو الصهيوني من إرسال طائراته تقتل وتدمر وتشرد دون أن تجد قوة رادعة ... ولما تمكنت القوات الروسية من البقاء في أرضنا الإسلامية بأفغانستان للعام الخامس تفتك وتذبح بلا حساب ... ولما تمكن حكام الحبشة الصليبيون الحمر من متابعة الفتك بالمسلمين داخل أرضهم دون خشية رد فعل يذكر ...

ولما استطاع الهندوس والصليبيون في الهند والفيلبين الاستمرار على اضطهاد وتشريد الأقليات الإسلامية ، العزل من السلاح ...

(الرائد ـ بون)

القارىء غياث عبد الباقي ـ السعودية

المؤرخ الإسلامي

حضارتنا وحدها هي التي لم تعرف الرقابة على الفكر ولا الحذف من النص ..

وكل الزيف والافتراءات والتخريجات التي حاول بها المستشرقون والمقلدون النيل من الإسلام ، استندت إلى روايات ضعيفة متهافتة ، ما كانت لتوجد في تاريخنا لولا أن المؤرخ الإسلامي أثبتها بنصها ، لأنه رفض أن يقيم من نفسه وصياً على التاريخ ، ولا قيِّماً ينتقي للأجيال القادمة ما يجوز أن تعرفه ..

(أكتوبر)

القارىء : عاشور سيد صديق

القاهرة

الصليبية الجديدة ..

□□ الغرب الأوروبي يتعامل معنا انطلاقاً من مصالحه وليس حسب مبادئه واستراتيجيته ، يميناً كانت أو يساراً ، ومما لا شك فيه أن هذا التعامل لا يزال يحمل جذوراً استعمارية صليبية ، لم يستطع أصحاب القرار الحديثون التخلص منها رغم ادعاءاتهم بأنهم رواد القرن العشرين إنسانياً وثقافياً واقتصادياً وعلمياً .

المبادىء والاستراتيجيات هي للأوروبيين فقط ، وفي أفضل الأحوال لسكان أوروبا الشرقية .. أما سكان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية (ومنهم سكان العالم العربي) فلهم التعامل المصلحي القائم على السلب والاستغلال والاحتقار .

من هنا صعوبة اكتساب أوروبا بالتبشير والعمل الإعلامي المجرد ، بل واستحالة تحويل الغرب الاستعماري عن تاريخ إجرامي يرجع إلى زمن الحروب الصليبية ، طالما أن مصالح أوروبا مضمونة وغير مهددة .. ففي موسم الانتخابات المقررة للمصير الحكومي هناك ، تصبح الضرائب أهم من مأساة فلسطين ، ووزرع الصواريخ النووية أكبر من احتلال أفغانستان . □□

(الشرق الأوسط) ـ القارئة : شعاع سلطان ـ الإمارات العربية

قضية للمناقشة

تعقيبٌ على خواطِر الدّكتور عبد الجليل شلبي

يرى الدكتور شلبي أن تخلف الأمة الإسلامية في مجالي التعليم والدعوة أخطر على كيانها من الصليبية والصهيونية والشيوعية مجتمعة، ولا اختلاف على هذا المضمون. فبالتعليم يعلو شأن الأمة الإسلامية وترتفع راياتها كما أرادها الله ورسوله الكريم ﷺ، وبالدعوة تقوى دعائمها ونقدم الوجه الحقيقي للإسلام ونبي الإسلام لكل أبناء الأرض من الجنس الإنساني، وهي لا شك أثقل ما ألقي على عاتقنا من مهام: لأننا وارثون للرسالة الإسلامية المجيدة، وما علينا إلا أن نكون حلقة وصل بيننا وبين الأجيال القادمة من أبناء هذه الأمة من جهة، وبيننا وبين غيرنا ممن يجهلون حقائق ديننا الحنيف ـ وقد شوهت لهم صورته وزيفت مبادئه وتعليماته ـ من جهة أخرى.

ملاحظات حول ما يتهدد مستقبلنا العلمي والأدبي

أما انخفاض المستوى التعليمي لمدارسنا وجامعاتنا بما يتهدد بالخطر مستقبلنا العلمي والأدبي فهو بكل أسف حقيقة مزرية، ولكنها لغير الأسباب الواردة في خواطر الدكتور شلبي:

[١] يرى سيادته أن التعليم الثانوي عندنا «ونعني به المرحلة التي تسبق الجامعة مباشرة» تعليم متخلف لا يؤهل أبناءه لدراسات أعلى لأنه لا يستوعب آخر التطورات، وأود أن أشير إلى أن مناهج التعليم في المدارس الثانوية المنتشرة بطول البلاد العربية الإسلامية وعرضها هي المناهج نفسها في دولة كانجلترا ... بل إنني يمكنني القول بأن بعضاً من الدول الإسلامية تدرس مناهج أكثر تطوراً من انجلترا في هذه المرحلة بالذات، وأخص بالذكر من بين هذه الدول السعودية والإمارات وليبيا لأنه سنحت لي فرصة الاطلاع على كتبها ـ فهي تدرس الرياضيات الحديثة والفيزياء الحديثة والنووية، والكتب معدة بأسلوب علمي شيق وأخاذ بالإضافة إلى كتب متقدمة في الفقه والشريعة وغيرها من الفروع الإسلامية.

[٢] وكذلك قوله: «أما علماؤنا في كل مرافق حياتنا فما زادوا على أن محوا أميتهم فيما تعلموا، وكان قصاراهم محاكاة العلماء وأصبحنا بذلك أمة مستهلكة وسنظل أتباعاً ولن نصل أبداً إلى مكان القيادة» ... أعتقد أن هذه العبارة تحمل كثيراً من المبالغة فلا تزال الأجيال في هذه الأمة تنجب علماء أفذاذاً في كل مرافق الحياة وفروع العلوم والآداب ـ والحمد لله كثيراً ـ ومنهم من وصل بالفعل إلى مكان القيادة على مستوى العالم في أدق التخصصات وأندرها، وأذكر الدكتور محمود «.......» وهو الأستاذ الأوحد في تخصصه في مجال الهندسة النووية في أمريكا. ولقد عمل بجامعة الفاتح بطرابلس سنة ١٩٧٩م وأنشأ قسماً للهندسة النووية هناك، والعالم كله يحترم آراءه في مجال هذا التخصص النادر، وغيره كثيرون في مجال الطب والهندسة والميكانيكا والبترول وكل فروع المعرفة مما لا يخفى على الدكتور شلبي، ويمكنه أن يعدد منهم الكثير بنفسه سواء أكانوا في الخارج أم لا يزالون يعملون بالداخل في صمت كجنود مجهولين لا يريدون إلا وجه الله.

[٣] يرى الدكتور عبد الجليل شلبي أن «استكثارنا» من المدارس والجامعات عملية خداع للنفس في مجال التعليم، ثم يقول: «... بل إن تعليمنا في ظل الاستعمار كان تعليماً، أما الحركة التعليمية بعد الاستقلال فلا تعدو إلا أن تكون محواً للأمية» والحقيقة أنني ضد أية فكرة تقول بأن كثرة دور العلم في البلاد الإسلامية مأساة، حتى لو كانت الحجة ضعف المستوى التعليمي فلو رأى الاستعمار ذلك «الاستكثار» فيه تأخر هذه الأمة ودمارها لبنى لنا عشرات الألوف من المدارس والجامعات، ثم إننا لن نرجع إلى الوراء، فهذه الفكرة تنطوي على تعليم الأقلية المتميزة، ولقد أصبح التعليم من حق المسلمين بدون تمييز. ثم إن الغرب عندما تعلم لغتنا ودرس أدبنا وتاريخنا لم يكن يقصد إفادتنا أو خدمتنا من أجل سواد عيوننا ـ كما يقولون ـ، بل كان هدفه الاستفادة من أزهى عصور التقدم للأمة الإسلامية. ثم ما بالنا اليوم نطالب بخفض عدد المدارس والجامعات والعالم كله يشكو من سوء المستوى التعليمي عنده:

ضعف المستوى التعليمي في العالم ...

(أ) في انجلترا يشكو الآباء في غضب من أن أبناءهم عاجزون عن كتابة خطاب واحد يطلبون فيه وظيفة، ورأوا أن المدرسين لا يهتمون كثيراً بمستقبل أبنائهم وأن الطلبة حتى سن الخامسة عشرة أسلوبهم ركيك وعباراتهم غير مفهومة، وربما لا تلقى أي ترحيب ... ورد كل هذا في كتاب رد عليه وزير التعليم في مجلس العموم البريطاني في الأسبوع الأول من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣م وقال: إن الوزارة تهتم بالطلبة .. إلا أنه وعد بإعادة النظر في كل شيء على ضوء هذه الملاحظات.

(ب) في السبعينيات ظهرت موجة احتجاجات في بريطانيا كلها على مستوى التلاميذ في إجراء العمليات الحسابية البسيطة، وأنهم لا يحفظون جدول الضرب حتى سن الجامعة، وعلل المسؤولون ذلك بارتفاع نسبة اعتماد الطلبة على الآلات الحاسبة، ولكن الحقيقة كشفت أن الدولة تفرض جمارك على المنتجات اليابانية، وأن معدل استخدام الآلات الحاسبة لا يمكن أن يكون السبب بأي حال.

(ج) في الولايات المتحدة صدر تقرير تحت عنوان «أمة في خطر» في ثلاثين صفحة أعده ثلاثون أستاذاً في أكثر من ثلاثين شهراً من أجل رفع مستوى التعليم والإنتاج والإبداع في أمريكا، ورفع التقرير للمسؤولين وأقرَّ انعقاد لجنة لمتابعة هذا الموضوع حتى نهاية هذا القرن، وقد لاحظوا أن سبب تخلف أمريكا عن اليابان وألمانيا في العلوم والصناعة هو طغيان التفاهة على الثقافة العامة وفي ٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م أجرى التلفزيون الأمريكي مناقشة هامة حول الموضوع ذاته، وأقرت الجامعات والمجالس العلمية تصحيح برامجها.

وباختصار فإن أكثر الدول تقدماً تشكو أيضاً من سوء مستوى التعليم عندها، ويمكننا أن نستفيد من سعيهم الدائب لمعالجة المشكلة بموضوعية.

من المشاكل الحقيقية للتعليم في العالم الإسلامي

أعتقد أنه من الأفضل التحدث عن جوانب الموضوع حتى النهاية ما دام قد أثير بهذه الصورة فهو أمر يتعلق بمستقبل الإسلام والمسلمين، وساعطي ـ من وجهة نظري الشخصية ـ مجموعة من الأسباب التي أدّت إلى تدهور حركتنا التعليمية المعاصرة، وإن كنا ننصح بالإفادة من حركات الإصلاح المشابهة في العالم من حولنا: فإن لنا وضعاً عقيدياً مختلفاً يجعل عناصر المشكلة تختلف، فلنتكاتف جميعاً، وليدلي كل منا بدلوه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

■■ « أثار الدكتور الفاضل عبد الجليل شلبي - بخواطره على صفحات « الأمة » - في عددها التاسع والثلاثين - الأشجان على ما آلت إليه حركتا التعليم والدعوة في الأمة الإسلامية ... والحقيقة أن الموضوع جد خطير ... استثار الدموع الثخينة وأطلق العنان للهموم الدفينة » ■■

بقلم : هيثم محمد الهادي عطية

(الشورى:٣٨) ولنرفع شعار « أمة في خطر شديد » :

[١] الابتعاد عن الروح الحقة للإسلام : تلك التي تجعل طلب العلم فريضة كالصلاة والصيام و ... في قوله عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . و « طلب العلم » يعطي إيحاءً ضمنياً بالجدية في التعلم ، وتحمل المصاعب مهما كان حجمها ، وقد جعلها عليه الصلاة والسلام فريضة على كل أفراد المجتمع الإسلامي لخلق روح البحث والابتكار لدى أبناء أمته ، ولقد كان عليه السلام عالماً بعناء العلم وتحصيله ومع ذلك أمر المسلمين أن يثابروا على ذلك : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ومن هنا يتبين لنا أن طلب العلم فريضة إسلامية ، ويتضح لنا أيضاً أنه لا حرج في طلب العلم من أي مكان - كما يحدث في هذه الآونة فإننا نتعلم من أوروبا - فالمهم تعلم المسلمين.

ولقد قال رسولنا الكريم « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا .. كتاب الله وسنتي » وبكل أسف فإن تمسكنا هذا واهٍ وضعيف ، ولقد حلّت بنا المصائب الجمة التي لا تخفى على عين أحد على امتداد الساحة الإسلامية ، ومن بينها مشكلة التعليم .

[٢] أما ضعف مستوى نطق وكتابة اللغة العربية ، فوراءه :

(أ) ضعف اللغة العربية الإعلامية - إذاعة وصحافة - والرسمية .

(ب) عدم إلزام الأطفال - كما كان من قبل - بحفظ القرآن الكريم الذي يكفل تقويم اللسان من كل اعوجاج .

(ج) ظهور دعوات قبلية تتعصب للهجات المحلية ، ونحمد الله على أن الناس يرفضون لأهل هذه الدعوات حججهم ، ويتمسكون بلغة قرآنهم مهما كانت سلطة الداعين لهذه المبادىء الهدامة أو شهرتهم وتأثيرهم .

[٣] نظم الامتحانات : فنحن نهتم دائماً بـ «الشهادة» التي تمنح في نهاية العام الدراسي ونعتبرها هي المحصلة النهائية للحركة التعليمية ، ولا نفرق في ذلك بين من يحصل عليها بالغش ، وبين من يحوزها عن جدارة واجتهاد ، ما دام نظام الامتحان يسمح بذلك ... ولابد من البحث عن وسيلة أخرى غير هذه الامتحانات التقليدية : لكي تقضي على ظاهرة المذاكرة من أجل الامتحان ، ونضع بدلاً منها ظاهرة المذاكرة من أجل التحصيل والتعلم .

[٤] سـوء التوجيه : خصوصاً في الدول الإسلامية الغنية - وقد شاهدت ذلك بنفسي - حيث يطلق للشاب العنان ليمتلك سيارة خاصة ، ومسكناً خاصاً معداً ومزوداً بكل وسائل الترفيه كالفيديو وما شابهه ، وقد نجح بذلك مخطط الدول المعادية للإسلام التي تعمل على تهريب اشرطة الجنس الرخيص للهو الشباب المسلم ، وتضييع معالم شخصيته ، ولا بد من مواجهة حاسمة ، بألا نترك الحبل على الغارب بالنسبة لشبابنا الذين يعوزهم النصح والإرشاد خصوصاً في سن المراهقة ، وبأن نصدق في مراقبة تهريب هذه الأشرطة وتجريم عرضها ووضع عقوبات رادعة لمن يحوزها .

[٥] عدم احترام العقل في الدول الإسلامية : رغم إن الإسلام دين العقل ، ولا يوجد مذهب آخر وضعي أو سماوي اهتم بالعقل وخاطبه كالإسلام ، فلقد ورد في القرآن لفظ « العقل » ومشتقاته (٤٩) مرة و « الألباب » (١٦) مرة و « فقه » ومشتقاته (٢٠) مرة و « فكر » ومشتقاته (١٨) مرة .. فالإسلام احترم العقل وقدره وحرص على استخدامه ... وفي الوقت الذي نجد فيه أن عشرات الألوف من الجنيهات ترصد لجوائز مهرجانات السينما ، وتترك المعامل خاوية وتهجر دور البحث العلمي للإفلاس .. حتى إذا ما كرمنا عالماً فلا يكون ذلك إلا على صفحات الصحف وغالباً بعد وفاته ، أما التشجيع المادي فهو حكر للاعبي الكرة والممثلين والمطربين .

[٦] سرقة العقول « لا هجرتها » : وهي وسائل تقوم بها أمريكا وغيرها لاستنزاف الدول النامية من مواردها البشرية بإغرائهم بوسائل شتى :

(أ) وجهت منظمة الصحة العالمية في أواخر ١٩٨٠م نداءً عاجلاً إلى « دول صناعية كبرى » تدعوها فيه لوقف استقبال الأطباء من الدول النامية ، وقد جاء في بيان المنظمة أن حوالي (١٤٠,٠٠٠) طبيب من افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية يعملون خارج بلادهم .

(ب) جاء في أحد أعداد صحيفة المستقبل البيروتية ١٩٨٠م أن (١٧,٠٠٠) مهندس و (٧٥٠٠) عالم طبيعيات و (٢٠٠٠) عالم رياضيات و (٢٤,٠٠٠) طبيب قد انتقلوا في الأعوام الأخيرة من الدول العربية إلى دول الغرب « أمريكا وكندا وأوروبا الغربية » .

وهناك إحصائية نشرت في ألمانيا بخصوص الولايات المتحدة تقول : إن (١,٨٥) مليون من مثقفيها سحبوا من دول أخرى « ٨٤٪ منهم من الدول النامية » وهم إما تعلموا هنالك وتم استبقاؤهم أو تم شراؤهم من قبل مكاتب توظيف أمريكية متخصصة . وهذا يشكل ضربة جسيمة للبرامج الاقتصادية التي أعدتها دول افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية على المدى البعيد .

ومما يذكر أن الولايات المتحدة وحدها جنت أرباحاً بفعل استغلال العقول « المستوردة » من الدول النامية مقدارها ثلاثة مليارات دولار ، في حين أن إجمالي المساعدات « الإنمائية » إلى تلك البلدان والتي يرافقها ضجيج إعلامي لا يهدأ كان دون المليار دولار سنة ١٩٦٨م « سنة إجراء الإحصائية كلها » .

وأعتقد أن هذه النقطة أكثر المشاكل تعقيداً ، فحلها يحتاج إلى جهد جبار في السياسة التهجيرية ، ونظام البعثات للخارج ، ورصد مبالغ هائلة لجلب العقول الغائبة لأهلها .

أما مشكلة الدعـوة : فالمصيبة أعظم فلقد تأخرنا للوراء ألف خطوة في هذا المجال ، فلقد تصادف وقابلت شباباً من أوروبا لا يعلمون شيئاً عن الإسلام إلا أنه دين الطلاق وتعدد الزوجات وحد السيف والإعدام ، وهم معذورون حقيقة فالتقصير منا واللوم لا بد وأن يكون على أنفسنا . فمسؤولية من التعريف بحقائق الإسلام وجوهره إن لم تكن وستظل مسؤوليتنا ؟

إلا أن الأمر الأدهى أنني قابلت مسلمين من كينيا ونيجيريا ووجدت أنهم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً يذكر ، ولا يحفظون من القرآن إلا سورة الفاتحة ، وبصورة غير سليمة نطقاً ومعنى بطبيعة الحال : إنها المأساة لا تعدلها مأساة ، وسوف يحاسبنا الله حساباً عسيراً إن لم نغير هذا الواقع المرير ﴿ ذلك بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال:٥٣)

اللهم إنا نسألك العون على التغيير وصدق النية فيه اللهم آمين

هوامـــش :

(١) جريدة الأهرام المصرية أعداد ١٧ اغسطس (آب) ٢٧ سبتمبر (أيلول) ، ٧ اكتوبر (تشرين الأول) ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣م .

(٢) مجلة المجلة - أحد أعداد سنة ١٩٨٠م .

(٣) المعجم المفهرس لواضعه محمد فؤاد عبد الباقي .

آخر حوار مع

الشيخ صالح عشماوي رحمه الله

أجراه : علي عبد الرحمن عطية

■■ الشيخ صالح عشماوي أحد الذين عملوا في صمت في ميدان الدعوة إلى الله ، تحمل المصاعب والمشاق في سبيل كلمة الحق يقولها أو يكتبها أو يعلنها ويذيعها : من الروّاد الذين أصّلوا للصحافة الإسلامية في العصر الحديث بجعلها لا تقتصر على الوعظ والإرشاد بل تكتب وتعالج موضوعات في شتى مجالات الحياة (السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ...) وتقديم الإسلام للناس بشموليته وارتباط الحياة الدائم به دون عزل له عن أي جانب من جوانبها ...

ولد في القاهرة عام ١٩١٠م ، حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، أنهى دراسته التخصصية في كلية التجارة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) ١٩٣٢م . عمل في المصرف الأهلي لمدة قليلة جداً بعد تخرجه ثم ترك العمل المصرفي لتعامله بالربا ومنعه الإجازة الأسبوعية يوم الجمعة ، شارك في الحركة الإسلامية عام ١٩٣٦م ، واحتمل الكثير في سبيل ما يعتقد أنه الحق ، ومنذ عام ١٩٣٨م وهو يعمل بصحفها واستمر على ذلك إلى أن لاقى وجه ربه يوم الإثنين الثامن من ربيع الأول ١٤٠٤هـ . الموافق لـ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣م ■■

□□ وفي دار مجلة «الدعوة» بالقاهرة ، وبيته بضاحية حلوان كان الحديث معه رحمه الله عن الصحافة الإسلامية وما تهدف إليه وتسعى من أجله ، والخصائص التي تتميز بها عن غيرها ...

— بدأت العمل في ميدان الصحافة الإسلامية عام ١٩٣٨م عندما فكر الشيخ حسن البنا رحمه الله في إصدار مجلة تشرح وتبين للناس دعوة الله عز وجل ، وتكون لسان حال الحركة الإسلامية ، في وقت أصبح الإعلام فيه يؤدي دوراً كبيراً في الدعاية للمذاهب والأفكار المستوردة مستخدماً شتى وسائل الإغراء للوصول إلى هدفه ... فجاء إصدار « مجلة النذير » التي كان لي شرف رئاسة تحريرها في وقت كانت الأفكار الغريبة عن الدين قد استعلت وظهرت وتغلغلت في النفوس حتى بتنا نرى جماعات وحركات دينية متواجدة على ساحة العمل الإسلامي تنص في مبادئها أنها لا تشتغل بالأمور السياسية ، وأنها تكتفي بالأمور الدينية ، هذا في الوقت الذي ارتفعت فيه الأصوات منادية بضرورة تقليد الحضارة الغربية وأخذها بكل ما فيها من صفاء وكدر ، وحلو ومر ، وتجسدت هذه الأصوات في كتابات منها « مستقبل الثقافة » الذي وضعه يومها

الدكتور طه حسين الذي تولى كِبْر هذه الدعوة .

شمول الإسلام

جاءت « **النذير** » لتعيد إلى الأفهام حقيقة هذا الدين الذي أنزله الله عز وجل لينتظم شؤون الناس جميعها ، ولتبين أن السياسة جزء من الدين وأن لا فصل بين الدولة والدين ولا بين الحياة والدين ، وأن كل عمل يؤديه المسلم طاعة لله عز وجل وامتثالاً لأمره ، وقياماً بواجب الحفاظ على مصلحة المسلمين فهو عبادة لله عز وجل سواء أكان هذا العمل في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الروحي ...

وجاءت عبارة : **سياسية إسلامية تتصدر غلاف « النذير »** مما جعلها متميزة عما كان يسمى بالمجلات الدينية التي كانت قد قصرت نشاطها في ميدان الوعظ والإرشاد فقط ، رافضة للواقع القائم الذي كان يجعل مناقشة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية حكراً على الصحف والمجلات الحزبية آنذاك ... فكانت تناقش القضايا على اختلافها ، وتنتقد الأوضاع العامة كأي مجلة سياسية يصدرها أي حزب من الأحزاب السياسية التي كانت قائمة آنذاك ...

□□ إلى أي مدىً نستطيع أن نقول : إن « النذير » حققت الهدف الذي أصدرت من أجله ؟

ــ ونعم ، وبكل تأكيد ، فـ « **النذير** » أبرزت شمولية الإسلام وأوضحت معناه الحقيقي الذي كان عائماً وغير واضح في كثير من الأفهام من قبل ، وبينت مدىً ارتباط الحياة به ، وأنها لا تستقيم إلا بالتزامه ، حتى بتنا نرىً بعض الذين كانوا متأثرين بالفكرة الغربية عن الدين يثوبون إلى رشدهم ويعلنون اختلاف الإسلام في هذا السبيل وأنه جاء ناظماً للحياة للبشرية جميعها ...

كذلك أعادت « **النذير** » إلى الأذهان مفهوم « **الجهاد** » بمعنى محاربة المستعمر ، وعدم اقتصاره على مجاهدة النفس فقط ، وأن الجهاد فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة ، وواجبة على المسلمين دون استثناء ، كل حسب جهده ومقدرته ، لتخليص بلاد المسلمين من المستعمرين وتطهيرها من رجسهم ...

كما أبرزت « **النذير** » عالمية الإسلام وأنه ليس وقفاً على فئة بعينها ، أو شعب بذاته ، أو أمة معينة ، بل هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل للبشرية كلها ، **فكانت المنبر الذي يكتب فيه المهجرون من زعماء المسلمين الذين اتخذوا القاهرة دار إقامة لهم** إضافة إلى اهتمامها بقضايا المسلمين أياً كانوا والعالم الإسلامي ، وكثيراً ما كانت تصدر أعداداً خاصة بقضايا المسلمين الملحة مثل العدد الذي أصدرته عن فلسطين ، وعن قبرص ... فأثبتت أنها مجلة المسلمين في جميع أنحاء العالم وأن قضايا المسلمين في كل مكان هي قضايا المسلمين في مصر .

إضافة إلى محاربة « **النذير** » للأفكار الجاهلية التي بدأت تأخذ طريقها في الظهور بين المسلمين ، مثل الدعوات الإقليمية والعنصرية الضيقة ، **موضحة أن في شيوع مثل هذه الأفكار تحقيقاً لأهداف المستعمر وخدمة له ، وطعناً للأمة في ظهرها ، وإضعافاً لها في مواجهتها مكر أعدائها ...**

□□ معنى هذا أن « النذير » لم تكن توزع في حدود مصر بل تعدتها إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي ...

ــ مجلة « **النذير** » التي صدرت عام ١٩٣٨م وتوقفت عن الصدور عام ١٩٤٠م أثناء اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، كانت تصدر أسبوعياً وتوزع خمسة وعشرين الف نسخة في مصر والبلدان العربية والإسلامية ، وهذا الرقم يعتبر قياسياً في تلك الأيام ...

□□ بعد أن توقفت « النذير » عن الصدور هل توقف النشاط الإعلامي للحركة الإسلامية أم انها لجات إلى أساليب أخرىٰ تستطيع بواسطتها إسماع آرائها للناس

أثناء فترة الحرب وإعلان الأحكام العرفية ؟

ــ لجأت الحركة الإسلامية بعد إيقاف « النذير » عن الصدور إلى استئجار مجلة كانت تعرف باسم « **التعارف** » تنشر فيها آراءها في قضايا الساعة وقضايا المسلمين وأخبار الحركة الإسلامية ، واستمر الأمر إلى أن قام الرقيب على الصحف بشطب مقال لأحد المحررين الذي اعترض قائلاً : لِمَ لَمْ تعترضوا على « **التعارف** » **وقد أصبحت مستأجرة للحركة الإسلامية تنشر أفكارها من خلالها** ، فأصدر الرقيب من فوره قراراً بسحب الترخيص ، وتوقفت « **التعارف** » عن الصدور .

إلا أن إعلان الحكومة إجراء انتخابات عامة في البلاد لانتخاب مجلس نواب عام ١٩٤٢م جاء فرصة استفاد منها القائمون على الحركة الإسلامية يومها حيث وعدهم **النحاس** « **رئيس الوزراء** » بإعطائهم جميع حقوقهم وحريتهم كاملة ، ووفى لهم بوعده وصدرت المجلة التي حملت اسم « **الإخوان المسلمون** » أسبوعية سياسية إسلامية ، وكان لي شرف رئاسة تحريرها أيضاً كـ « **النذير** » واستمرت بالصدور حتى عام ١٩٤٨م عندما حدث الصدام مع النقراشي الذي أصدر قراراً بإيقافها ...

□□ هل اكملت « الإخوان » دور « النذير » أم أن هناك عقبات حالت دون ذلك أو اضعفت من دورها ؟

ــ الظروف التي صدرت فيها « **النذير** » كانت تختلف اختلافاً بيناً عن الظروف التي صدرت فيها « **الإخوان** » حيث كانت « **النذير** » تتمتع بحرية كاملة تجعلها تناقش ما تريد وتتكلم ما تشاء ، أما « **الإخوان** » فلم تكن لها هذه الميزة ، فالأحكام العرفية وقانون الرقابة على المطبوعات كان سيفاً مصلتاً يمنع ويشطب مقالات بعينها ، وكثيراً ما كنا نستدعى إلى النيابة للتحقيق معنا بسبب ما ننشر ، وبسبب انتقاداتنا للوزارة والمسئولين يومذاك ...

وعندما لاحظنا أن المجلة الأسبوعية لم تعد تحقق ما نريد ، أصدرنا إلى جانبها وبالاسم نفسه صحيفة يومية ، بعد أن استعنا بصحفيين من « **الأهرام** » وغيرها من الصحف اليومية التي كانت تصدر يومذاك ، وأصبحت أتولى رئاسة تحريرها بعد الأخ الأستاذ **أحمد السكري** الذي كان هو المشرف الأول عليها ، إلى جانب رئاسة تحرير المجلة الأسبوعية ، وأصبح لنا مراسلون في بعض البلاد العربية والإسلامية ، كما أصبحنا نأخذ برقيات من وكالات الأنباء العالمية مثل « **رويتر** » وغيرها ...

وقد توقفت هذه الجريدة مع المجلة عام ١٩٤٨م بقرار التعطيل الذي أصدره النقراشي ، وزج بنا في السجن إلى عام ١٩٥٠م حيث خرجنا منه .

□□ من المعروف أن وكالات الأنباء هذه لا تهتم بالقضايا الإسلامية ، وتوجه الأخبار وجهة تخدم أهدافها ومصالحها ، فكيف كنتم تتلقون عنها ؟

ــ صحيح أننا كنا نتلقى الأخبار من هذه الوكالات ، إلا أننا لم نكن ننشرها كما تذيعها هذه الوكالات ، بل كنا نحللها من وجهة نظر إسلامية ونعلق عليها بما نراه مناسباً ويخدم مصالح المسلمين بخلاف الصحف والمجلات الأخرى التي كانت تنشر الخبر كما جاءها دون تعليق أو تحليل يخدم قضايا الأمة ... ومن فضل الله عز وجل أن هذا المفهوم الجديد الذي أخذنا أنفسنا به « **التعليق على الأخبار وتحليلها من وجهة نظر إسلامية** » أصبح أسلوباً يُدرَّس في كليات الإعلام وخاصة الإعلام الإسلامي منها ، لكشف الأساليب الاستعمارية في التوجيه والاستغلال السيء للأخبار من قبل وكالات الأنباء العالمية خاصة تجاه العالم الإسلامي وقضاياه ، وكم نتمنى أن يصبح للمسلمين وكالة أنباء إسلامية تنطلق من العقيدة التي آمنوا بها ، وتعمل لمصلحتهم وفي سبيل توعيتهم التوعية الصحيحة عن طريق المتابعة الجادة الصادقة لأحداث العالم الإسلامي وأخبار المسلمين ...

مجلة الدعوة

بعد الخروج من السجن قمنا باستئجار مجلة كان يصدرها أحد المحامين باسم « **المباحث القضائية** » لأنه لم يكن لنا الحق من الناحية الرسمية ، وقد أصدر النقراشي قرار حل الحركة وإلغاء صحفها ، أن نصدر صحفاً جديدة ، وكان الأستاذ الهضيبي رحمه الله يكتب فيها المقال الافتتاحي ، ونعبر من خلالها عن آرائنا ونقدم النصح للمسؤولين ... وبقي الأمر هكذا حتى جاء عام ١٩٥١م وفي عهد وزارة النحاس تقدمنا بطلب لوزير الداخلية « **فؤاد سراج الدين** » للحصول على ترخيص إصدار مجلة باسم « **الغرباء** » إلا أن المسؤولين اعترضوا على التسمية ، فغيرنا الاسم إلى « **الدعوة** » التي صدرت في تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه ، وكنت صاحب الامتياز ورئيس التحرير ، والتي أصبحت في فترة من الفترات تمثل رأيي الشخصي ، وبعد الصدام الذي وقع بين حركة يوليو والحركة الإسلامية توقفت « **الدعوة** » عن الصدور ، لكنني تابعت طبع حوالي ثلاثين نسخة على هيئة ملازم ، أقوم بكتابة المقالات القديمة ، واضعها في الملزمة مع بعض الأخبار ، وارسل هذه النسخ إلى الجهات المسؤولة من هيئة الاستعلامات والداخلية والثقافة ، وآخذ إيصالاً بهذه النسخ المرسلة حتى يستمر الترخيص بإصدار المجلة قائماً محتفظاً بالحق القانوني ، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى عام ١٩٧٦م عندما عادت إلى الصدور في الأسواق من جديد ...

□□ هذا يعني أن الأمل في أن ترى « الدعوة » النور وتنزل إلى الأسواق ، وتوضع بين أيدي القراء لم ينقطع ..

ــ إن الأمل بعودة « **الدعوة** » لم ينقطع في يوم من الأيام ، لأن المؤمن لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس إلا القانطون ، **وهذا الأمل في الله هو الذي دفعني إلى الاستمرار في هذا الإصدار الصوري لـ « الدعوة » حوالي (٢٢) عاماً** ، وكنت أعتبر نفسي كالجندي المجاهد في سبيل الله ، الذي يجب عليه أن لا يغفل عن سلاحه وعتاده مهما كانت الظروف من حوله ... وتحقق الأمل وظهرت « **الدعوة** » عام ١٩٧٦م واستمرت في الصدور إلى عام ١٩٨١م عندما

صدر قرار جمهوري بسحب ترخيصها وعدم السماح لها بالصدور ، وقمنا برفع قضية أمام القضاء لإبطال القرار بسحب الترخيص ، وحصلنا على قرارين من المحكمة بعدم قانونية سحب الترخيص ، وبالعودة لإصدار « الدعوة » ونحن الآن نستعد لإصدارها ...

□□ الإعلان في الصحف والمجلات يشكل مورداً مادياً لا بأس به يعين هذه الصحف والمجلات على الاستمرار في الصدور والتوسع في التوزيع ، لذلك كثيراً ما تقع تحت رحمة شركات الإعلان التي تحاول توجيه هذه الصحف والمجلات الوجهة التي تريد ...

— لا يستطيع أحد أن ينكر دور شركات الإعلان في استخدام الضغوط المادية على الصحف والمجلات لتتجه الوجهة التي تريدها هذه الشركات ، ولتنشر ما يوافق أهواءها ويخدم أهدافها ، وقد تنبه اليهود لهذا الأمر مبكراً ، **فكانت شركات الإعلان التي شكلوها تستخدم الإعلانات وسيلة لابتزاز الصحف حتى في الوطن العربي ،** وكثيراً ما كانت هذه الشركات ترضى من الصحف التي تزودها بالإعلانات إن لم تنشر وتؤيد أهدافهم ، ألا تتعرض لهم بسوء ، ولا تحرض عليهم أو تكشف شيئاً من أطماعهم ... **وإننا لنجدهم اليوم يتحكمون عن طريق الإعلانات في كثير من المؤسسات الصحفية ودور النشر العالمية ، ومن العاملين في هذا المجال نذكر اليهودي « مردوخ » الاسترالي والمؤسسات الصحفية العالمية التي يمتلكها وتخدم أهداف اليهود في استراليا وأوروبا ،** ومما تناقلته الأنباء مؤخراً أنه يسعى لشراء مجلة التايم الأمريكية ، أو أنه اشتراها فعلاً ...

وبسبب هذه الأهمية لمثل هذه الشركات ، يجب على المسلمين تكوين شركة إعلان إسلامية تكون مهمتها تقديم الإعلانات للمجلات والصحافة الإسلامية بحيث لا تتعارض مع ما تهدف إليه ، وتمدها بما تستطيع بواسطته مقاومة إغراءات شركات الإعلان التي لا تلتزم بمبدأ أو خلق ، وتعينها على أداء رسالتها في خدمة دين الله عز وجل ...

ويجب على الصحافة الإسلامية الالتزام بما يمليه عليها شرع الله ، فلا تنشر إعلاناً لمحرم أو لأمر مخالف لمصلحة المسلمين ، لأنها صحافة مبادىء ، فكما أنها تلتزم نشر الخبر والمقال من مفهوم إسلامي ووجهة نظر إسلامية فكذلك يجب أن يكون الأمر في مجال الإعلان ...

□□ على الساحة في هذه الأيام سيل من الصحف والمجلات ، فكيف تستطيع الصحافة الإسلامية أن تقف على أقدامها وسط هذا السيل وتفرض وجودها وتنفذ إلى قلوب الناس ؟

— تستطيع الصحافة الإسلامية أن تثبت وجودها أمام هذا السيل بتحري الدقة والأمانة في تناولها للموضوعات ومناقشتها للقضايا ، وبتقديم الإسلام كما أنزله الله **عز وجل على رسوله ﷺ** ، وكما فهمه الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم ، وبالتزامها عملياً ما تدعو إليه من الناحية النظرية ، وبعدم إهمالها واقع المسلمين وقضاياهم الملحة ومعالجتها على ضوء تعاليم الإسلام ... **هذا إلى جانب الاستفادة إلى أبعد حد من الوسائل الحديثة التي تستخدمها الصحافة والمجلات ، في الإخراج والشكل والمظهر** دون أن يؤثر ذلك على المضمون ، أي : إن عليها وهي تحاول المحافظة على الأصالة أن لا تهمل المعاصرة ...

الصحوة والصحافة

□□ وعن دور الصحافة الإسلامية في ترشيد مسيرة الصحوة الإسلامية وتقويم مسيرتها حتى تؤتي ثمارها قال الشيخ صالح رحمه الله :

— إن على الصحافة الإسلامية واجب إيقاظ الوعي الإسلامي في النفوس ، وتوجيه الصحوة الوجهة الصحيحة التي تجمع المسلمين ولا تفرقهم ... تبصرهم بالأخطار المحدقة بهم سواء أكانت من الداخل أو الخارج ، من أنفسهم أو من أعدائهم ... تفضح القوى المتربصة بالإسلام والمسلمين ، إضافة إلى بيان أن الصحوة إذا كانت إسلامية فليس معنى هذا أن تبقى حبيسة جدران المساجد وفي القلوب ، بل يجب أن تشمل جميع مناحي الحياة ، وتمتد إلى نشاطات الإنسان كافة ، وعلى الشباب المسلم أن يتزود إلى جانب عقيدته وإيمانه بالعلم النافع الصالح [الطبيب المسلم ، والاقتصادي المسلم والمهندس المسلم ، وعالم الاجتماع المسلم ، وعالم النفس المسلم ... وهكذا] كما أن على الصحافة الإسلامية جلاء السيرة واستخلاص الدروس والعبر منها لواقع هذه الصحوة **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾** والبعد عن الإثارات العاطفية التي لا سند لها في الواقع ، ومعايشة المجتمع بعد فهمه لمحاولة تقويمه لأن « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » .

وعلى الصحافة الإسلامية في عملها هذا أن تنطلق من خطة موضوعة ، واضحة المعالم ، محددة الأهداف والوسائل ، لا من ردود الأفعال وضغوط الواقع المعاش ، وأن تنطلق كذلك في معالجتها للمشكلات من منطلق العقل والعاطفة معاً من خلال مفهوم إسلامي مبني على الكياسة والفطانة ... ولا أريد أن نقول : **لنأخذ العبرة من أعدائنا اليهود ، وكيف استخدموا العاطفة والعقل وأقاموا لهم دولة في فلسطين الأرض المباركة ...**

من أجل تصوّرات مضبوطة

■■ يأمل الفرد المسلم وهو يحيا رحلة أيَّام العمر رؤية انتصارات الإسلام قادمة وراياته خفَّاقة ، ولكن بين أمله والواقع تقف جملة من العوائق تحول بين الأمنيات والإمكانات .. لقد ظلت أجيال سابقة أيضاً وعلى امتداد قرون طويلة تتعشق رياح النصر ، وتتشوق في لهفة إلى نهضة إسلامية عارمة : تُصلح واقع العباد والبلاد ، وتستقي من طلائع العهود الإسلامية الأولى بشائر الإيمان والفلاح . ■■

بقلم : محمد بدر الدين بن حسن

إن هذا الطموح مشروع ووجيه من قبل نفوس مؤمنة توّاقة إلى الخير ، ومتطلعة إلى الحق : غير أنه يتصادم في قدر مهم مع أصول التصورات الإسلامية التي جعلت من الهيمنة على قوانين الطبيعة مقياساً لأبعاد التغيير والنصر والتمكين . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ١٤) .

إن هذا الأمر يجعل مقتضى التكليف الإسلامي على درجة كبيرة من الموضوعية والواقعية ؛ فضلاً عن الحرية الفردية التي يحققها ؛ لأن الله جل جلاله لم يشأ أن يجعل أفعال العباد منقادة دون اختيار . قال تعالى : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (الشعراء : ٤) .

مراتب الشهادة ..

إن المنهج الإسلامي يسلك الفعل الإنساني في مرتبة الشهادة من وجهين : الأول مقام مراقبة الله تعالى وهو الذي عبَّر عنه الإمام ـ سفيان الثوري ـ قائلاً ممتحناً أصحابه :

(أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء ؟! قالوا : لا . قال : فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله تعالى .) وهو المقام نفسه والمقال الذي عبّر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام حين توديع الأمة :

« ألا هل بلَّغت اللهم فاشهد » ، وما من رسول إلا وختم أعماله بتلك الشهادة دلالة على استنفاد ما كُلِّف به : ﴿ يا قَوْمِ قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ (الأعراف : ٧٩) .

والوجه الآخر للشهادة مرتبط بأفق الإحسان « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [رواه مسلم والبخاري] لأن استحضار عظمة الله في كل حين أوكد ضمان لتحقق عمليات البناء والتغير في النفس والمجتمع .

إن استقراء آيات القرآن في هذا المجال تكشف عن دلالات جدّ مهمة ؛ منها أن مرتبة الأمانة أو التكليف لا تتحقق إلا في ظل رسالة عبَّر عنها القرآن بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (الأحزاب : ٧٣)

وهناك توزيع مدهش لهذه الآية مع أخواتها في القرآن تتطابق فيما بينها لتُكوِّن مراتب الشهادة ، وترسم بعض قواعد المنهج الإسلامي المتكامل والمتميز :

فالله أولاً هو الرقيب المطلق على أفعال العباد وأحوال الكائنات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء : ١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾ (النساء : ٣٢) ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ (يونس : ٦١) والمجتمع أيضاً في محل تكليف ومسؤولية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة : ١٤٣) والفرد ثالثاً رسالي وشهيد ﴿ ... أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق : ٣٧) .

قال ـ الزمخشري ـ في تفسيره : (أي هو بعض الشهداء في قوله تعالى) : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ، والرسول نفسه شاهد على الأمة : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) ، والقرآن في آخر الأمر حجة بالغة ورسالة ناطقة : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٩) .

واقعية المنهج الإسلامي ..

ومن قواعد المنهج الإسلامي المتفرعة عن العلاقات السابقة جعل العمل الإنساني في متناول بذل الجهد ؛ بحيث لا يحاسب المرء إلا على قدر استفراغ الطاقة الطبيعية : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

والأمر الآخر في المنهج أن الأمم نفسها لا تُسأل إلا في حدود الأدوار المكلفة بها : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٤) .

ورغم وضوح هذا الأمر فإن المرء يعجب اليوم من اشتغال جماعات من

لقضايانا الإسلاميّة

■ حين يطرح الإسلام مسألة الإصلاح يجعل منها التزاماً موضوعياً بسنن التاريخ ومتابعة واعية لقوانين الله المبثوثة في الكون ..

المسلمين بجملة من التوافه دُفنت مع أقوامها منذ أمد بعيد ، ولكنها تعود اليوم إلى الحياة بشكل جديد لتحتل مكاناً بارزاً ، وكأنها من صميم اهتمامات الدين .

ضرورة تصحيح التصورات على هدي من الإسلام

إن الأمر المهم الذي يحمي المسلم من الانحرافات ومتاهات اليأس أو الأمل الخادع هو أن يعمل في ساحة حقيقية بعيدة عن سكرة المثال الحالم ؛ لأن الطموح المقطوع عن قضايا الحياة الواقعية يصرفنا حتى عن أبسط قواعد المتابعة والإدراك ، والرسول عليه الصلاة والسلام محّص سلبية هذا المنزع حين قال : « **ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل** » .

إن خصائص عقلية الحالمين تنزع دوماً إلى القوالب الجاهزة والأوصاف الباردة في مجالي الأفكار والأفعال وقلما تستهدف مجالاً حقيقياً للتأثير وحتى إن فعلت فإنها تسلك سبل ضلال لا تعمير . يقول الشيخ ـ محمد الغزالي ـ واصفاً تلك الأمراض : (... **ولهؤلاء عقلية لا تتماسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة ولذلك قد يهجمون شرقاً على عدو موهوم ويتركون غرباً عدواً ظاهراً بل ربما حاربوا في غير عدو** ...) .

لقد حدث أن أحضر بعض المصلّين مجموعة من الكتب والمجلات الإسلامية المتنوعة ووزّعها أحدهم في المسجد ، فتصدى له أحد الشيوخ بحجة أنه لا يريد في المسجد سوى القرآن ، وأن تلك الصحف والمجلات خطر مباشر على عقيدة المسلمين ينبغي إزالتها فوراً : مع أن هذا الرجل معروف عنه أنه لا يتورع عن التعامل بالربا ، ولا يتحرج من هتك أعراض الناس !!

أليس هذا أحد النماذج ممن يهجمون شرقاً على عدو موهوم ويتركون غرباً عدوّاً ظاهراً بل حاربوا في غير عدوّ !!؟ إننا ما دمنا لم نتعقل أصول هدي الإسلام ولم نحتكم لمعقوليتها فسنظل نتيه في بيداء الضلال ونمشي في طريق سراب .

ساحة العمل الصحيحة

إن ساحة العمل الحقيقية التي تملأ حياة المسلم وتقيه فعلاً من أمر موهوم وتسويف مقطوع ، هي أن ينشغل فوراً ببناء ذاته : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (**المائدة : ١٠٥**) .

إن هذه الآية حُجة في بيان أن المطلوب الأساسي من كل مؤمن أن يعمل جاهداً على تقوية نفسه ، واستكمال فضائلها لأن أقصر طريق أمام الإصلاح الكامل يمر عبر تزكية النفس الإنسانية : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ (**الشمس : ١٠**) وكما يقول ـ مالك بن نبي ـ رحمه الله : (**غيّر نفسك تغيّر التاريخ**) .

إن من وجوه عظمة هذا الدين الناصعة البيِّنة التي لا يصيب كيانها خلط أو تشويه أبداً ، وإحدى علامات واقعيته الرشيدة هدايته النفوس إلى الفهم الصائب المستنير ، ولذلك فهو حين يطرح مسألة الإصلاح يجعل منها التزاماً موضوعياً بسنن التاريخ ، ومتابعة واعية لقوانين الله المبثوثة في الكون : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (**العنكبوت : ٢٠**) .

إن المنهج الصحيح للتطلع نحو آفاق النصر ينبغي أن يمهد لها بتجربة داخلية تُمارس على النفس ، لأن الأماني والتواكل والتبرير وكل المثبطات إنما تنبع أساساً من داخل الذات ، والخلود للسكينة ضرب من الخداع في الرؤية القرآنية ، قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً** ﴾ (**النساء : ١٢٣**) وأخطر من ذلك أن يكون الأمر نتيجة من محصول الشيطان : ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً** ﴾ (**النساء : ١٢٠**) .

الاحتكام إلى منهج الأسباب ..

تحفل آيات القرآن بما يلفت الأنظار إلى ضرورة الاستفادة والاحتكام إلى منهج الأسباب ، وعلى سبيل المثال : فإن تعذيب الكافرين في الدنيا يخضع لمنطق السببية : ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ** ﴾ (**التوبة : ١٤**) ، وكذلك الفتن التي تصيب الأمم والمجتمعات فهي : ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ (**الروم : ٤١**) بل إن النصوص تجعل من موضوع مهم يتوقف عليه مصير الإسلام نفسه ، وهو الصراع مع الجاهلية خاضعاً بالكلية إلى

من أجل تصوّرات مضبوطة لقضايانا الإسلاميّة

منطق الأسباب والتقدير ، ففي معركة أُحُد ـ الخالدة لم يشفع الإيمان وحده دون الأخذ بسلطان السبب ومعايير الهزيمة والنصر في رد كيد المشركين بل كانت المعركة محلاً للابتلاء والتمحيص ـ وفي مسألة خطيرة كنزول الملائكة لتأييد جيش الحق وقت العسرة ، يصرح القرآن بأن الأمر يقتصر على التأييد المعنوي لا القتال المادي المباشر . قال تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ (**آل عمران : ١٢٦**) وفي سورة الأنفال يزيد المسألة توضيحاً فيقول : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (**الآية : ١٠**) .

تقويم الأفهام السقيمة . .

إن التصور الكنسي والموقف الجاهلي لا يملكان القدرة على التجريد والتمثل ، ولا يقبلان بأي وَجْهٍ أن يحمل إنسانٌ رسالة السماء ، ولذلك يحاولان دوماً إقحام الوثن في صلب العقيدة ، وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن أقوام النصارى واليهود مصوراً نماذج من التعامل السطحي ، والطفولة الفكرية التي كانوا يمارسونها مع أنبيائهم في طلب الاستدلال ، أو تعقل مسائل الغيب والعقيدة ، وقد اصطدمت رسالة الإسلام أيضاً بالنماذج والأفهام نفسها مع الجاهلية الأولى التي رفضت مجرد قبول مبدأ الطبيعة البشرية للرسل ، قال القرآن الكريم مصوراً ذلك : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً** ﴾ (**الإسراء : ٩٤**) .

إن أقواماً من مسلمي هذا العصر وقعوا في خطأ مماثل ؛ حين عمدوا إلى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وسلبوها جميع خصائصها البشرية ؛ حيث لم تعد الصورة المقدمة عنه صورة بشر قدوة ، بل رسم خيال بعيد المنال ، وبذلك أضاعوا فرصة الاقتباس من هديه الحي الخالد ، ومع ذلك فإن آيات القرآن تصرح بجلاء : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ (**الأنعام : ٩**) أي يلزم أن يكون لابساً للصورة الآدمية لاختلاف طبائع الملائكة عن طبائع البشر ، وهذا من صميم واقعية المنهج الإسلامي أيضاً ، والتي لم يدرك أبعادها رجال الصوفية وفرق الغلاة من الشيعة ، الذين جعلوا من الرسول نوراً لا يُلحق ، ومن الرسالة باطناً لا يُدرك ، مع أن القرآن يقول : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ (**الكهف : ١١٠**) .

من قواعد المنهج الإسلامي أن الطغيان لا يقابله إلا إصلاح بشري

إن قدرة الله جل جلاله تستطيع أن تنسف فرعون وملأه وتريح منه البلاد والعباد ، أو ترسل من بين يديه عذاباً يخزيه ، ولكنه تعالى يريد للإنسان أن يصنع واقعه الفاضل بنفسه ، وتلك هي رسالته الأصلية في الحياة ، ولذلك قال لموسى : ﴿ **اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** ﴾ (**طه : ٢٤**) وفي حادثة الهجرة نستشف الدلالات السابقة نفسها ، فقدرة الله تعالى تستطيع بلا أدنى شك أن تحفظ الرسول من كل أذى يصيبه من قبل المشركين ، وهو في بيته في مكة آمناً هانئاً ، فلم الخروج وتكبد المشاق إذن ؟!

إن منهج الله في الحياة لا يتبدل ولا بد للإنسان أن يصارع من أجل حياة طيبة تحت راية قوانين السماء : ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ (**الأحزاب : ٦٣**) .

الهزيمة من الداخل والمطلوب بناء الذات المسلمة

إن آيات القرآن ترشدنا أيضاً إلى أن انتظار النصر من السماء لا يتحقق إلا بعد استكمال شروطه في النفوس أولاً : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ (**الرعد : ١١**) وما عجز الفرد المسلم عن متابعة الطريق السوي ومواصلة البناء دون خلط أو توقف إلا بسبب الهزيمة الداخلية وعدم التخطيط المسبق لإعداد الذات واستعداد النفس ، يقول الأستاذ « **عمر عبيد حسنة** » في تقديمه لكتاب إعادة تشكيل العقل المسلم :

(... **لقد أصبحت الحاجة ملحّة لعملية التنقية الثقافية وأصبحنا أحوج من أي وقت مضى إلى الذين يحملون عقل المهندس ومبضع الطبيب وحرقة الوالدة على مستوى الفكر والثقافة ليقوم بعملية الإخلاء والإملاء ، أو عملية الهدم المسبوقة بمخطط واضح ومدروس لعملية البناء ؛ لأن بعض الناس يحسنون الهدم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولأنه يتناسب مع طبائعهم وانفعالاتهم واستعجالهم ؛ لكنهم يعجزون ولا يحتملون البناء ؛ لأن البناء يستدعي التأني والصبر والزمن والنضج ، وكلها متطلبات لا تقتضيها عملية الهدم** .) إذن لا فائدة ترجى من بناء لا يقع له الإعداد الرشيد سواء تعلّق ببناء الذات المسلمة أو معالجة الآفات التي أصابت العقل المسلم في الزمن الفائت واللاحق .

على أننا إذا كنّا فعلاً نتوق إلى كسر أغلال الهزيمة كما ذكر الشيخ ـ محمد الهادي زيّان ـ فعلينا أن نبدأ بكسرها في أنفسنا ، وإذا رُمنا تحقيق الفوز واسترداد الكرامة فلنحقق ذلك في نفوسنا منذ البداية ، لأن من قواعد منهج الإسلام أن تنطلق معركة التغيير مع النفس أولاً وآخراً .

على أن فتح جبهة الصراع هذه لا تعني الانصراف لطرق الانطواء والتأمل ، بل يتوازى الأمر مع مشروع الإصلاح المزدوج الذي يستلزم أيضاً فتح جبهة الصراع في المجتمع ، على أن أوكد شرط في كسب المعركة أن يؤمن المرء بفاعليّة التغيير ؛ ذلك أن الانتكاسة التي أصابت المسلمين منذ زمن بعيد جعلتهم يستسلمون لسكرة الرضا بالواقع المرير وهزيمة التبرير ، وقد سمعنا من يقول في أحد المساجد بأن حصيلة المرحلة الراهنة أمر مقدور ومنصوص عليها في كتب الحديث وأصول الدين ، ومن الجنون النهوض لتغيير المقدور .

تطلق آيات الكتاب ألفاظاً عديدة على الإيمان بوجوب الإصلاح والتغيير مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة والجهاد والتبليغ ، وكلّها تهدف في حقيقة الأمر إلى ترسيخ مطلب رئيس في أفئدة المسلمين هو تطهير المجتمع من كل دنس ، ومجابهة كل واقع رديء ؛ ولأن مقام المسلم مقام إمامة وتوجيه ؛ فإنّا نجد ضمن قواعد المنهج الإسلامي الدعوة إلى تأنيس الفرد وتبصيره بحقيقته ؛ كي لا يسالم الدهر ويخلد للسكون : ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا**

وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) ومقتضيات المنهج تريد من المسلم البصير وهو في معركتين أن لا يواجه إلا واقعاً رديئاً من صنع العباد : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم : ٤١) ، وبمعنى آخر : من الأصلح للمسلم مواجهة الفساد لا مواجهة العباد ؛ لأن انتشار الأباطيل في مكان ما لا يجتثه من جذوره إلَّا إصلاح مقابل في مكان آخر ، خاصة في عصر لا يملك فيه المسلم أدوات التغيير كاملة ، لكن ظلم بعض المسلمين لأنفسهم يجعلهم لا ينهضون لمثل هذا المشروع الرابح ، بل تراهم طوال الوقت يلعنون الظلام ، ولا يقدرون أن يشعلوا مجرد عود ثقاب يضيء بعض المسالك .

إننا اليوم في حالة دفاع لا هجوم أمام مخططات الأعداء الماكرة ، ولكننا لا نحسن مجرد إفشال مكرهم ، وفي أغلب الأحيان نحن الذين نساعدهم على إنجاح برامجهم !! والأخطر من ذلك أننا حوَّلنا الكتابة في الإسلام نفسه إلى دفاع وتبرير وتأويل . فهل سنظل طوال العمر ندافع ولا نهاجم ؟!

قرأ عليَّ أحد المسلمين إنتاجاً في المجال التربوي وقد رأيته في غاية السرور والانشراح ؛ لأنه استطاع حسب زعمه أن يقحم في بحثه بعض الآيات والأحاديث ، وقد اعتبر ذلك فتحاً مبيناً لأنه نجح في تحرير الإسلام في بحث تربوي لا مساس له بالدين في تصوره ؟! وهذا أمر محزن ومخزٍ لأنه يَضَعُ الإسلام في مرتبة دنيا تجعله يتصالح ويتلاءم مع معارف العصر بشكل حقير وهزيل ، وما درى هذا الإنسان أن العقل المسلم لا يرهب الأفكار والعلوم وهو تحت راية القرآن .

عقبات أخيرة ينبغي تجاوزها لصالح البناء

إننا لو أحسنَّا استعمال مجرد الدفاع لحصل الخير العميم وعلى سبيل المثال حين يعمد الأعداء إلى بناء مشروع يفسد العقول ، فلنعمد نحن إلى بناء يصلح عقولاً أخرى بدل العويل المستمر . إنه من الخير لنا أن نؤسس مشروعاً يصلح عقولاً ويكوِّنها على طريق الإسلام بدل أن نبدد طاقاتنا في محاصرة مشاريع غيرنا التي قد تعمل حملاتنا على إنجاحها ، فمتى يبدأ المسلم المعاصر يفكر بعمق ويدرك بحق ويتجاوز عقلية - سُطَيْح - وينفذ إلى الهدف مباشرة دون التواء ؟! ، إن عيوبنا لا تدعنا نكمل مشروعاً واحداً أبداً وسرعان ما تسيطر عجلة الشيطان على النفوس فتضيع أموال وجهود . إني أخاف أن ينطبق علينا قول القائل : (**نصحت فلم افلح وغشّوا فافلحوا**) . إن أساليب الأعداء تمرق إلى الهدف فتصيبه ، ونحن لا نزال في مرحلة الوصف لم نستعد بعد للرمي والنزال !! فهل يكون الإلحاد أذكى كما عبَّر الشيخ محمد الغزالي ؟ نسأل الله العافية واللطف .

فأمَّا الزَّبــد فيذهب جفــاء ..

إن جهود المسلم ينبغي أن تُخْزَن لتقويم الفعل الإنساني المنحل ، فلا يعمد إلى مواجهة الأشخاص إلا عند الضرورة الملحة ؛ لأن الإيمان بناء اجتماعي وفعل حضاري له من السحر والتأثير الشيء الكثير خاصة مع عامل القدوة ؛ إذ سرعان ما يتكشف الداعية الصادق للناس فيقبلون على دعوته ويقتدون به عن طيب خاطر دون أن يكون قد تكلم بشيء كبير . أما العيب الخطير فيكمن في تجنيد الاتباع ، واعتبار الدعوة مكسباً لمواجهة الباطل بنظرة الانتفاع ، والاستعجال دون تخطيط وتدبير ، والكل يعلم أن كثيراً من الخلط والتشويه علق بمعالم الإسلام بسبب أولئك المستعجلين الذين قدموا صورة مبتورة عن الدين ، والصقوا به الكثير من عيوبهم ، وطمسوا حقائقه الأصلية في عيون المقلدين الذين ينظرون إليه من خلال أتباعه ، ويحتجُّون عليه بما فعل هؤلاء .
والحقيقة أن تحيّن الفرص للمجابهة السياسية ينم عن فهم غير بصير ، ونظر حسير وعجز عن البناء ويخشى أن يكون الهمّ دنيا تصاب ، ومغانم عاجلة تكسب .

إن القضاء على الباطل يستوجب خطة علمية يتبعها ترشيد يستهدف هداية النفوس على طريق الله رب العالمين ، ولا يتحقق ذلك من منظور سياسي محدود يبغي الدعاية والكسب ، لأن الإيمان الحق ليس حلية زينة تطوّق الرقاب ، أو أشكالاً منمقة تلبس طابع الدين . إن الإسلام يرفض الطقوسية والتكلف والتشكل ويريد من أتباعه أن يكونوا أصحاب رسالة رائدة لا تشغل بالهم التوافه ، والحزبية الضيقة لا تكوِّن إنساناً رسالياً أبداً ولكنها تقدر أن تمدنا بقائمة طويلة من الأتباع .

إن السلطة السياسية هي التي تستعمل في الغالب طلاء للظهور بمظهر المتعامل مع الدين فتتمسح به وتعمد إلى بعض أشكاله ورموزه تبرزها وتضخمها ، وعلى سبيل المثال والذكر فإن جميع بلدان العالم الإسلامي تفتتح وتختتم برامجها الإذاعية والتلفزية بشيء من تلاوة القرآن ، وترسل الأذان عبر أجهزتها في كل أوقات الصلاة ، وتشجع على بناء المساجد وتعمد حين يحل الجد إلى تطبيق بعض أحكام الشريعة !!

إن ظاهرة التشكل والموسمية سمة غالبة اليوم في التعامل مع الدين ، وقد تصل إلى حد السخرية والازدراء !! لقد عمدت إحدى البلدان الإسلامية منذ سنوات إلى تشكيل لجان للنظر في مدى مطابقة شريط - فيلم الرسالة - مع تعاليم الإسلام ؟!! في حين تباع الخمور وتنتهك قيم الإسلام في ذلك البلد جهاراً ليلاً ونهاراً !!

إن حكمة الله تعالى اقتضت تفصيل كل شيء ، والمسلم الحق لا يتيه أبداً ما دام تحت راية الكتاب والسنة ، والتلبس بصور الإيمان والطاعة المغشوشة أمر مفضوح لا محالة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً** ﴾ (**الفرقان** : ٢٣) ولأن مناط قبول الأعمال عند الله سبحانه على غاية كبيرة من التنزه والصفاء : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (**المائدة** : ٢٧) . إن الله تعالى لا ينظر إلى الأشكال التي نتظاهر بإبرازها أمام الناس بل سيفضحها يوم القيامة أمام الأشهاد . إن خالق العباد اراد أن يكون الواحد منا محتوىً ومضموناً وروحاً مبدعة قبل أن يكون شكلاً ومظهراً : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى اجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » [رواه مسلم] .

رَوَى « ابن الجوزي » في كتابه (صفة الصفوة) أن « **عمر بن الخطاب** » رضي الله عنه قال لأصحابه يوماً : تمنوا . فقال رجل : أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله عز وجل ، ثم قال تمنوا . فقال رجل : اتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً أو جوهراً أنفقه في سبيل الله عز وجل ، وأتصدق به . ثم قال تمنوا . فقالوا ما ندري يا أمير المؤمنين . فقال عمر : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل « أبي عبيدة بن الجراح » .

إن الأمم التي تنصرف إلى تزويق الأشكال والمظاهر ولا تنفذ إلى أعماق المشكلات سرعان ما تصاب بالتفكك والانحلال ، ومهما كرِّست من جهود في سبيل تشييد المعاهد والمصانع والمراكز المختلفة ، فإن ذلك سيبقى تكديساً شيئياً ينهار تحت ضربات التحلل الأولى .

إن المنهج الإسلامي يعتمد مقياساً آخر لثراء المجتمع ونهضته ، إنه ينهض لمشروع بناء الإنسان الكامل من صنف « ابي عبيدة بن الجراح » وبعد ذلك يبدأ البناء .

مالك بن نبي

منعطف في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي الحديث

مالك بن نبي واحد من ثلاثة حجب فكرهم عن الناس عدمُ اهتمام الدارسين بهم، فقد أمضى في أوروبا أكثر من ثلاثين عاماً متأملاً يحلل ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي.. ولم يكن بين الثلاثة عالم دين واحد فقد كان سيد قطب أديباً وناقداً، وكان علي شريعتي عالماً في الاجتماع، أما مالك بن نبي فكان مهندساً كهربائياً تخرج من كبريات المعاهد العلمية في باريس

ولادته ونشأته

ولد مالك بن نبي عام ١٩٠٥م في مدينة «قسنطينة» بالجزائر، وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينة «تبسة» و«قسنطينة» كما يروي في كتابه «يوميات شاهد القرن»، ونزل بباريس عام ١٩٣٠م وفشل في الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، لأن الالتحاق به بالنسبة لمسلم جزائري في ذلك العصر لا يخضع لمقياس علمي، وإنما يخضع لمقياس سياسي على حد قول مدير المعهد في ذلك الوقت، والتحق بمعهد اللاسلكي حيث تخرج عام ١٩٣٥م مهندساً.

الثقافة المنهجية والحضارة

اتجه الأستاذ مالك نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به، وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء، وقد تساءل ما هي الثقافة؟ ورأى أنه لا يجوز لنا أن نتلهى بتعريف محدد للثقافة، بل علينا أن نبحث عن وظيفتها الاجتماعية في خطة تحليلية نضعها في إطار برنامج قابل للتطبيق.

يقول: «وحين صارت الثقافة تحصيل المعلومات لم تعد وعياً بل عملية تجميع والخوض في التفاصيل بل الخوض في التطبيق العملي أيضاً، وبمعنى آخر نرى أن الثقافة الفلسفية إن صح لي استخدام هذه الكلمة - أي الثقافة التي تدور في فلك فلسفة معينة دون أن تخوض فيها كممارسة - كان في القرن الماضي وحتى عقدين من الزمن، أي حتى أواسط الستينات، مجرد ثقافة تقريرية وليست تحليلية، تهتم بالثابت والجامد بدل أن تهتم بالمتغيرات على كل صعيد..»

ويضيف: «حين اتجهت الثقافة إلى امتداح الماضي أصبحت ثقافة أثرية لا يتجه العمل الفكري فيها إلى أمام بل ينتكس إلى وراء..».

من أفكـــاره..

وكان رحمه الله عميق النظر في استجلاء الحقائق الاجتماعية، وتقصي آثارها في تاريخ الفكر الإسلامي، واضح الرؤية لمستقبله يتمثل ذلك في أفكاره التي تحمل ومضات جهاده واجتهاده في تأصيل دعوته وتقنين الحقائق التي تخدم رسالته، ومن ذلك قوله:

- «لا يكون استعمار إلا حيث تكون هناك قابلية للاستعمار».
- «الحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية».
- «لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار، ولقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان أو تقع حرب فتمحو منه عالم الأشياء محواً كاملاً، أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة على عالم الأفكار، كان الخراب ماحقاً، أما إذا استطاع أن ينقذ أفكاره فإنه

بقلم : محمد سيد بركة

■■ تحظى شخصيات بعديد من الدراسات حولها ، ويُلقى عليها الضوء من كل جانب ، بينما لا يأخذ غيرها حقه الواجب له من الدراسة والتاريخ ، وربما كان حدوث هذه الظاهرة سبباً في ضياع أعمال كثيرين من الأعلام الذين يعتز بهم أي فكر وأية ثقافة ، والعيب قد يكون مبعثه عدم التنظيم والدقة من الهيئات العلمية في تناولها ورصدها للظواهر الثقافية والفكرية ، كما قد يكون مبعثه ظروف خاصة تحيط بهذا العلم أو ذاك : فتمنح هذا اهتماماً وحدباً ، وتحرم هذا من مجرد الذكر ، فيضيع في ركام الأحداث وفي منعطفات الخوف من أن يكون اسمه جالباً الشر على دارسه ■■

يكون قد أنقذ كل شيء ، إذ أنه يستطيع أن يعيد بناء عالم الأشياء » .

كتبـــــه ...

ووضع الأستاذ مالك كتبه جميعاً تحت عنوان : « مشكلات الحضارة » ومؤلفاته التي تصور فكره هي :

١ ـ الظاهرة القرآنية .. صدرت الطبعة الأولى في الجزائر عام ١٩٤٦م باللغة الفرنسية وكتب مقدمتها الدكتور محمد عبد الله دراز ، وصدرت الطبعة العربية الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٨م بمقدمة قيمة للأستاذ محمود محمد شاكر ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات الأستاذ مالك بن نبي .

٢ ـ شروط النهضة ومشكلات الحضارة صدر بالفرنسية عام ١٩٤٨م وصدرت طبعته العربية الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٧م .

٣ ـ الفكرة الافريقية الأسيوية بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونج وصدر بالقاهرة عام ١٩٥٧م .

٤ ـ مشكلة الثقافة ـ صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩م .

٥ ـ وجهة العالم الإسلامي صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩م .

٦ ـ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠م وهو أول محاولة للمؤلف في الكتابة بالعربية .

٧ ـ فكرة كومنولث إسلامي صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠م وهو ملخص من بعض فصول كتاب له بعنوان مشكلة الأفكار في المجتمع الإسلامي .

٨ ـ تأملات في المجتمع العربي صدر بالقاهرة عام ١٩٦١م .

٩ ـ في مهب المعركة صدر بالقاهرة عام ١٩٦١م

١٠ ـ ميلاد مجتمع صدر بالقاهرة عام ١٩٦١م .

١١ ـ مذكرات شاهد القرن وهو ترجمة ذاتية صدر منها جزءان في بيروت عام ١٩٦٩ و ١٩٧٠ بترجمة مروان قنواتي .

١٢ ـ المسلم في عالم الاقتصاد صدر في بيروت عام ١٩٧١م .

في مصر ثم الجزائر

والملاحظ أن معظم هذه المؤلفات صدرت بالقاهرة التي كان فيها الأستاذ مالك لاجئاً سياسياً حيث عمل مستشاراً بالمؤتمر الإسلامي . وفي عام ١٩٦٣م انتقل إلى الجزائر حيث عين مديراً للتعليم العالي ، وأصدر في الجزائر : آفاق جزائرية ـ يوميات شاهد القرن ـ مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي ـ المسلم في عالم الاقتصاد .

وصيتــه ووفاتــه ...

وفي عام ١٩٦٧م استقال من منصبه وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية « وقد ترك للأستاذ عمر مسقاوي في المحكمة الشرعية في طرابلس لبنان وصية سجلت تحت رقم ٢٧٥/٦٧ في ١٦ ربيع الآخر ١٣٩١هـ الموافق ١٠ حزيران (يونيه) ١٩٧١م حمله فيها مسؤولية كتبه المادية والمعنوية » (كتاب الظاهرة القرآنية . طبعة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

وقد توفي في ٣١ أكتوبر [تشرين الثاني] ١٩٧٣م في الجزائر بعد حياة حافلة بالجهاد والفكر والعمل من أجل رقي المجتمع الإسلامي .

هذه شذرات عن المفكر الإسلامي مالك بن نبي .. حياته وفكره وهي جهد المقل ولتكن هذه الإطلالة تحية منا ووفاء إليه في ذكراه .

■■ إن أخطر ما يقع فيه الناقد أن يبني أحكامه على أسس ظنية ، أو يتغافل عن بعض الأمور التي ترتبط بواقع العمل الأدبي ، سواء من ناحية الفترة الزمنية التي نكتب عنها ، أو طبيعة المجتمع الذي نهدف إلى تشخيصه ، والتحديات المطروحة على أرضه ، والشعارات المرفوعة آنذاك في أجوائه السياسية والاقتصادية ، ثم أولويات المشاكل التي تقتضي الدراسة والتحليل والعرض الأمين ، وهناك أمر هام لا يقل خطورة عن الأمور التي طرحناها ألا وهو المراحل المختلفة التي يمر بها أدب الأديب منذ أن يحمل القلم حتى نهاية العمر .. ■■

رأس الشيطان بين التاريخ .. والفن

بقلم : الدكتور نجيب الكيلاني

اقول هذا الكلام نظراً لما اثاره احد الإخوة الافاضل على صفحات مجلة « الامة » الغراء في عدد سابق حول رواية « راس الشيطان » ، فقد تناول في معظم ما كتبه جزئيات محدودة ، جعل منها مآخذ مضخمة ، وللأسف لم يتناول الانطباع الأكبر الشامل للعمل الادبي ، وهو امر حيوي لا يمكن تجاهله ، فقد ذكر أن هذه الطبعة هي الأولى ، وانها صدرت في عام ١٩٧٩م ، والواقع ان الرواية كتبت في عام ١٩٦٠م ، ثم قام بنشرها « حمدي احمد مصطفى » صاحب دار نشر بالفجالة (القاهرة) بل وقدمها إلى وزارة التربية والتعليم هناك ، حيث وقع الاختيار عليها لتعمم على مكتبات المدارس الثانوية ، ولدي العقد القديم لطبع هذه الرواية الطبعة الأولى ، وكان أحرى بالناقد ان يتحفظ إزاء تاريخ الطبعة الأولى ـ وذلك مهم كما سنرى فيما بعد ـ خاصة وأن الأخ الناقد نفسه قد ادرك ان الغلاف مكتوب عليه « راس الشيطان وقصص اخرى » ، مع انها رواية وليس فيها اية قصة قصيرة اخرى ، ولو سأل الناقد أخاه الناشر لعلم أنه طبع هذه الرواية من طبعة سابقة ..

الأمر الثاني : أن هذه الرواية ـ كما ذكر الناقد ـ تتعرض لفترة تاريخية حاسمة تمتد ما بين ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥م ، وهذه فترة لها طبيعتها الخاصة ، كانت هناك مشاكل اساسية يعاني منها الناس في مصر ، على راس هذه المشاكل ، انتهاك الدستور بل إلغاؤه ، ووضع دستور ملفق يكرس القهر والكبت والظلم ، ويحمي طبقة الطغاة والمستغلين والفاسدين ، وكانت الشعارات المرفوعة في تلك الفترة يغلب عليها الطابع الوطني الإقليمي ، وكانت مشكلة الحرية هي التي تؤرق رجال الفكر والسياسة ، كما كان هاجس الوحدة العربية ، هو الدائرة الأشمل التي اكتسبت إلى صفها عدداً قليلاً من رواد الفكر والادب ، وكان دعاة « المصرية او الفرعونية » هم فرسان الساحة ، تقرا عن ذلك في كتابات سلامة موسى وطه حسين ، وتقرا ايضاً بعد ذلك « عودة الروح » لتوفيق الحكيم ، و « كفاح طيبة » لنجيب محفوظ ، بل إن زعيماً مصرياً كبيراً عرف عنه الميل للخلافة الإسلامية قال قبل ذلك « لو لم اكن مصرياً لوددت ان اكون مصرياً » ، ولم يقل لو لم اكن مسلماً ـ او حتى عربياً ـ لوددت ان اكون مسلماً او عربياً ، وقد اختلطت مشكلة الدستور بمشكلة الاحتلال البريطاني ، وساد شعار « الاستقلال التام او الموت الزؤام » و « مصر للمصريين » ، ولم تكن الحركة الإسلامية الحديثة بقيادة الإمام الشهيد حسن البنا قد تبلورت بعد او اتسع نطاقها ، ولم يكن لها صحيفة او مجلة ، فإذا أراد كاتب رواية في هذا الوضع ـ وهي رواية تاريخية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ـ أن يطرح الشعارات الإسلامية في اتساع ، ويجعل منها قضية اجتماعية سياسية شاملة ، أو يجعل منها تياراً قوياً جارفاً له ثقله الكبير ، إذا فعل الروائي التاريخي ذلك ، فقد جانب أمانة التاريخ وخرج على صدق الوقائع والأحداث ، وعبث بسياق مجريات الأمور ، لكن هل يعني ذلك خفوت « الصوت الإسلامي » تماماً ؟؟ لم نقل ذلك ، « فالشخصية الصوفية » ونحن جميعاً نعرف مواصفاتها في تلك الفترة في بلادنا ، استطاعت أن تستخدم الرمز ، والا تقف سلبية ، فالتصوف في الريف ، ومسجد القرية ، وجهود علماء الدين المخلصين ، هي التي زودت الفلاحين بطاقات الثورة والتمرد على الظلم والفساد ، والدراسة الواقعية المتأنية لشخصية الصوفي في الرواية ، سوف تخرج لنا دلالات أوسع وأعمق مما خرج به أخونا الناقد ، ومن المعروف أن مجتمعنا الإسلامي في اي بلد عربي لا يستطيع الإفلات من قيم الإسلام ومعاييره ، حتى لو اتخذ في الحياة أسلوباً مغايراً ، او حمل شعارات مناوئة ، أو ارتكب بعض الحماقات السلوكية والفكرية ، ونلاحظ ذلك جلياً في الحوار ، وتصرفات الأشخاص ، وبلورة المواقف في أحكام او حكم .

واذكر في هذا المقام الراي المشهور للإمام الشهيد رحمه الله حينما قال في إحدى رسائله ما معناه : إننا وطنيون حتى تتحرر مصر ، ومؤمنون بالوحدة العربية حتى يتجمع العرب ، ثم تاتي مرحلة الوحدة الإسلامية التي ننشدها ، والتي نبرزها في اية مرحلة من المراحل ، إن استراتيجية العمل السياسي شيء ، والمنى والأحلام والمثاليات شيء آخر ، المهم الهدف الاسمى ، وهو يحتاج لجهد وتخطيط ودأب ، ولا يتحقق هكذا دفعة واحدة بين عشية وضحاها .

كانت هناك إذن مشكلة الدستور .. والاحتلال .. والحرية ، أضف إليها مشكلة الظلم الاجتماعي واستغلال الفقراء والبطش بهم وكانت هناك مشكلة « الإعلام الفاسد الموجه » الذي ينشر سمومه واكاذيبه في كل مكان ، وكان هناك العداء الشديد لحكم الاتراك وكثير من ممارساتهم الخاطئة ، والضعف والوهن اللذان ألمّا بدولتهم والمؤامرات الاستعمارية عليهم ..

إن هموم الأمس ليست هي هموم اليوم .

وابناء جيل الثلاثينيات غير أبناء جيل الثمانينيات ..

يقال إن أحد رؤساء الوزراء سئل عن رايه في قضية فلسطين آنذاك فكان رده : « انا رئيس وزراء مصر ، ولست رئيس وزراء فلسطين .. » ايمكن ان يقول هذا القول اليوم رئيس اية دولة عربية أو إسلامية ؟؟

الرواية التاريخية ..

الرواية التاريخية لها أصولها والتزاماتها ، ويجب ان نتفق بادىء ذي بدء على ذلك .. اذكر انني عندما كتبت روايتي « دم لفطير صهيون » ، وهي تدور اساساً حول واقعة ذبح يهود دمشق لأحد

■ إن هموم الأمس ليست هي هموم اليوم .. وأبناء جيل الثلاثينيات غير أبناء جيل الثمانينيات ..

■ إن مسجد القرية في الريف المصري ، وجهود علماء الدين المخلصين ، هي التي زوَّدت الفلاحين بطاقات الثورة والتمرد على الظلم والفساد ، خلال العقد الرابع من هذا القرن .

■ من عقائد اليهود ، أن فطير عيد الفصح ، لا بد أن يدخل في عجينته دم مسفوح من بعض ضحاياهم الذين يذبحونهم لهذا الغرض ..!!.

القساوسة وخادمه ، لاستخدام دمهما في فطير عيد الفصح ، وكان الهدف من الرواية فضح عقائد اليهود الفاسدة ، وحماقة احبارهم وسخافات احكامهم في التلمود وما إلى ذلك ، وقد احضر لي الناشر ملفات القضية كاملة ، وفيها اقوال الشهود والمتهمين ، ومن حضر التحقيق من قناصل الدول (١٨٤٠ ـ دمشق) ، ووفقنا الله في طرح الموضوع في شكل روائي ادبي ، جعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينوه بالعمل ، لكني وجدت من ياتي ليلومني عن إبراز قضية رجل ليس دينه الإسلام ، حتى لكان الادب الإسلامي لا يصح ان يتجاوز « المسلم » ...

كان ذلك هو مجتمعنا في الثلاثينيات ، مجتمعنا بحسناته وسيئاته ، بتدينه ومروقه ، بنزعاته السياسية والاجتماعية ، وبفكره ، وباجتهاداته وممارساته الخاطئة والصحيحة ، الم نقل إنها رواية تاريخية ؟؟

اما ما قاله الاخ عن وصفي للمراة وملابسها وعواطفها وسلوكها في بعض مشاهد الرواية ، والعلاقات الثنائية بين رجل وامراة ، فإن العبرة فيها بما تتركه في نفس المتلقي من انطباع ، ومن الصعب على كاتب أن يصب النساء في قالب معين ، فكراً وملبساً وسلوكاً ، فهو إلى جانب منافاته للواقع ، قد يعوق عملية الصراع التى هي لب العمل الدرامي ، والصراع دائماً كما نعلم يدور بين الخير والشر ، والخوف والشجاعة ، والقوى المتباينة ، والأخلاقيات المتناقضة ، سواء اكان ذلك الصراع داخلياً او خارجياً ، وطبيعة الصراع ـ كما هي طبيعة النفس والحياة ـ أن تتصادم الأضداد ، وتتصارع النوعيات المختلفة ، وصولاً إلى نتيجة او محصلة نهائية .. وأحيل أخي الناقد إلى هذا الحوار من كتاب الله :

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ
وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ
وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾

وايضــــاً :

﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ... ﴾

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فيه ، وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ... ﴾

ترى ماذا كانت تلبس امراة العزيز ؟؟ وما هي وسائل الإغراء التي تسلحت بها ؟؟ وما هي المحاولات المستميتة المتوالية التي لجأت إليها ؟؟

بقيت مسألة الوسيلة والغاية ، ولا خلاف على أن نظافة الوسيلة من نظافة الغاية في ديننا الحنيف ، وهو امر سجلناه في العديد من مؤلفاتنا ولا خلاف عليه مطلقاً ، وما جرى بالنسبة لبطلة القصة ، من خداعها لبعض جنود الاحتلال ، لاصطيادهم وقتلهم ، لا ينفي التزامنا بالمبدأ الإسلامي الاسمى ، ووقائع الخديعة تلك ضرب من الاجتهاد الشخصي ، قد تختلف عن مشروعية استخدامه في الرواية ، ولكل رايه ، ولكن يبقى اتفاقنا على ضرورة نظافة الوسيلة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « الحَرْبُ خُدْعَةٌ » ، ويقول « ... إنَّها الحَرْبُ والمَكِيدَةُ » .

اما الأمر الذي لا بد من تبيانه ، فهو عدم مقدرة الناقد في بعض الأحيان ـ وله العذر في ذلك ـ على الإلمام بآثار الكاتب وأقواله والنقد الذي كتب عنه ، وببعض الأمور المتعلقة بحياته .. وهذه العناصر كلها لا يمكن تجاهلها .. لقد قلت اكثر من مرة إن حياتي الأدبية تنقسم إلى مراحل ثلاث :

● **اولاً** : مرحلة التقليد والتعشق لفن القصة ومحاولة كتابتها ، والنهج على اسلوب عمالقة القصة في الشرق والغرب ، وهي مرحلة يمكن ان نطلق عليها مرحلة « **الفن للفن** » ، على الرغم من تناولها بعض القضايا الاجتماعية والنفسية والإنسانية بصفة عامة ، بل والدينية ايضاً .

● **ثانيـاً** : المرحلة الثانية ، وهي مرحلة تبني قضايا المجتمع الذي أعيش فيه ، وما يعانيه من فقر وظلم وتمزق وحيرة ، والدعوة لقيم العدل والحرية والإخاء (وهي الفترة التي كتبت فيها رواية راس الشيطان) .

● **ثالثاً** : المرحلة الثالثة ، وذلك بعد أن أصدرت كتابي « **الإسلامية والمذاهب الادبية** » ، و « **الطريق إلى اتحاد إسلامي** » ، وكان صدورهما حسبما اذكر في عام ١٩٦٢م عن « دار النور » بطرابلس (ليبيا) ، وقد صودرت نسخ الكتاب الثاني الموجودة في بعض مكتبات القاهرة آنذاك ، منذ تلك الفترة بدأت تدريجياً في التركيز على الرواية الإسلامية ، ومحاولة البحث عن شكل مناسب لها ، يستقيم مع قيمنا الإسلامية ، ويستجيب له القارىء العادي ، ويقنع النقاد ، وهي ـ كما هو واضح ـ معادلة صعبة ، لكن النتيجة كانت طيبة والحمد لله ، فبعض روايات تلك الفترة طبعت اكثر من (١٢) طبعة ، كما ترجم بعضها إلى لغات أجنبية ، واذكر من هذا الصنف الاخير الروايات التالية :

ـ ليالي تركستان .
ـ عمالقة الشمال .
ـ عذراء جاكرتا .
ـ عمر يظهر في القدس .
ـ قاتـل حمـزة .
ـ الظـل الأسـود .
ـ دم لفطير صهيـون .
ـ نور الله (جـزآن) .
ـ رحلـة إلى الله .
ـ رمضان حبيبي ... إلخ .

ومن الشعر مجموعات « **اغاني الغرباء** » ، و « **عصر الشهداء** » ، و « **كيف القـك** » ، ولا يعني ذلك أن المرحلتين السابقتين كانتا خواء من « **الأدب الإسلامي** » ، فهناك روايات تاريخية مثل « **اليوم الموعود** » عن فترة الحروب الصليبية ، ومسرحية « **على اسوار دمشق** » عن حرب التتار ودور الإمام الورع **احمد بن تيمية** ، و « **طلائع الفجر** » ، ومجموعة « **دموع الأمير** » ، وغيرها ..

ترى لو ألمَّ اخي الناقد بهذه الأمور وغيرها مما لا يتسع المجال للخوض فيه ، أكان يصر على أحكامه التي طرحها ؟؟ لقد كان في نيتي عدم الرد ، فرأيي أن اترك النقاد يكتبون آملاً أن ينبري ناقد آخر لتوضيح الأمور ، ولم افكر في الخروج عن مبدئي هذا إلا مرتين : هذه المرة ، ومرة أخرى في عام ١٩٦٠م حينما كتبت رداً في مجلة الإذاعة على الأستاذ الناقد الدكتور « **فؤاد دوّاره** » حول رواية « **اليوم الموعود** » ، وأظنني بعد ذلك عائداً إلى موقفي الأصلي .. إن مهمتي أن اكتب .. وان استفيد مما اراه صالحاً من احكام النقاد ، وعلى الجميع من المهتمين بحركة الفكر الإسلامي والأدب الإسلامي ، أن يثروا أدبنا بالحوار البناء ، والدراسات الجادة ، والتحليل المستفيض ، بذلك يستطيع خطنا الفكري أن يقوى ويتدعم ويفرض وجوده ، لأنه لا إصلاح بدون تقديم « **البدائل** » الأدبية المقنعة ، حتى تنفي الخبث ، وتطرد الدخيل ، وتؤصِّل معتقداتنا ، فمرحباً بالمزيد من التجارب .. ومرحباً بالمزيد من النقد .. والله الموفق .

الطبري في كتابه تهذيب الآثار

إن هذا ليعني أن المحدثين في منهجهم الصارم في رواية الحديث و « نقده » ونقد « رواته » و « حملته » قد أفادوا من هذه الدراسة المنهجية الناقدة في « **الجرح والتعديل** » في الكتابة التاريخية ، وليس عجيباً أن تجد المؤرخين ومنهم : ابن سعد والطبري وابن الأثير وغيرهم ممن سبق وممن خلف نقاداً للمقولة التاريخية يقلّبون فيها الرأي فيسترجحون منه ويرفضون منه ، ويقفون من حَمَلة الأخبار موقفهم من حَمَلة « **العلم الشريف** » وهو حديث رسول الله ﷺ .

وقد كان من عجبي أن أقرأ لعالم جليل من علماء الشيعة تجريحه للإمام البخاري ، ونعته بنعوت لا تليق ، وهو يكتب « **تقديماً** » لكتاب في حديث « **السقيفة** » . قلت : لقد عجبت مما قرأت ، لعلمي أن الإمام البخاري صاحب « **المسند** » وصاحب التاريخ الكبير قد احسن وأفلح في هذا العلم الشريف من « **الحديث** » و « **التاريخ** » و « **التفسير** » وإنه كان يتحرى العلم الصحيح

تهـذيب الآثـــار للطبـــري . .

وإني لأخلص في هذا الموجز إلى شيء يتصل بكتاب جليل للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المشهور ، وكتابه هذا هو « **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ في الأخبار** » وهو الكتاب الذي مات الطبري ولم يُتمه .

ألّف أبو جعفر الطبري الإمام كتابه على طريقة المسانيد ، وهو في أجزاء عدة ضاع أكثرها ولم يبق منه إلا سفر فيه قسم من « **مسند عمر بن الخطاب** » ، وسفر فيه شيء من « **مسند علي بن ابي طالب** » ، وسفر فيه قسم من « **مسند عبد الله بن عباس** » .

وقد جاء في صفة هذا الكتاب ما كتبه **تاج الدين السبكي** فذكر ترتيب المسانيد ، أولها « **مسند العشرة** » ، وهم العشرة المبشرون بالجنة رضوان الله عليهم أجمعين :

ابو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبدالرحمن بن عوف ، وابو عبيدة بن الجراح .

وهذا الترتيب أثبته محقق الكتاب من « **مسند احمد بن حنبل** » ، وقد تكلم على هذه المسألة ما فيه الكفاية .

لقد ذهب الأوائل إلى أن **ابا جعفر** قد نهج في كتابه هذا منهجاً فريداً لم يسبق إليه ، ولا يشبهه شيء من الكتب التي أُلفت بعده ، ولولا أنه مات قبل إتمامه ، لكان عمدة عند علماء الحديث وأئمة الفقه .

لقد عدّوا « **تهذيب الآثار** » هذا من أجل كتب أبي جعفر ، فقد أثنوا عليه واقتبسوا منه واستشهدوا به ، وكان الحافظ ابن حجر أكثر من أفاد من هذا الكتاب ولا سيما في كتابيه « **فتح البـاري** » و « **تهذيب التهذيب** » ، **كما لا تعدم أن تجد أثر هذا الكتاب في سائر كتبه الأخرى**

وقد افاد منه ايضاً ابن التركماني ، من علماء القرن الثامن الهجري في « الجوهر النقي في الردّ على البيهقي » ، وهذا ما افدته مما ذكره المحقق شيخنا الجليل .

لقد اضطلع الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر بتحقيق الأجزاء التي بقيت من « تهذيب الآثار » فظهر منه الآن ثلاثة أسفار ، أولها : « **مسند علي بن ابي طالب** » وهذا هو الذي أقف عليه الآن آملاً أن يتهيأ لي الوقوف على السفرين الثاني والثالث .

قلـت : لا ادري بأيهما أنا أشد فرحاً ، أبظهور هذا الكتاب بعد أن عفي أثره ، وحُسب من النفائس الضائعات ، أم بتحقيق الأستاذ الجليل الذي اضطلع به وقدّم له وخرّج أحاديثه وهو أبو فهر الأستاذ **محمود محمد شاكر** ؟

ومن حق الإنصاف علي أن أشيد بعمل المحقق الذي أضاف إلى فوائد الكتاب النفيسة فوائد أخرى هي أعلاق نفيسة تتجلى في التعليقات البارعة وكالذي ينبهر منه المستفيد من قراءة مقدمة شيخنا المحقق الجليل .

ثم مـاذا ؟ ما أظن إلا أن طالب هذا العلم ليجد في جهد الأستاذ المحقق

بقلم : الدكتور . ابراهيم السامرائي

■■ لقد عُني المسلمون طوال تاريخهم بالحديث الشريف عنايتهم بالتنزيل العزيز، فكما كان من عنايتهم بكلام الله أن كان لهم جملة علوم هي علوم القرآن، وعلوم أخرى هي « العلوم العربية »، كذلك كان للحديث جملة علوم تتناول « مصطلحه » وفوائد أخرى، وهي في جملتها « علوم الحديث »، وقد أُلِّف في هذه المسائل مصنفات جليلة الأثر.

وإذا كانت لغة التنزيل العزيز قد أدَّت فيما أدَّت إليه إلى درس « العربيـة » وتاريخها، فإن الحديث الشريف قد أدّى إلى الدرس التاريخي وأريد به ما يدعى بـ « علم التاريخ » أو « كتابته » وهو الذي يدعوه الغربيون بـ « Historiography »، وإنه لشيء ذو دلالة أن يكون « المحدِّثون » والذين صنَّفوا في تاريخ المحدثين من أهل الطبقات و « الرجال »، ممن صنَّف في « التاريخ » على نحو ما درج عليه أهل « الحوليات » مراعاة للسنين، أو ممن كتبوا في « الخطط » أو ممن صنفوا في « الرجـال ». وإنك لتجد طائفة كبار المحدثين الأوائل « مؤرخين » كتبوا في « التاريخ الكبير » وفي « الرجـال » أيضاً ■■

محدِّثاً بارعاً، له مراس جاد ونظر ثابت في معرفة الحديث ورجاله، وإن ذلك ليبدو مما صنعه من فهارس الأسانيد ورواتها وطبقاتهم، وقد بلغ في هذا من الإتقان وحسن التاتي حداً يضيء الطريق للسائرين في هذا الجدد.

ثنـاء الأوائـل على الكتـاب . . .

وقبل أن آتي إلى مادة « الكتـاب » يحسن لي أن أستوفي الكلام على « مقدمـة » المحقق، وذرء يسير مما قبسته من منهج المؤلف في تصنيف كتابه.

قلـت : لقد أعجب بالكتاب الأوائل فقال فيه « النديم »[1] في « الفهرسـت » عند ذكره لكتاب الإمام أبي جعفر الطبري : (... كتاب « تهذيب الآثار » ولم يتمَّه والذي خرَّج منه ما انا ذاكره) غير أنه لم يذكر ما وعد به لخرم واقع في نسخة « الفهرست ».

وممن أثنوا على الكتاب الخطيب البغدادي في ترجمته في « تاريخ بغداد : ١٦٣/٢ » فقال وهو يذكر بعض كتبه : (... وكتاب سمَّاه « تهذيب الآثار » لم ار مثله في معناه، إلّا انه لم يتمَّـه).

قلـت : وتعليق الخطيب البغدادي على الكتاب وإشادته به ذات دلالة كبيرة، وذلك لعلمنا أن الخطيب من رجال الحديث، وأنه صاحب دراسة في « الرواية » و « الأثر » وله في هذه الأبواب مصنفات معروفة.

وذكر « الكتـاب » وأثنى عليه ياقوت الحموي في كتابه « معجم الأدباء ٤٤٨/٦ » وهو يشير إلى مصنفات الطبري فقال :

(... ومنها : كتاب « تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار »، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله، وتصعب عليهم تتمته. قال ابو بكر بن كامل[2] : لم ارَ بعد ابي جعفر اجمع للعلم وكتب العلماء، ومعرفة اختلاف الفقهاء، وتمكنه من العلوم منه، لاني اروض نفسي في عمل « مسند عبدالله بن مسعود » في حديث منه، نظير ما عمله ابو جعفر، فما احسن عمله ولا يستوي لي).

وقال أيضاً، وهو يذكر نصيحة ابي جعفر لتلاميذه، فيما روى عنه ياقوت « ٤٤٩/٦ » :

(... وكان « يعني ابا جعفر » يجتهد باصحابه أن يأخذوا « البسيط »[3] و « التهذيب »، ويجدوا في قراءتهما، ويشتغلوا بهما دون غيرهما من الكتب).

وذكر « الكتـاب » أيضاً تاج الدين السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ) في كتابه « طبقات الشافعية : ١٢١/٣ »، فقـال :

(... وابتدأ تصنيف كتاب « تهذيب الآثار » وهو من عجائب كتبه، ابتداه بما رواه ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، مما صح عنده سنده، وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقه، وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب، فتم منه « مسند العشرة، واهل البيت والموالي، ومن مسند ابن عباس قطعة كبيرة، ومات قبل تمامه) ثم نقل كلام الخطيب البغدادي.

وآخر من نوَّه بـ « الكتـاب » الحاج خليفة (١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ) في « كشف الظنون : ٥١٤/١ » فقال :

(... تهذيب الآثار لابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وهو كتاب تفرَّد في بابه بلا مشارك).

منهج المؤلـف في « تهـذيب الآثـار » . . .

لقد أشرنا إلى أن العلماء قد أشاروا إلى أن المؤلف لم يسبق إلى مثل هذا الكتاب، وقد أوفى تاج الدين السبكي على ما يمكن أن يكون من خصائص منهج المؤلف فيه.

غير أن ما يجدر أن يشار إليه مما لم يذكروه هو ما أشار إليه شيخنا المحقق البارع في قوله :

(... إن ابا جعفر حين يفرغ من ذكر اختلاف العلماء، وذكر حججهم في اختلافهم، يتبعه بصواب القول عنده، اي بمذهبه هو في

المسالة ، وحجته في صواب ما يذهب إليه ، على الأصول التي قرّرها في كتابه « كتاب الرسالة » ، كما أشار إلى ذلك في الصفحتين[٤] : ٣٣ ، ٣٤[٥]) .

وقد أشار المؤلف إلى انه صدّره بمقدمة في « مسند ابي بكر » وهو أول الكتاب ، ذكر فيها ، أكبر الظن ، شروطه ومنهجه في تأليف الكتاب ، وذلك حين سرد الأخبار التي جاءت في ذِكْر الرجل الذي نادى بمنىً بالنهي عن صوم أيّام التشريق عن أمر رسول الله ﷺ إياه بذلك ، واختلاف الرواية في اسم المنادي بذلك من الصحابة فقال ابو جعفر :

(... « فإن قال لنا قائل : ما انت قائل في هذه الأخبار التي رَويتها لنا ؟

فإن قلت : إنها صحاح ، قلنا لك : فما وجه اختلافها في المنادي الذي نادى بالنهي عن صوم أيّام التشريق عن أمر رسول الله ﷺ إياه بذلك ؟ وإن قلت : إنها غير صحاح ، قيل : فما وجه ذكرك لها ، وقد شرطت لنا في أول كتابك هذا ، أنك لا ترسم إلا ما كان عندك صحيحاً ؟

قيل : أما الأخبار التي ذكرناها ، فإن منها عندنا صحاحاً ، ومنها غير صحاح ، ولم نذكر ما كان عندنا غير صحيح ، استشهاداً به على دين ، ولا على الوجه الذي شرطنا في كتابنا هذا أن لا نذكره ، إذ كان الذي شرطنا في أول كتابنا هذا ترك ذكره فيه ، هو ما لا نراه في الدين حجّة ، إلا الحكاية عمّن احتج به في توهين خبر ، أو تأثير مقالة هو بها قائل ، عند ذكر مقالته وما اعتل به لها .

وإنما أحضرنا ذكر ما لم نر من هذه الأخبار صحيحاً في هذا الموضوع ، لاعتلال من اعتل به في توهين خبر « يوسف بن مسعود الثقفي » الذي رواه يحيى بن سعيد حكاية عنه[٦] ، لا احتجاجاً به منّا . على أن ذلك كله لو كان صحيحاً ، لم يكن في اختلاف الرواة في اسم الذي سمعوه ينادي بما ذكرنا يومئذٍ ما يوهن الخبر ، ولا يزيله عن أن يكون حجة على من دان بتصحيح القول بخبر الواحد العدل . وذلك أنه جائز أن يكون رسول الله ﷺ وجّه ذلك اليوم كلّ رجل ممّن ذُكر انه سُمع ذلك اليوم ينادي بما ينادي به في ناحية من نواحي منىً ، فسمع أهل كل ناحية منها مَن وُجّه إليها ، فأخبروا باسم من سمعوه ينادي بذلك .

وذلك إذا كان كذلك لم يكن اختلافاً ، بل يكون تأييداً وتوكيداً ، وغير جائز حمل ما حَمَلَته الثقات من الآثار على الفاسد من الوجوه ، ولها في الصحة مخرج[٧]) .

ويقول المحقق الجليل في هذا النص المتقدم :

فبيِّن جداً أن أول شروطه في « كتابه » هو ذكر ما صح عنده سنده من الحديث عن رسول الله ﷺ ، وترك ذكر ما لم يصح عنده سنده ؛ وإذا ذكر ما لم يصح سنده ، فإنما يذكره لأنه مما احتج به محتج في تأييد مقالة يقول بها ، أو في توهين خبر هو عنده صحيح ، ولكنه حين يذكره ، لا يذكره استشهاداً به .

ومن شرطه أيضاً أن يفصل القول في الآثار الصحيحة ، إذا اختلفت في ظاهرها ، ليجمع بينها على وجه يخرجها مخرجاً صحيحاً ، بريئة من الاختلاف الظاهر عند أول النظر ، وذلك لأنه غير جائز عنده ، حَملُ ما حملته الثقات من الآثار عن رسول الله ﷺ على الفاسد من الوجوه ولها في الصحة مخرج . وانظر مثال ذلك في (الحديث : ١ ، ١م) ، والأخبار : ١ ـ ٨٦ ، ثم ما قاله بعد ذلك (ص٣٣ ، ٣٤) في الجمع بين حديث : « فِرَّ مِنَ المجذوم فرارك من الأسد » ، وحديث : « لا تديموا النظر إلى المجذَّمين » وسائر أخبار هذا الباب[٨] .

وليس هذا موضع استخراج شروط ابي جعفر التي نرجح أنه ذكرها في مقدمته « تهذيب الآثار » لكنه موضع تنبيه لذلك ، لمن يَرَىٰ في نفسه قدرة على استخراج قواعد أبي جعفر في تصحيح الأحاديث والآثار ، وعلى تبيان طريقه في الجمع بين معاني الآثار المختلفة ، وعلى استنباط أصوله التي بنى عليها مذهبه في الفقه .

ويخلص الأستاذ الجليل إلى القول : وهذا أمر ينبغي أن ينتدب له من يرى في نفسه القدرة عليه ، بعد ما أصاب كتبه التي كتبها في مذهبه وفي أصول مذهبه ، ما أصابها من الضياع ، مثل « كتاب الرسالة » الذي ذكرته آنفاً ، وكتاب « مختصر لطيف القول في احكام شرائع الإسلام » وكتاب « البسام من شرائع الإسلام » ، وكتاب « الخفيف في شرائع الإسلام » مما أشار إليه ابو جعفر في « تفسيره » وفي هذا « الكتاب » ، وهما ، إن شاء الله ، مغنيان أكبر الغناء في تحرير بعض أصول أبي جعفر التي بنى عليها خلافه لمن سبقه من الأئمة رضوان الله عليهم[٩] .

أمثلة من الكتاب . . .

ولنبدأ بشيء من « الكتاب » لنتبين طريقة ابي جعفر في سرد الأخبار وكيف يقف منها :

قال ابو جعفر في : ذكر ما لم يمض ذكره من اخبار ثعلبة بن يزيد الحِمّاني عن علي رضوان الله عليه ، عن النبي ﷺ .

١ ـ حدَّثنا ابن حميد قال ، حدثنا هارون بن المغيرة قال ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن ابي ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد الحِمّاني قال : سمعت علياً يقول : قال رسول الله ﷺ :

لا صَفر ، ولا هامة ، ولا يُعدي سقيم صحيحاً . قلت : أأنت سمعتَ هذا من النبي ﷺ ؟ قال : نعم[١٠]

٢ ـ حدَّثنا ابن حميد قال : حدَّثنا عبد الله بن الجهم قال : حدَّثنا عمرو عن ابي قيس عن سفيان ، عن حبيب ، عن ثعلبة ، عن علي ، عن النبي ﷺ ، مثلـه .

القول في علل هذا الخبر ...

وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين ، سقيماً غير صحيح .

وذلك أنه خبر لا يعرف له مخرج عن علي عن النبي ﷺ ، إلَّا من هذا الوجه . والخبر إذا انفرد به منفرد وجب التثبّت فيه . وقد حدَّث هذا الحديث عن حبيب بن ابي ثابت ، عن ثعلبة ، غير سفيان ، غير أن في اسانيد بعضها بعض مَنْ في نقله نظر .

وكان ابا جعفر الطبري أراد أن يقوي الأخذ بهذا الخبر فقال :

وافق علياً - رحمة الله عليه - في رواية هذا الخبر عن رسول الله ﷺ جماعةٌ من اصحابه ، نذكر ما صح عندنا سنده ، ثم نتبع جميعه البيان ، إن شاء الله .

ذكر ذلك :

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال : أخبرنا ابن وهب قال ، اخبرني يونس قال ، قال ابن شهاب ، حدَّثني ابو سلمة عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : لا عدوىٰ ، ولا صَفَر ، وَلا طِيَرة ، وَلَا هامة . فقال الاعرابي :

يا رسول الله ، فما بال الإبل تكون في الرمل كانها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها ، فتجرَب كلها ؟ قال : فمن اعدى الأول ؟[11]

ومن منهج الطبري أن يعرض لما في « الخبر » من فوائد فقهية فهويشير إلى هذا مما يستفاد مما كان للعرب في الجاهلية من التطير ، واتقاء مخالطة ذي الداء .

وفي « مسند علي » هذا جملة من الأثر صح فيها السند ووقف فيه القول عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ولم يرفع إلى النبي ﷺ .

كلمة أخيرة ...

وفي حديث رسول الله ﷺ فوائد جمة . وقد أدرك علماء الحديث هذا فكان في مسانيده أسفار وكتب ، نحو : كتاب الطب ، وكتاب الفضائل ، وما ورد في الأخلاق والسلوك .

وعلى هذا كان الحديث مظنة فوائد ، فأنت تستطيع أن تفهم الكثير مما يتصل بالسلوك الاجتماعي من الحديث .

غير أننا لم نحسن الإفادة من الحديث ، وحسبك أن تعرف أن مناهج الدرس في كليات الآداب قد خلت من مادة الحديث ، فقد يخرج الطالب وليس له من أدب الحديث شيء يدخل في المنهاج اللغوي ومكان الحديث في تاريخ العربية وتطورها .

وأخلص بعد هذا الموجز فأشير مرة ثانية إلى حسن صنعة الأستاذ المحقق البارع في إخراج هذا السفر النفيس ، وإلى جهده الكبير في نظم فهارس رواة الحديث وقد سلكهم في طبقات خمس من شيوخ الطبري ومن رووا عنه .

هوامش ومراجع :

(١) اشتهر محمد بن إسحاق بكنية هي « ابن النديم » ، ثم ظهر باخرةٍ تعديل لهذا فقيل « النديم » وقد كتب العلماء الفرس في هذا ، وذهبوا إلى ان الصحيح هو « النديم » ، وعلى هذا كان محقق « الفهرست » في طبعته الإيرانية الأخيرة ؛ وكان شيخنا الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر ممن يذهب إلى هذا ، ومن اجل ذلك ما اثبته في « مقدمته » مما اشرنا إليه في هذه الصفحة .

اقـول : وقد شاع من هذا الغلط في إثبات « الشهرة » شيء كثير ، ومنه قولهم : كتاب « الأنساب » للسمعاني ، فالسمعاني جَدّ المؤلف صاحب « الأنساب » . انظر « التحبير في المعجم الكبير » للمؤلف طبعة الأوقاف بغداد ، ومثل هذا يقال في الإنصاف في مسائل الخلاف » لابن الأنباري ، والصواب « الأنباري » ، وهذا عكس الأول .

(٢) ابو بكر احمد بن كامل بن خلف القاضي البغدادي الحافظ ، احد اصحاب محمد بن جرير الطبري المتوفىٰ سنة ٣٥٠هـ . احد المشهورين في علوم القرآن وغيرها من العلوم .

(٣) « البسيط » في أحكام شرائع الإسلام ، من كتب المؤلف في الفقه ، ولم يتمه ايضاً .

(٤) لعل « كتاب الرسالة » هذا مما وضعه ابو جعفر على غرار « كتاب الرسالة » للإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٥) تهذيب الآثار (مسند علي بن ابي طالب) ، مقدمة العلامة محمود محمد شاكر ص ١٠ .

(٦) يعني الخبرين : ٣٩٣ ، ٣٩٦ من « مسند على بن ابي طالب » موضوع بحثنا .

(٧) المصدر نفسه ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٨) تهذيب الآثار (مسند علي) مقدمة المحقق ص ١٢ .

(٩) المصدر نفسه ص ١٣ .

(١٠) في هذا الخبر انتهت الرواية إلى ثعلبة بن يزيد الحماني ، كما انتهت إليه من طرق اخرى ، وكان من منهج ابي جعفر وغيره من رجال الحديث الثقات ان الخبر إن عرض له شيء من هذا كان مظنة الضعف و إن كان الخبر صحيحاً ، ولو تهيأ للخبر نفسه رواية تنتهي إلى غير « ثعلبة » هذا لكان له قوة وصار من الأسانيد التي لا يُتَثبَّت فيها .

وثعلبة بن يزيد الحِمَّاني و « السعدي » ممن قيل فيه . قال البخاري : « في حديثه نظر ، لا يتابع في حديثه » .

وقال النسائي : « ثقة » ، وقال ابن عدي : « لم ار له حديثاً منكراً » .

وقال ابن حبان : « كان على شرطة علي ، وكان غالياً في التشيع ، لا يحتج باخباره إذا انفرد بها عن علي » ترجمه ابن حجر في « تهذيب التهذيب » والبخاري في « الكبير » ١/ ١/ ١٧٤ .

قلت : والقول هذا في « ثعلبة » وتجريحه ربما لا يرضي الشيعة ، ومن اجل ذلك ياخذون على هؤلاء الثقات انهم منحرفون عن علي وآل بيته . وعلى هذا كان كثير من الحديث في كتب الشيعة وغيرهم من الفرق مما لا يتوفر له طرق كثيرة ، فقد ينتهي الخبر إلى واحد مهما اختلفت الطرق ، وهذا مما لا يقول به الثقات من علماء الحديث ؛ وليس في هذا تعصب على هذه الفرق ، وليس اصحابها محل طعن ، وآية ذلك ان ائمة الحديث يوثقون جمهرة من الأثر الشريف روي عن علي عن النبي ﷺ وذلك إن صح السند ووصل إليها من عدة طرق .

(١١) تهذيب الآثار (مسند علي ص ٣ ، ٤ ، ٥)

وحديث ابي هريرة هذا روي من ثمان طرق بالفاظ مختلفة مختصراً ومطولاً . ورواه البخاري في كتاب الطب .

قلت : ولا ادري ماذا كان يقول عبد الحسين شرف الدين من ائمة الشيعة لو قرا هذا الحديث في الطرق الثماني مرفوعاً إلى ابي هريرة رضي الله عنه في « مسند علي بن ابي طالب » ، وكان قد تكلم في ابي هريرة وهجَّنه وسفَّهه ، وابطل الأخذ بحديثه ؟!

في إسبانيا : بشائر التوجه الإسلامي المعاصر

■■ لم يكد القرن الهجري الأول يقارب نهايته [٩٢ - ٩٦هـ] حتى كان الإسلام يجد مستقراً له في بلاد الأندلس (شبه جزيرة أيبريا) بعد أن قام جنود الفتح الإسلامي [الذين كانوا يفتحون القلوب بسلوكهم الطيب وخلقهم الكريم قبل فتح البلاد بإزالة طواغيتها بسيوفهم] بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد بالانتصار على لوذريق (فريدريك) طاغية إسبانيا يومذاك والقضاء على شوكته .. وبدأ السكان الأصليون يدخلون في دين الله أفواجاً بعد أن لمسوا العدل والتسامح والرأفة إضافة إلى تلبية الإسلام لنداء الفطرة البشرية وعدم مصادمتها أو كبتها ، وتقديمه الحلول الناجعة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك ...

ومن بقي منهم على نصرانيته أو يهوديته لم يضار في دينه ، وأعطي الحرية الكاملة لممارسة شعائره وطقوس عبادته مع حماية أماكنها ، لأنهم أهل ذمة رسول الله ﷺ ■■

في هذا الجو من الحرية والسماحة والالتزام العملي بدين الله عز وجل ، بنيت الحضارة الإسلامية في الأندلس لينعم بخيراتها وثمارها المسلم وغيره على حد سواء ، واستمر الأمر في صعود وتقدم إلى أن بدأت العصبيات الجاهلية ، والحمية العنصرية تطل برأسها إلى جانب الانصراف إلى ملاذ الحياة الدنيا واتباع الشهوات والغفلة عن الأحقاد الصليبية التي أخذت بالتجمع شمالاً ، وبدأت المكر بالمسلمين تمهيداً للانقضاض عليهم والقضاء على وجودهم ... الأمر الذي أدى إلى ظهور الانقسامات والتحزبات تحت أسماء وعناوين مختلفة ورايات متعددة ، وشيوع الفساد السياسي والظلم الاجتماعي ...

وتفرقوا شيعاً فكل محلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

فضلاً عن سوء التعامل والفساد الخلقي ...

دوزن العود وهات القدحا
راقت الخمرة والورد صحا

« **فتمخضت عن الفاقرة الكبرى ، وآلت بمن أتى بعدها إلى مكان أعضل وأدنى ، مما طوى بساط الدنيا ، وعفى رسمها ، وأهلك أهلها ...** » .

مع هذه الظلمة التي بدأت تلف مسلمي الأندلس ، كانت تأتي بعض الإشراقات نتيجة عودة صادقة إلى الله عز وجل ، والتزام بدينه ، ومحاولة نبذ هذه العصبيات الجاهلية وعوامل الفرقة والفساد والتجزئة ، **كما حدث عندما اجتاز « المرابطون » ثم « الموحدون » ثم « المرينيون » مضيق جبل طارق استجابة لاستغاثات إخوانهم في الأندلس ، الأمر الذي أطال أمد الإسلام والوجود الإسلامي في تلك الديار حوالي أربعة قرون من الزمن ...**

إلا أن هذه الإشراقات سرعان ما كانت تغرق في بحار الظلمة مما أدى في نهاية المطاف إلى توقيع معاهدة استسلام مدينة غرناطة (آخر معقل من معاقل المسلمين) على يد ملكها (أبي عبد الله الصغير) الذي سلم مفتاحها إلى الملكين الكاثوليكيين (فرديناند وإيزابيلا) اللذين تمكنا من تحقيق حلمهما :

خضد شوكة المسلمين وإزالة سلطانهم السياسي تمهيداً لاستئصال الوجود الإسلامي كله بشرياً وحضارياً ... وتولت محاكم التفتيش (ديوان التحقيق) هذه المهمة ، ونجحت في ذلك إلى حد بعيد عندما تولت رعاية وتنشئة أطفال المسلمين ، ولجأت إلى أساليب القسر والإكراه والتعذيب والقتل لتنصير الكبار أو تهجيرهم ... إضافة إلى هدم المساجد وإزالة المدارس الإسلامية ، وتحويل المساجد الكبرى إلى كنائس وكاتدرائيات ، وإعمال يد التخريب في كل ما يمكن أن يذكّر بالإسلام والوجود الإسلامي ... حتى إنك لتستطيع القول

■ إقدام المسلمين على الزواج من غير المسلمات يعد من أخطر المشاكل التي تواجه بنيان الأسرة المسلمة ، بسبب تباين العقيدة والتصور والقيم ..

■ معظم الرهبان والقساوسة الذين كانوا يقومون بتعليم أطفال المسلمين واليهود النصرانية هم من أصل يهودي ، ممَّا ساعد على استمرار الوجود اليهودي وانقطاع الوجود الإسلامي ..

الآن :

إن الأندلس لم تكن يوماً من الأيام منزل أمة مسلمة ، لولا بضعة صروح إسلامية في بعض قصباتها مثل : غرناطة وقرطبة واشبيلية ، ما تزال رغم عوادي الزمن ومحاولات التشويه شاهد صدق على الوجود الإسلامي والحضارة الإسلامية في شبه جزيرة ايبريا ...

واستمرت حملات مطاردة الإسلام واستئصال الوجود الإسلامي ، ومنع ظهوره قائمة بصورة أو بأخرى حتى عام ١٩٦٧م . عندما صدر في عهد الجنرال فرانكو حاكم إسبانيا أول قانون لحرية الأديان فيها ، والذي اعتبر يومذاك ثورة كبرى في هذا المجال ، حيث منح بموجبه أتباع الديانات الأخرى بما فيهم أتباع الطوائف النصرانية غير الكاثوليكية حرية ممارسة شعائرهم الدينية ... رغم أن هذا القانون كان ينقصه الشمول والعمق والسند الشرعي الدستوري الذي يكفل لهؤلاء إجراء المفاوضات مع الدولة لمطالبتها بالحقوق الدينية والمدنية لهم ...

وكان بعض المسلمين قد بدأ يفد إلى إسبانيا التي كانت قد استعمرت بعض بقاع العالم الإسلامي منذ بدايات هذا القرن للعمل فيها ، بل إن هذا الوجود الاستعماري ما يزال قائماً في مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين إلى الآن ... ومنذ الستينيات بدأت تتوافد مجموعات من الطلبة المسلمين إليها لمتابعة الدراسة الجامعية والتخصصية التي أخذت تستشعر ضرورة التلاقي والترابط من أجل المحافظة على الذات وتجنب خطر الذوبان في المجتمع الإسباني الذي يغاير المجتمع الذي جاؤوا منه مغايرة تكاد تكون كلية في الاعتقاد والقيم والتصورات والتقاليد والسلوك ... « **إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية** » فقام بعضهم ، كما قال الأخ **رياج ططري رئيس الجمعية الإسلامية في** إسبانيا ، وممثل المسلمين في اللجنة الاستشارية للحرية الدينية بوزارة العدل الإسبانية ، وهو إسباني من أصل سوري ، بمحاولة توجيه إخوانهم وتبصيرهم وإرشادهم إلى سواء السبيل ... وبعد مدة من هذا العمل الفردي التطوعي ، عقد هؤلاء العزم على تشكيل مؤسسة رسمية الطابع يستطيع المسلمون من خلالها أداء عباداتهم وشعائرهم الإسلامية ، وتنظيم أمورهم مستفيدين من الحرية النسبية التي ينعمون بها ، ومن إمكاناتهم القليلة المتوفرة لتحقيق الحصانة الفكرية والعملية وحماية المسلمين الوافدين وسواهم من أخطار الانحراف

■ دورات تعليم الاسبانية والمواد العلمية للطلبة الجدد تمهيداً لدخول الجامعات ■

بشائر التوجه الإسلامي المعاصر

استطلاع

والتيه في المجتمع الإسباني .

النشأة والتكوين ..

ويتابع الأخ رياج قائلاً :

وفي عام (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) تمكن الطلبة المسلمون في العاصمة الاسبانية مدريد من الحصول على ترخيص رسمي من وزارة العدل بتشكيل « **الجمعية الإسلامية في إسبانيا** » كمؤسسة إسلامية مستقلة ، باشرت أعمالها في شقة صغيرة ما لبث أن ضاقت بأعداد المصلين والحضور إليها ، مما دفع الإخوة في الجمعية إلى البحث عن مكان ارحب يفي ببعض الاحتياجات ، وانتقلت إلى مقرها الحالي الذي ضاق أيضاً بنشاطاتها ، ولم يعد يفي بالأغراض ، وتسعى الجمعية حالياً بعد أن اكرمها الله عز وجل وتمكنت من شراء بناء وسط العاصمة مدريد إلى تحويله لبناء إسلامي يضم المسجد والمكتبة وقاعة المحاضرات والمدرسة ، ومن ثم الانتقال إليه ...

●● نفهم من هذا أن الطابع الأساس والغالب على العمل الإسلامي في إسبانيا هو الطابع الطلابي ، حيث تتركز معظم الجهود عليهم ، وهم ايضاً العنصر النشيط فيه ...

– صحيح ، فقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٧٨م ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الجهود - عملياً - تتجه نحو الجالية الإسلامية المتواجدة في إسبانيا والأرض الخاضعة لاستعمارها ، وهذه الجالية تتألف من العمال المسلمين وعائلاتهم ، ومن رجال السلك الديبلوماسي إلى جانب الطلبة ، إضافة إلى الإسبان انفسهم ... وبدأ العمل الإسلامي يأخذ صفة أوسع تتناسب والتطور الطبيعي للحركة الدائبة ...

عـودة إلى الجذور ..

●● العمل الإسلامي إذن لم يعد مقتصراً على الطلبة المسلمين او الجالية الإسلامية ولكنه تعداهما إلى الإسبان انفسهم ، فكيف تم ذلك خاصة وان الإسبان من اشد الشعوب الغربية تعصباً للكاثوليكية ؟

– بعد وفاة الجنرال فرانكو ، وانتهاء الحكم الفردي أخذت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الدولة ومؤسساتها ، وبالتالي على الشعب تضعف وتتراخى ، إضافة إلى بروز حركات تدعو إلى الاستقلال الذاتي للفئات التي تكوِّن الشعب الإسباني ، ومن هؤلاء : **الأندلسيون الذين يشكلون قسماً كبيراً من الشعب الإسباني ، الذين لم يجدوا سوى العودة إلى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، إلى جذورهم الأولى** ... وبدأ بعضهم يفاخر بانتسابه إلى هذه الحضارة العريقة التي كانت قاعدتها قرطبة وأشبيلية وغرناطة وطليطلة ... بل لقد أصبح بعضهم يعتز بأصله العربي ويفاخر بذلك بجرأة عجيبة ، وان اسم أسرته ما يزال يدل على ذلك ، واحتجت طائفة منهم بأن ملوك قشتالة احتلوا أرضهم احتلالاً ، وفرضوا عليهم تقاليد تختلف عن تقاليد ونظم وحضارة بلادهم الأندلس فرضاً ، ويذكر بعضهم بألم وحسرة كيف أنهم اجبروا على اعتناق النصرانية بالإكراه الذي كانت تمارسه السلطة الحاكمة القشتالية من خلال محاكم التفتيش وما يجري فيها من إرهاب وكبت وتعذيب ...

وطالبوا بإطلاق اسم « **الأندلس** » على مقاطعتهم ، واتخذوا علماً يتكون من شريطين أخضرين يتوسطهما شريط ابيض ... وكانت فرصتنا لبيان دين الله عز وجل ودعوة الإسبان إليه ... إن هؤلاء الأندلسيين يبحثون اليوم عن جذورهم ، وجدير بالمسلمين أن يمدوا لهم يد العون والعناية والرعاية على المستويات كلها ...

أعـداء المسلمـين ...

●● من خلال محاولة العودة إلى الجذور هذه لا بد أن عدداً من هؤلاء قد دخل الإسلام وخلع ربقة النصرانية ...

– رغم المبالغات الصحفية في هذا الموضوع ، ومحاولة إيهام المسلمين خارج إسبانيا بأن مجموعات كبيرة ، وعائلات كثيرة بأكملها عادت إلى الإسلام ، **فإن عدد الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام حقيقة حوالي ثلاثمائة ما بين رجل وامراة وطفل** ، وإننا ونحن نسجل هذه الحقيقة نسأل الله عز وجل أن ينمو عددهم ويزداد ، وأن يثبت الجميع على صراطه المستقيم « **لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم** » .

وعن تقديرات الجمعية لعدد المسلمين في إسبانيا لعام ١٩٨٣م فانه يبلغ حوالي مائة وخمسين الفاً على الأقل ، يتشكل معظمهم من العمال المغاربة ، يليهم الطلبة وأعضاء السلك الدبلوماسي والتجار والخريجون الذين استقروا في إسبانيا ، ويتوزعون بشكل رئيس على أربع مدن هي :

مدريد وبرشلونة (حوالي ٧٠ الفاً) .

سبتة ومليلة : (حوالي ٤٠ الفاً)

والباقي في بقية مدن اسبانيا ؛ والشريحة الاجتماعية للمسلمين تتكون من العمال والطلبة ...

قانـــون جديـــد ولجنـــة استشـارية

●● اثناء الحديث عن قانون الحرية الدينية الذي صدر في عهد فرانكو ، كان وصفه انه ينقصه العمق والشمول ويفتقد السند الشرعي ، فهل تم استكمال هذا النقص واستدراكه ؟

– الدستور الجديد الذي صدر عام ١٩٧٩م نص على الحرية الدينية صراحة ، وجعل من الدولة والحكومة مؤسسة لا تلتزم بدين معين ... ولو انها تحمي وتدافع عن الروح والحرية الدينية ...

■ فرنانـدو .. وإيزابيـلا ... الحقد الصليبي ■

■ عدد الأطباء المسلمين في إسبانيا حوالي ستة آلاف ، أكثرهم من الفلسـطينيين والسـوريين ..

■ لا يمكن المحافظة على استمرار الوجود الإسلامي في إسبانيا إلَّا بالنجاح في المحافظة على عقيدة أطفال المسلمين وتهيئة الجو المناسب لتنشئتهم ..

من هنا كان الأمر في إسبانيا يختلف عن سواها من البلدان الأوروبية ، فنحن ليس هناك ما يدعونا إلى مطالبة الدولة بالاعتراف بالدين الإسلامي كما فعلت **بلجيكا** مثلاً ، لأن الدولة نفسها نظمت أمر الأديان عامة بقانون نص على إيجاده الدستور الإسباني ، وقد صدر هذا القانون في ٥ يوليو [تموز] ١٩٨٠م بعد موافقة البرلمان الإسباني عليه وأصبح يعرف باسم « **القانون الأساس للحرية الدينية** » وحرصاً على تطبيقه بصورة سليمة تم تأسيس « **الإدارة العامة للحرية الدينية** » في وزارة العدل التي شكلت بدورها « **اللجنة الاستشارية للحرية الدينية** » بهدف مساعدتها بالمشورة والرأي فيما يتعلق بالأمور الدينية ...

وينص مرسوم تشكيل اللجنة على أن تتكون من خبراء وإداريين تعينهم الدولة من الأجهزة الوزارية المختلفة ، كالتربية والداخلية والخزانة والمراسم ... إضافة إلى خبراء في العلوم الإنسانية ، كالحقوق والتاريخ واللاهوت وعلم الأديان المقارن ... وممثلين عن الأديان ذات الأثر الملموس في المجتمع الإسباني ، ويرأس هذه اللجنة المدير العام للحرية الدينية ...

تمثيل الأديـان ..

وقد نص القانون الأساس للحرية الدينية على ضرورة توفر شرط أساس حتى يمكن تمثيل الدين على المستوى الرسمي (في اللجنة) وحتى يكون بمقدور أتباعه فتح باب الحوار والمفاوضة مع الدولة بغرض الحصول على مكاسب قانونية واجتماعية واقتصادية ... هذا الشرط هو : الأثر الواضح ؛ أي : أن يكون لهذا الدين دلائل واضحة ووجود ظاهر فعَّال ، فالبوذية مثلاً ليس لها هذا الأثر الواضح الذي يثبت وجودها كدين راسخ في البلد ، كما أنه ليس لها أي أثر ديني أو تاريخي أو اجتماعي ملموس فيه ... وبناء على هذا الشرط فقد أقرت وزارة العدل تمثيل النصرانية بطوائفها الثلاث (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية) والإسلام واليهودية ...

وتتكون اللجنة حالياً من ثلاثة ممثلين للكاثوليك ، وممثل واحد للأرثوذكس ، وممثل للبروتستانت ، وممثل للمسلمين ، وممثل لليهود ... ويتم التصويت لصالح أو ضد القرارات من قبل الجميع بالتساوي ؛ وقد تم اختيار الجمعية الإسلامية لتمثل المسلمين في اللجنة ، وهي المكلفة بإجراء الاتصالات مع الجمعيات والمراكز والتجمعات الإسلامية الأخرى في إسبانيا لتوحيد جهودها وجمعها على هدف واحد ، والتفاوض مع الحكومة الإسبانية لوضع المكاسب التي وردت في قانون الحرية الدينية موضع التطبيق والتنفيذ العملي ...

أهـداف الجمعيـة ..

●● **وعن الأهداف التي تسعى الجمعية لتحقيقها ، قال الأخ رياج :**

□ **دعوة المسلمين في إسبانيا إلى ضرورة الالتزام بدينهم ، ومساعدتهم على ذلك بتهيئة المناخ الإسلامي الملائم لذلك وإقامة الشعائر الإسلامية ، ومن ثم تنظيم العمل الإسلامي ليتمكن الناس من التعرف على الإسلام معرفة**

بشائر
التوجه الإسلامي المعاصر

استطلاع

واضحة خالية من كل لبس أو إبهام .

□ حماية مصالح المسلمين وتبني قضاياهم وتوثيق رابطتهم بالمجتمع الإسلامي في العالم الإسلامي .

□ كشف الأباطيل والاتهامات التي توجه إلى الإسلام والمسلمين وبيان حقيقتها والرد عليها ، وبيان حقيقة المذاهب والأفكار الهدامة …

لذلك عملت الجمعية لافتتاح فروع لها إضافة إلى مركزها الرئيس بمدريد العاصمة في كل من : **غرناطة ، ملقه ، لينارس ، سنتندير ، ميريدا ، بلنسية ، سرقسطة ، أوبيدو** … ولها فرعان في طور التشكيل في كل من : سان سبستيان وأليكانتي … إضافة إلى مجموعات في كل من : برشلونة ، بلد الوليد ، سنتياغو ، بداخوث …

شيء من الوسـائل ..

●● **وعن الوسائل التي تستخدمها الجمعية من أجل تحقيق هذه الأهداف قال الأخ رياج :**

□ تؤكد الجمعية في مركزها وفروعها على ضرورة أداء الشعائر الإسلامية جماعة (الصلوات الخمس ـ صلاة الجمعة ـ صلاة العيدين ـ قيام رمضان ـ الإفطار الجماعي …) كما تعمل على إحياء المناسبات الإسلامية ، إضافة إلى تنظيم درس أسبوعي راتب في العلوم الإسلامية …

□ تصدر الجمعية مجلة « العروة الوثقى » باللغة العربية تعالج أهم قضايا المسلمين ، ولتذكير كل مسلم في إسبانيا وتعريفه بدينه ، وحثه على ضم جهوده إلى جهود إخوانه … ومجلة « **الإسلام** » باللغة الإسبانية ، لإقامة الحجة على غير المسلمين ، ولتعريف المسلمين الذين لا يعرفون العربية بدينهم … وأصدرت أيضاً سلسلة من الكتب الإسلامية باللغة الإسبانية للتعريف بالإسلام وتقريبه من الناطقين بهذه اللغة ، منها :

كتاب « **الأسرة المسلمة** » لـ (خورشيد أحمد) ، و « المسيح في القرآن » لـ (سليمان مفسر) ، و « روح الإسلام » لـ (محمد أسد) … وهناك كتب أخرى تحت الطبع ، مثل : « مساهمة المسلمين في الحضارة الإنسانية » وكتاب في السيرة النبوية ، وفي العبادات وروحها في الإسلام …

وتوفر أشرطة القرآن الكريم ، والمحاضرات والأناشيد الإسلامية ، والكتب والمجلات الإسلامية ووضعها بين أيدي المترددين على مركزها وفروعها …

□ **اللقاءات السنوية ، والمخيم وزيارات التعارف** … فللجمعية ثلاثة لقاءات سنوية : لقاء الشمال في مدينة أوبيدو ، ولقاء الشرق في مدينة سرقسطة أو بلنسية ، ولقاء الجنوب في مدينة غرناطة … والمخيم السنوي على مستوى إسبانيا كلها في مدينة مدريد … أما زيارات التعارف فتتم بين الإخوة في إسبانيا ، وخارجها عن طريق المشاركة في اللقاءات والمؤتمرات التي ينظمها اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا مثلاً …

□ الاتصال بوسائل الإعلام المختلفة للاستفادة منها ، خاصة التلفزيون الإسباني ، والإذاعة الاسبانية ، وتنظيم برامج ولقاءات معها ، إضافة إلى المشاركة في الندوات خاصة تلك التي تعقد في الجامعات والمعاهد العليا حول الإسلام والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ..

مؤسسـات الجمعيـة ..

وحتى تتمكن الجمعية من الاستفادة

■ مسجد عمر بن الخطاب في غرناطة ■

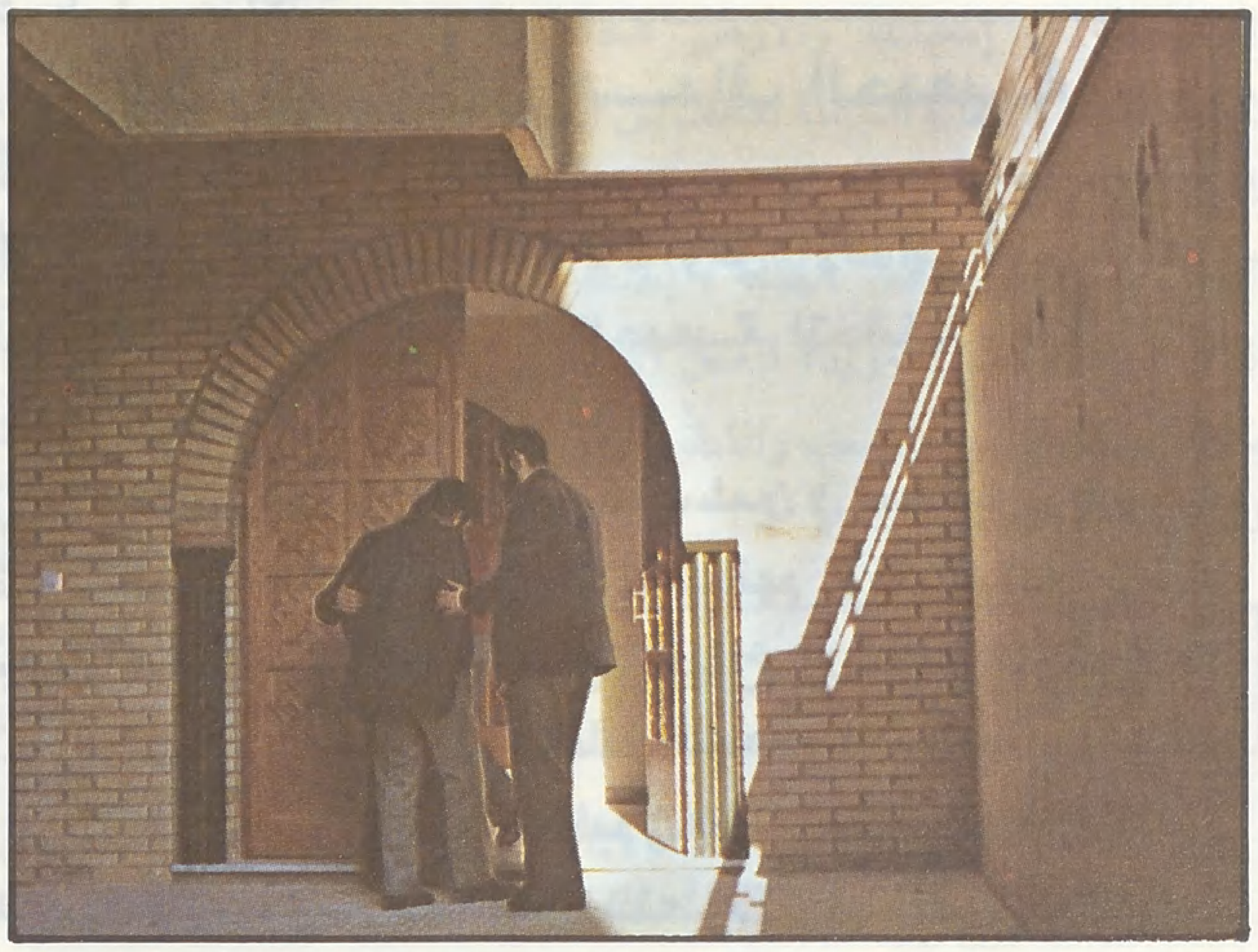

■ من مطبوعات الجمعية ■

■ رياج ططري :
ليس من السهل التعامل مع المجتمع الغربي دون حصانة فكرية إسلامية ■

الصحيحة من الكفاءات والإمكانات المسلمة المتعددة في إسبانيا ، ووضعها في المجال الذي تثمر فيه بدلاً من ضياعها في مجالات لا تتناسب وقدراتها لجأت إلى تشكيل عدة مؤسسات تخصصية مثل :

رابطة الطلبة المسلمين ، ورابطة الأطباء المسلمين ، لجنة الدعوة إلى الله ... ونحن بصدد تشكيل رابطة العمال المسلمين ـ الأخوات المسلمات ـ المعهد الإسلامي الاسباني الذي ستكون مهمته الأساسية : دراسة أوضاع المسلمين في إسبانيا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، دراسة علمية ميدانية ، وإجراء الإحصاءات التي تخدم هذا الغرض ، وسيتعاون في هذا السبيل مع جميع الخبرات الإسلامية داخل إسبانيا وخارجها ...

رابطة الطلبة المسلمين ..

من أهم ما تقوم به : استقبال الطلبة الوافدين الجدد ، تأمين السكن المناسب والرعاية الصحيحة لهم خاصة في الفترات الأولى لوصولهم إلى إسبانيا ، إعداد دورات لتعليمهم اللغة الاسبانية ، وأخرى في المواد العلمية لتأهيلهم من أجل القبول في الجامعات الاسبانية إلى جانب الإعداد الإسلامي ...

وقد بدأت الرابطة إضافة إلى هذا بتنظيم دورة خاصة لتعليم أطفال المسلمين اللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم ضمن برنامج موسع طموح للعناية بالأسرة المسلمة في المجتمع الاسباني عموماً ، وستكون هذه الدورة نواة لمدرسة إسلامية تشمل مراحل التعليم كافة إن شاء الله ...

رابطة الأطباء المسلمين

يبلغ عدد الأطباء المسلمين في اسبانيا على أقل تقدير ستة آلاف طبيب ، اكثر من ثلثهم من أصل فلسطيني ، وحوالي الثلث من أصل سوري ، والباقي من أقطار عربية أخرى ... ولا يخفى الدور الذي أداه الطب لصالح النصرانية ونشرها في آسيا وأفريقيا ، ونحن بأمس الحاجة إلى تجميع هذه الطاقات وحشد إمكاناتها وتنظيمها لتصرف في خدمة الإسلام ومصلحة المسلمين في إسبانيا وخارجها ... لذلك أنشئت رابطة الأطباء المسلمين التي تقوم حالياً بتنظيم ندوات تخصصية رفيعة المستوى للأطباء المسلمين ، وندوات في التوعية الصحية لعامة المسلمين في إسبانيا ، إلى جانب تأمين عيادات أسبوعية مجانية تقدم الخدمات الصحية لكل مسلم ، خاصة العمال المغاربة والطلبة الجدد الذين ليست لهم تأمينات صحية ...

أما **لجنة الدعوة إلى الله** فإنها تعمل على جمع الإخوة الذين لديهم استعداد دعوي ، وتدريبهم ، وتبصيرهم بالوسائل السليمة التي تعينهم على أداء مهمة الدعوة وتبليغها بصورة صحيحة مثمرة ... وما ذلك إلا لأن مجتمع المسلمين في اسبانيا يعاني من علل وأمراض إذا لم يحط بها الداعية ويعرفها لا يستطيع أن يقوم بواجبه على الوجه الأفضل ، ومن أهم هذه العلل : النزعات العرقية والعصبيات الإقليمية ، تعدد المذاهب ، افتقارهم إلى لغة واحدة يتفاهمون بواسطتها ، تباين المستوى الاجتماعي والاقتصادي والفكري والثقافي بينهم ، إضافة إلى ما يحيط بهم من خارجهم ، من مجتمع ينظر إليهم نظرة دونية من خلال الواقع السيء الذي يعيشه العالم الإسلامي وأبناؤه المهجرون والمهاجرون والسائحون ، ومن خلال الأحقاد التاريخية التي ما زالت تفعل فعلها في نفوسهم ...

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى إيجاد هذه اللجنة علّها تتمكن من توجيه الإمكانات والطاقات المسلمة الدعوية الوجهة التي تحقق الخير لدعوة الله عز وجل في هذه البلاد ...

نشاطات أخرى ..

●● وعن بعض النشاطات التي تقوم بها الجمعية أيضاً قال الأخ رياج :

ـ بعد أن ازدادت أعداد المسلمين في مدينة غرناطة (مائتا أسرة ـ خمسمائة طالب جامعي ـ عدد غير محدد من العمال والتجار والسواح المسلمين الذين يأتون لزيارة الآثار الإسلامية) لم تعد الشقة

السكنية المستأجرة في إحدى العمارات ، والتي جهزت بشكل عفوي تفي بالأغراض التي تحقق فوائد لهم ، رأى العاملون في الحقل الإسلامي ضرورة إيجاد مكان مناسب يؤدي الأغراض الأساسية للمسلمين ويوفر لهم المكان المناسب لصرف جزء من النشاط الضروري لأطفالهم ، يصلهم بالمسجد ويربطهم بتعاليم الإسلام ...

فتنادوا لشراء مكان لهذه الغاية ... وبالفعل تمكنت الجمعية من شراء طابق أرضي بمدخل مستقل موصول بالطريق العام مساحته (٢٤٣) متراً مربعاً وفي موقع متوسط من المدينة ... وقد قسم المكان على شكل يجعله يلبي حاجة هؤلاء المسلمين إلى :

مصلى : يتسع لمائتي شخص مع مرافقه (موضأ - حمامات - دورات مياه) .

قاعة محاضرات ومكتبة : تستخدم أيضاً لتعليم أطفال المسلمين العربية والقرآن الكريم ، وستكون إن شاء الله نواة لمدرسة إسلامية لهم ، إضافة إلى استخدامها لدعوة الإسبان واستقبالهم وتعريفهم بالإسلام .

صالة رياضية ومطعم ومطبخ : توفر للناشئة المكان المناسب لملء أوقات فراغهم إلى جانب ربطهم بالمسجد ، كما تستخدم لإحياء بعض السنن الإسلامية خاصة في الأعياد والمناسبات (ولائم الزواج - العقيقة عند ولادة طفل للمسلمين - مناسبات اجتماعية) .

وقد أطلق على المسجد اسم الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد أقيمت فيه أول صلاة جمعة في شهر ربيع الأول ١٤٠٤هـ .

وفي مدريد العاصمة فإننا نطمح إلى سرعة إنجاز بناء مسجد الصديق مع قاعة للمحاضرات والنشاطات العامة ، وغرف للتدريس ، ومكتبة للمطالعة ، وغرف للرياضة ، وأخرى للنشاطات النسائية إلى جانب غرف للضيافة واستقبال الطلبة الوافدين الجدد فيها ريثما يتم تأمين السكن المناسب لهم ، وعيادة طبية ، وحديقة لأطفال المسلمين ... وبعد أن يسر الله عز وجل لنا شراء المكان المناسب وسط العاصمة منذ ٤ مايو [أيار] ١٩٨١م . وبعد أن استصدرنا رخصة بذلك من الجهات المختصة وقمنا بتسليمه إلى إحدى الشركات المتخصصة التي درست المشروع وقدرت التكلفة الإجمالية له بثمانية وأربعين مليون بيسته ، نحاول أن نتدبرها من جيوب إخواننا القادرين داخل إسبانيا وخارجها ، ونأمل من الله تعالى أن ييسر لنا ذلك ...

زواج المسلمة من غير المسلم

●● بما أن الجمعية هي الجهة المسؤولة التي ترعى الأحوال الشخصية للمسلمين (الزواج - الطلاق ...) ما هو موقفها من زواج المسلمة من غير المسلم إن حدث ؟!

— لم تسجل لدينا إلى الآن أية حالة من مثل هذا الزواج ، كما لم يسجل لدينا حالة غش ، بمعنى أن يدعي النصراني أنه أصبح مسلماً ليتزوج مسلمة ، إلا حالة واحدة وصلتنا ، فانتظرنا لنتبين عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فتبينوا** ﴾ قبل أن نتصرف ، وكان أن تأكدنا من أن الرجل قد أسلم فعلاً وحسن إسلامه ...

إلا أنه في مناطق الاحتكاك المباشر بين الإسبان والمسلمين مثل مدينتي « **سبتة ومليلة** » كان يحدث مثل هذا الزواج ، حيث نجد شخصاً مسلماً بينما ابن خالته نصراني لأن خالته تزوجت من نصراني ... ونعمل كل ما بوسعنا لتوعية المسلمات بحقيقة دينهن حتى لا يحدث مثل هذا الأمر ...

إلا أنه من واقع الإحصاءات التي نمتلكها فإن أخطر مشكلة تواجهنا هي زواج المسلم

■ المبنى الذي سيقام مكانه المسجد والمركز الإسلامي ■

■ مشروع المسجد والمركز الإسلامي ■

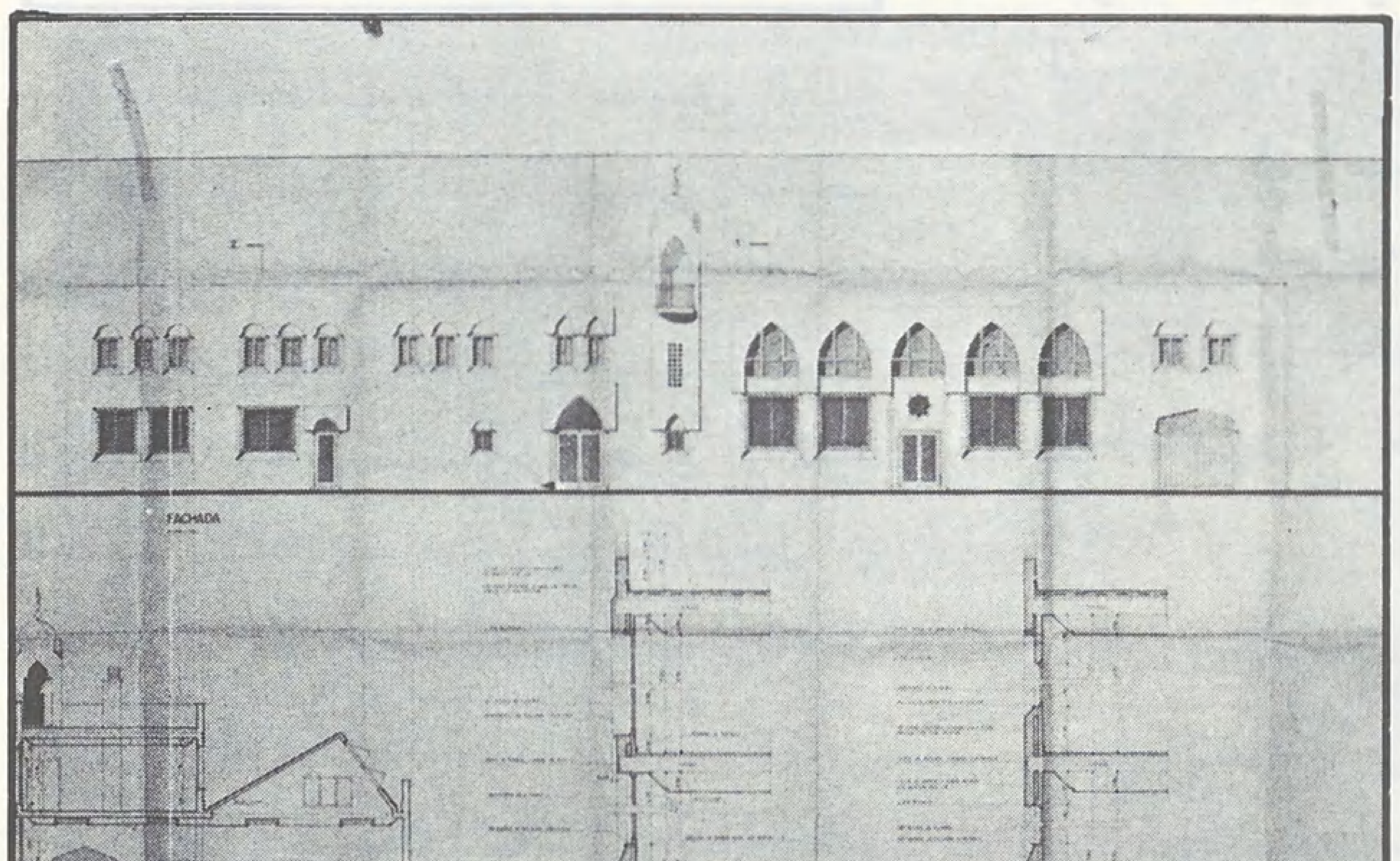

من غير المسلمة ، والذي غالباً ما يحدث في فترات قدوم الشاب الأولى إلى اسبانيا ، ولم يكن قد تعرف على أجوائها بعد ، وكثيراً ما تكون المرأة في هذه الحالة لا تتحلى بشيء من القيم الخلقية الأساسية التي تؤهلها لرعاية بيتها وزوجها وأن تكون أمينة على أولاده وتربيتهم ، وتقوم أساساً على إشباع الرغبة الجنسية فقط ... وكثيراً ما تنتهي مثل هذه الزيجات بخلافات ونزاعات شديدة يذهب ضحيتها الأطفال ... ومما يجب ذكره أن القانون الاسباني ينص على حضانة الأم لأطفالها حتى سن السابعة ، وخلال هذه السنوات يكون الطفل قد أعد بالكيفية التي تراها الأم مناسبة ومن منظورها ، وفي ذلك ما فيه من خطورة على عقيدة هؤلاء الأطفال ...

إلى جانب التباين الكبير في العقيدة والعاطفة والقيم الأساسية التي نشأ عليها هذا الشاب المسلم في بيئته قبل قدومه إلى اسبانيا وبين ما نشأت عليه هذه الزوجة ، هذا التباين غالباً ما يؤدي إلى كثير من المشاكل التي تهدد بنيان الأسرة ... لذا فإننا نحاول دائماً توعية وترشيد هؤلاء الشباب وحثهم على التزوج من المسلمات لسلامة دينهم وحفظاً لأطفالهم ...

الوجـود الإسـلامي ..

●● من خلال إقامتكم واحتكاككم بالمجتمع الإسباني ، ما هي أنجع الوسائل لحفظ الوجود الإسلامي فيه من الذوبان والانصهار كما حدث في عهود محاكم التفتيش مثلاً ؟

ــ نستطيع المحافظة على الوجود الإسلامي في إسبانيا إذا نجحنا في المحافظة على عقيدة أطفال المسلمين ، وتمكنا من تهيئة الجو المناسب لتنشئتهم عليها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا أوجدنا مؤسسات تؤدي هذه المهمة عن طريق الإعداد الفكري والعملي المناسب [تأمين روضة الأطفال والمدرسة والملعب ومكان الترفيه الخاص بهم] وهذه تجربة نقوم بها الآن سائلين الله عز وجل التوفيق والسداد ...

ــ توليد الثقة الكاملة في نفس المسلم بما عنده وبأفضليته على ما عند الآخرين ، لأنه لا يمكن لإنسان أن يتعامل مع مجتمع دون أن يذوب فيه إلا إذا كان على ثقة بما عنده ورفض لما عندهم ، عندها يستطيع التعامل معهم بثبات ومحبة دون شعور بأية عقدة نقص تجاههم ، وهذا يتم من خلال إبراز نقائض المجتمع الغربي ، ومزايا المجتمع المسلم ، ومن خلال إفهام المسلمين الأمور الأساسية للإسلام وعدم الخوض في الأمور الخلافية التي اعتاد المسلمون إثارتها والتلهي بها عن العمل الجاد المثمر ...

هذا الأمر يجرنا إلى تساؤل محير ، فالدارس لتاريخ محاكم التفتيش واضطهاد غير النصارى من المسلمين واليهود في إسبانيا مثلاً لإجبارهم على اعتناق النصرانية ، يجد أن الوجود اليهودي استمر حتى الآن بين الاسبان أنفسهم رغم ما قامت به محاكم التفتيش من خطف الأطفال من ذويهم وتنشئتهم على النصرانية ... أما الوجود الإسلامي فلم يعد قائماً إلا من قريب من خلال الوافدين إلى اسبانيا بشكل رئيس ...

توضيحاً لهذه الظاهرة يمكننا القول :

إن معظم الرهبان والقساوسة الذين كانوا يقومون بتعليم أطفال المسلمين واليهود معاً الديانة النصرانية وتنشئتهم عليها هم من أصل يهودي ، وإن لبسوا لباس الرهبان والقساوسة النصارى من حيث الظاهر ... ويمكن أن نستدل على صحة هذا بما نشاهده من مطالبة أسر عديدة تعيش في سبتة ومليلة الحكومة الاسبانية بضرورة الاعتراف بدولة العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة وإقامة علاقات سياسية وغيرها معها مما يشعر بجذورهم اليهودية وبقائهم عليها باطناً ... الأمر الذي جعل هؤلاء القساوسة يحافظون على اليهودية في نفوس أطفال اليهود وعدم تلقينهم تعاليم النصرانية بإخلاص ، على عكس ما فعلوه مع أطفال المسلمين حيث زرعوا في قلوبهم منذ صغرهم الحقد على كل مسلم ، والكراهية المقيتة لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة [حوادث تجسس هؤلاء الأطفال ووشايتهم بذويهم الذين بقوا على إسلامهم سراً كثيرة في تاريخ إسبانيا] من هنا جاء القضاء على الوجود الإسلامي ، في حين استمر الوجود اليهودي بشكل أو بآخر ... الأمر الذي يشعرنا بعظم المسؤولية الملقاة على كواهلنا تجاه أطفال المسلمين في هذه البلاد ، لتنشئتهم التنشئة السليمة الصحيحة التي تحفظ عليهم دينهم وعقيدتهم وتاخذ بأيديهم نحو بر الأمان وشاطىء السلامة ...

> **■ حتى سنة ١٩٧٨م كان العمل الإسلامي في إسبانيا في محيط الطلاب الوافدين .. ثم بدأ يتجه إلى الجالية الإسلامية ..**
>
> **■ عندما ضعف تسلط الكنيسة الكاثوليكية بوفاة الجنرال فرانكو ، وجد الأندلسيون الفرصة مواتية للبحث عن جذورهم الإسلامية والعربية ..**

موضوع الغلاف

التبشير النصراني

دخول الإسلام إلى غربي افريقيا ...

■■ لقد اتخذ الإسلام طريقه إلى غربي افريقيا من شمالي القارة ، إذ وفد من المغرب ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور يوسف فضل : « وكان الأثر الإسلامي الذي غلب على هذا الإقليم (أي غربي افريقيا) قد وفد من المغرب »[1] . ويشير بعضهم إلى أن الإسلام قد توغل إلى تلك البلاد منذ القرن الثامن الميلادي ، وممن ذهب إلى هذا الدكتور إبراهيم علي طرخان حيث يقول : الإسلام قديم في غربي افريقيا عامة ، أي أنه لم يدخل تلك البلاد لأول مرة على يد المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي ، كما هو مشهور ، بل إن الصلات المتنوعة القديمة بين بلاد السودان الأوسط والغرب ، وبين البلاد الإسلامية في وادي النيل وما والاه شرقاً ، وشمالي افريقية ، كانت ذات أثر كبير في وصول الإسلام والتعريف به في بلاد السودان ، وذلك قبل عهد المرابطين بما لا يقل عن أربعة قرون »[2] ، ومع هذا فإن الكثيرين يؤكدون أن الإسلام قد اتخذ سبيله إلى غربي افريقيا خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، إذ يذكر الدكتور يوسف فضل قائلاً : « وقد أنشأ مملكة مالي شعب ماندنقو الذي اعتنق ملوكه وكثير من أبنائه الإسلام إبان توسع المرابطين في أواخر القرن الحادي عشر ، وامتدت رقعتها بين السنغال وتخوم بحيرة تشاد في الشرق ، وشملت بلاد التكرور ، ومالي ، وصوصو ، وغانا ، وكوكو . »[3] ■■

بقلم : بابكر حسن محمد قدر ماري

لا أرى ثمة خلاف في أمر دخول الإسلام إلى غربي افريقيا ، ذلك أن الإسلام قد اتخذ سبيله إلى هذه البلاد أول أمره عن طريق التجار المسلمين ، وكان ذلك في وقت مبكر وبصورة غير منظمة ؛ مما جعل بعضهم يغض النظر عنه .

ومهما يكن من أمر ، فإنه إذا علمنا أن حركة التنصير قد وصلت إلى غربي افريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي[4] ، فإن هذا يؤكد أن الإسلام قد سبق حركة التنصير إلى بلاد غربي افريقيا ، وإذا كان الإسلام قد أتاها من الشمال وتركز في القطاع الداخلي منه ، فإن حركة التنصير قد جاءتها من الغرب ، وتركزت في سواحل غربي أفريقيا على طول الأرض والشواطىء التي يحيط بها المحيط الأطلنطي .

فالتنصير لا يزال غريباً لا ساحة له بين الشباب المسلم في الأراضي الداخلية من غربي افريقيا . والمسلمون ثابتون على دينهم الإسلامي ولا يرضون بغيره ، إلا أن الأثر الصليبي

في غربي افريقيا

الغربي مفروض عليهم من قبل السلطات التي وضعت النظام الصليبي ، ودُربت وسخرت لتزعزع الشباب المسلم عن دينه القديم ، وتتجه به إلى الوجهة العلمانية لتبعده عنه .

التبشير النصراني في غربي افريقيا . .

كان البرتغال من أوائل السابقين للتنصير في غربي افريقيا ، وكان ذلك في نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . فقد كان وصول أول مجموعة استكشافية تنصيرية في عام ١٤٨٢م ، في طريقها إلى (المنا Elmina) بغانا[٥] ، وقد مر الوفد في طريقه إلى غانا بسواحل أقطار عدة بغربي افريقيا شملت كلاً من : السنغال ، و سيراليون ، و ليبيريا ، و ساحل العاج . حيث جرت محاولات منهم لإنشاء مراكز تنصيرية ، إلا أن هذه المحاولات باءت كلها بالفشل . هذا وقد وردت إشارة من الشيخ آدم عبد الله الألوري إلى أن الانجليز قد عرفوا طريقهم إلى غربي افريقيا عام ١٥٥٣م على إثر مغامراتهم السياحية في شواطىء غربي افريقيا[٦] ، وهو بذلك أيضاً يشير إلى تاريخ تسرب التنصير الصليبي إلى تلك البقاع من الأرض .

البرتغال . . . والتمهيد للكنيسة الكاثوليكية . .

أما البرتغاليون فإنهم منذ رحلاتهم المبكرة إلى غربي افريقيا ، كانوا يمهدون السبيل للكنيسة الكاثوليكية لتبث مذهبها هناك ، وهو المذهب الذي سعى معظم المنصِّرين لبثه في غربي افريقيا ، ذلك أنه كان المذهب السائد آنذاك في أوروبا .

وقد أنشأ البرتغاليون مراكز تجارية هامة على ساحل غربي افريقيا في كل من بنين ، ووارى ، و المنا ، وتوغلوا جنوباً حتى وصلوا أنجولا[٧] .

ثم أرسلت فرنسا قسيساً إلى السنغال ، وتلا ذلك إرسال الهولنديين بعض المنصِّرين الصليبيين إلى سواحل غربي افريقيا .

ومهما يكن في تبكير وتسابق أولي على شواطىء ساحل غربي افريقيا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، فما ذلك ـ في نظري ـ إلا مسح عام لفتح مجال أرحب للتجارة وفرض النفوذ الأوروبي ، ذلك لأن هذا المسح قد بدأ حقيقة في القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو عصر النهضة الأوروبية الذي أفاقت فيه أوروبا من سباتها ، وبدأ التسابق بحثاً عن مستعمرات تنعش بها اقتصادها فتجد لها أسواقاً جديدة ، وموارد للمواد الخام ، ولما كان الانتعاش الديني الروحي قد صاحب تلك النهضة بأوروبا ، كان لا بد أن يصاحب التنصير الصليبي التجارة الأوروبية إلى غربي افريقيا .

على الرغم من أن التنصير الكاثوليكي الذي صحب دخول البرتغال إلى جنوبي نيجيريا كان أول تنصير دخل تلك البلاد ، إلا أن ذلك الأثر قد انتهى بتجارة الرقيق . ومن ثم فإن التنصير الحقيقي ذا الأثر الواضح لم يبدأ بنيجيريا إلا في القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك حين وصلها الانجليز عام ١٨٤٢م . حيث بدأ نشاط الكنيسة الانجيلية في مدينة « بادجري Badagry » ، وقد تردد كثيراً أن التنصير الصليبي هنا كان من جهود مجموعة من الزنوج الأرقاء الذين أُطلق سراحهم ، ورجعوا إلى فريتاون بسيراليون ثم توجهوا إلى نيجيريا ، فاستقر بعضهم بلاجوس ، وبعضهم بإيكوتا ، وبعضهم في بادجري حيث عملوا في التنصير . ولكن حقيقة الأمر أن المنصِّرين الأوروبيين هم الذين باشروا

موضوع الغلاف

التبشير النصراني في غربي افريقيا

التنصير بأنفسهم في جميع البلاد التي طرقوها بغربي افريقيا ، أما غيرهم ممن تم تحريرهم من الافريقيين فقد كانوا معاونين فقط ، وذلك بدليل تواجد المنصِّرين الأوروبيين بغربي افريقيا إلى يومنا هذا ، بل انه في عام ١٨٦٠م حين تعب السكان بجنوبي نيجيريا من هيمنة المنصِّر الأوروبي ، علا النداء لتأسيس كنائس على نمط افريقي ، وتحت إدارة وسيطرة الافريقيين ، وقد عارض المنصِّر الأوروبي هذا النداء إلا أنه أخيراً انتهى الأمر بتأسيس كنيسة بواسطة الأفارقة في لاجوس عام ١٩٠١م ، وسميت بكنيسة باثل الافريقية . « Bethel African Chureh »[٨] .

نشاط المنصِّرين الاقتصادي والمادي . .

لقد كان التنصير الصليبي دائب المحاولات للتغلغل إلى داخل البلاد في غربي افريقيا ، ففي عام ١٨٤٠م عندما منعت تجارة الرقيق ، مصدر الرزق للمنصِّرين الأوروبيين في غربي افريقيا ، فكر **توماس فوويل بوكسون** « Thomas Fowell Buxton » بفتح مشاريع زراعية على ضفاف نهر النيجر[٩] ، وهو بهذا وإن كان قد أشار إلى أنه يسعى إلى مصدر رزق للمنصِّرين ليكون بديلاً عن تجارة الرقيق ، فهو في الحقيقة كان يرتب وسيلة للتغلغل إلى داخل البلاد لبث أفكاره .

والجدير بالذكر أن التنصير الصليبي في غربي افريقيا كله قد ارتبط بالتجارة وتحقيق الربح . والمال عامل هام كان ولا يزال لتحقيق أي هدف في تلك البقاع من الأرض خاصة . ذلك أن الأمر يحتاج إلى وسائل للتنقل وطرق ومبان ، وأدوية للعلاج .

بل لا بد من إقناع المواطن بأن المنصِّر الذي يبدو غريباً عنه في تلك البقاع بلونه ولغته وعاداته ومأكله وملبسه ، يحقق له منفعة مادية قبل أن يكون ذا منفعة روحية أخروية ، خاصة تحت طبيعة الدين النصراني الذي يبشر به الشخص الأوروبي . وعليه كان لا بد من المال ليغري به المنصِّرُ المواطن بتقديم العلاج له والعناية بصحته ، وقد يصل الأمر أحياناً بمده بالكساء والعناية بما يمتلك من مواش ، ثم لتعليم أبنائه ، وما إلى ذلك مما يحتاج إلى المال .

ولهذا فقد تكفلت ـ بالمشروع الزراعي الذي اقترحه توماس ـ جمعيتان تنصيريتان من انجلترا ، هما جمعية الكنيسة التنصيرية « The Chureh Missionary Society » ، وجمعية باسل التنصيرية « The Basel Missionary » . وعلى الرغم من أنه لم يكتب النجاح للمشروع فإنه يعبر عن بعض الطرق التي يفكر بها المنصِّر الأوروبي لبث فكره ، وذلك دون أن يكلف دولته نفقات مادية تذكر . بل إنه بهذا يترك أثراً عملياً يقنع به المواطن بجدوى تقبله للدين الذي يدعو إليه . ومن ثَمَّ فلا يكون أمام المواطن الذي يشهد مثل هذا الإنعاش الاقتصادي ، وهذا التقدم لمستوى معيشته إلا أن يتقبل الدين الجديد .

نشاط الكنيسة الانجلية في نيجيريا . .

لم يتوانَ التنصير الصليبي في محاولاته لكسب أرض جديدة بنيجيريا ، فقد أرسل **هنري تاونسند** Henary Townsend مبعوثاً من قبل الكنيسة الانجلية بانجلترا إلى نيجيريا ، وقد وصل إلى جنوبيها عام ١٨٤٢م . وبعد جولة بجنوبي نيجيريا كتب تقريراً للكنيسة ؛ شجع فيها المسؤولين على فتح باب التنصير في إيكوتا ، ولم يطل الوقت حتى تم ترجمة الإنجيل من اللغة الانجيلية إلى لغة اليوروبا ، التي تسود في منطقة إيكوتا وقطاع كبير من نيجيريا ، وقد بذل المنصِّرون الأوروبيون جهداً جباراً في تدريس وتدريب عدد من المواطنين ؛ ليقوموا بمهمة التنصير في وطنهم ؛ وقد أفلحوا في هذا ، فهم اليوم مخلصون كل الإخلاص في عملهم التنصيري في أوطانهم .

التنصير في غانا . . .

كان هناك نوع من التركيز على غانا ، إذ عرفها الأوروبيون التجار منذ القرن الخامس عشر الميلادي كما سبق الذكر ، وطرقوا سواحلها بغرض التجارة ، ويبدو أن التنصير الصليبي الذي صاحب التجار قد أفلح في جذب بعض الأفراد ، وإعدادهم لمهمة التنصير . ومن هؤلاء **توماس فريمان** ، فهو افريقي تعلم في انجلترا وأعد إعداداً خاصاً للتنصير . وقد رجع إلى افريقيا وأسس مدرسة تنصيرية في أكرا ، وذلك في الفترة ما بين ١٨٤٥م و١٨٤٦م . ثم زار أجزاء عدة في غربي افريقيا امتداداً لنشاطه التنصيري .

لم يكن المنصِّرون والسلطات الحاكمة بأوروبا يرهقون خزائن دولهم بالإنفاق على التنصير في غربي افريقيا ، إنما كانوا على الأغلب يحققون أرباحاً تجارية في تواجدهم هناك . ومن ثم فإنه لمواجهة النفقات المالية بدأ التنصير في غانا بمزاولة التجارة بشتى وسائلها وأنواعها . بل أنشئت شركة هي « **الشركة التجارية** » ، والتي اتسعت أعمالها في أنحاء غانا من الساحل حتى مدينة خماسي . كان هذا في القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد استمرت الشركة حتى بداية القرن العشرين الميلادي ، ويعتبر هذا أيضاً امتداداً لنشاط جمعية باسل ، صاحبه نشاط

■ اعتمد نشاط الكنيسة الانجيلية على جهود مجموعة من الزنوج الأرقاء الذين أطلق سراحهم ورجعوا إلى فريتاون بسيراليون .

الكنيسة الانجيلية . وقد قام بعض رجالها بتكوين مجموعة نسائية نصرانية ذات نشاط ملحوظ في مدينة خماسي ومدن أخرى بغانا منذ عام ١٩٢٠م ، كما أنشأت معهداً لإعداد القساوسة المنصِّرين في خماسي أيضاً ، كل ذلك على نفقة الكنيسة الانجيلية . وفي كل هذه المؤسسات ظل الذين يمارسون التنصير من الأوروبيين حتى عام ١٩٥٠م عندما أسند بعض العمل للوطنيين[١٠] .

نشـــاط الكنائس في غانـــا . . .

ومن الكنائس التي نشطت للتنصير في غانا الكنيسة الكاثوليكية حيث بدأ النشاط على يد القسيس الفرنسي « موريو A. Moreau » الذي وصل إلى غانا مع آخرين عام ١٨٨٠م حيث تم تأسيس المدرسة الكاثوليكية في أكرا[١١] ، ثم بعد ذلك توغل مورو إلى أعماق غانا وأنشأ عدة محطات تنصيرية كاثوليكية . وتبع كل هذا النشاط تأسيس مدارس ابتدائية وثانوية باسم الجمعيات الكنسية المختلفة : إنجيلية ، وكاثوليكية وغيرهما . وأسست كلية أشموته . « Aehimota » الثانوية المختلطة بأكرا ، وذلك لإعداد مجموعات تنصيرية وطنية خاصة .

وقد تخرج فيها معظم الذين تسلموا السلطة هناك ولا يزال أكثرهم يسير النظام في غانا حتى يومنا هذا ، وتبع هذا إنشاء عدد من المكتبات كلها موجهة لخدمة التنصير . كما ترجم الإنجيل إلى عدة لغات محلية بغانا منها توي Twi وأكان Akan وجـا Ga ، ثم أنشئت مطبعة بأكرا اتبعت ببعض المراكز الصحية .

وقد توالت جموع الإرساليات التنصيرية من قبل انجلترا ، وفرنسا ، وهولندا ، إلى بلاد غربي افريقيا ؛ حيث عم نشاطها كلاً من سيراليون ، وليبيريا ، وساحل العاج ، والكميرون .

اصطدام المنصِّـــر الأوروبي بالوطنيين . . .

تقبل بعض الحكام ورؤساء القبائل النصرانية جرياً وراء المصلحة . فهناك حاكم واري بجنوبي نيجيريا الذي كان يسعى لتأمين حدوده مع بنين ، فتقبل النصرانية طلباً للحماية وتأمين حدوده . ثم إن كثيراً من الحكام والقادة الوطنيين كان لهم أعداء في الداخل والخارج فاحتموا بالنصرانية ضد أعدائهم .

ومنهم من كان يأمل في توسيع نفوذه وبث سلطانه ، وبهذا دخلت في النصرانية أعداد دون فهم للدين أو أهدافه ، ودخل آخرون في هذا الدين الصليبي تطلعاً لمنح دراسية في البرتغال ، أو انجلترا وغيرهما من البلاد الأوروبية ، وقد ذهب بالفعل بعضهم ورجع الكثيرون منهم إلى افريقيا بألقاب جديدة وهدايا ، بل بعضهم برفقة زوجات غربيات ، وقد جرت النصرانية في دمه .

لم يتحقق حلم الحكام والقادة الافريقيين في غربي افريقيا ممن تقبل النصرانية لمصلحة ، إذ اتضح لهم أن المنصِّـر مستعمر لهم ، فقد أصبحت السلطة في يد المنصِّـر الأوروبي ، وغدا يعزل ويعيِّـن من يشاء من الحكام ، وكثيراً ما كان هذا يتعارض مع رغبة الوطنيين ؛ ومن ثم وقف الكثيرون من هؤلاء الحكام والقادة موقف عداء حيال المنصِّـرين ، إلا أنهم اضطروا للاستسلام لضعفهم أمام سلاح المنصِّـر الحديث .

ومما واجه التنصير في غربي افريقيا .. التناقض بين الثقافتين الأوروبية والافريقية ، فقد تنكر المنصِّـر الأوروبي لعادات وتقاليد أهل غربي افريقيا . وفي الوقت نفسه كان هذا المنصِّـر غريباً عن المواطن بلونه وملبسه وسلوكه . ولما لم يكن هناك شيء يقدمه المنصِّـر لإزالة الفجوة الكبيرة بينه وبين هذا المواطن ، فقد ظلت جهود الأوروبيين فكرة دون إيمان في نفوس الأتباع من الافريقيين ، وكان هذا مدعاة لتفكير المنصِّرين في تكثيف البعثات ، حيث عملوا على إرسال الشباب في عدة دول غربي افريقيا إلى انجلترا ، والبرتغال ، للتعليم والتدريب منذ القرن السادس عشر الميلادي ؛ وقد تدرب المبعوثون على التنصير الصليبي ، ورجعوا إلى بلادهم لمزاولة هذا العمل تحت إشراف الأوروبيين ، الذين لا يزالون ينتشرون في غربي افريقيا إلى يومنا هذا .

الحـــروب الصليبية الباردة في غربي افريقيا . . .

لما تم استيلاء الافرنج على غربي افريقيا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، تدافعت أمواج الارساليات التنصيرية من انجلترا وفرنسا خاصة ، بشكل جمعيات مختلفة لبناء المدارس والكنائس والمستشفيات في المدن والأرياف ، وأعد لها المنصِّـرون إعداداً خاصاً ، منهم : المهندس والطبيب والمحاسب والمعلم والعسكري .. وغيرهم . وتلقى جميعهم التدريب الخاص بالتنصير ، والتدريب على الإسعافات الأولية ، وقيادة السيارات ، ومبادىء النجارة والكهرباء ؛ ومن ثم كانوا أقدر على مواجهة

موضوع الغلاف

التبشير النصراني في غربي افريقيا

■ **تقبل بعض الحكام ورؤساء القبائل النصرانية جرياً وراء مصالحهم ، ودخل آخرون في النصرانية تطلعاً لمنح دراسية في البرتغال .**

الظروف القاسية التي كانت تعيشها الكثير من البلاد الافريقية ، وكذلك أقدر على المضي لأداء رسالتهم التنصيرية . ولم يكن العمل لينحصر بعنصر الرجال فقط ، إنما كانوا يعتمدون على عنصر النساء في التنصير أكثر من اعتمادهم على الرجال . فهم إذاً كانوا ولا يزالون يقدمون على استخدام عنصر النساء في التنصير إذ يستهدفون بذلك استمالة الرجال لدينهم ، فقد أدركوا أن طبيعة الرجل الافريقي هنا تجعله أقرب استجابة لنداء المرأة الأوروبية . ولربما دون اقتناع بالدين نفسه ـ والمسلك هذا لم يكن حصراً في غربي افريقيا ، بل هو مسلك التنصير الصليبي حتى الآن في جلّ أقطار العالم التي يبث فيها فكرته . وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ثغرة في الخلق الإنساني والتي يمارسها التنصير الصليبي .

ومن جانب آخر نجد أنه بعد أن تم تحرير العبيد الافريقيين ، وأطلق سراحهم في أوروبا وأمريكا ، وتأسست في سيراليون مدينة **فريتاون** عام ١٧٧٢م بادر المنصِّرون الأوروبيون إلى إنشاء كلية لتخريج الأساقفة من العبيد الذين حرروا ، بغية إرسالهم إلى المستعمرات الجديدة في غربي افريقيا[١٢] .

ونزلت الدفعة الأولى من موجات التنصير إلى نيجيريا في عام ١٨٤١م ، وكان من بينهم **صمويل أجاي كراوتر** ، الذي تحرر مع المتحررين وتخرج مع المنصِّرين ، ثم أرسل إلى نيجيريا مع المرسلين إلى جنوبي نيجيريا[١٣] ، حيث عمل بجد ونشاط . وقد وضع أيضاً الحروف اللاتينية لكتابة لغة « **اليوروبا** » لترجمة الإنجيل ، بدلاً من الكتابة العربية التي كان المسلمون يكتبون بها لغة اليوروبا[١٤] .

التحالف التنصيري الاستعماري . . .

لقد كان الاستعمار الأوروبي يعمل جنباً إلى جنب مع التنصير . وكلاهما يمهد السبيل للآخر ويضع كل إمكاناته تحت تصرف الآخر ، وكان كبار الأساقفة يختارون للسلطة . ومن ثمّ كان يصعب على المواطن الافريقي أن يفرّق بين الموظفين الحكوميين وبين الأساقفة المنصِّرين .

لجأ التنصير الصليبي إلى الحرب واستعمال القوة والسلاح في بث أفكاره في غربي افريقيا ، إذ قاد المنصِّرون قوة حربية ضد الأسانتي « ASANTE » واليوربا بجنوبي نيجيريا عام ١٨٩٦م[١٤] بل إن أحد المنصِّرين الأمريكيين من قبل كنيسة **بابتست Baptist** ذكر عند إيفاد قوة حربية للتنصير الصليبي في غربي افريقيا ما نصه :

« **الحرب في الغالب باب لدخول الإنجيل في بلد ما ، فالسيف الحديدي غالباً ما يسبق السيف الروحي** » .

ولجأ بعض المنصِّرين إلى استخدام السلاح الناري لتولية من يروق لهم في السلطة في بلاد غربي افريقيا ، وذلك دون مراعاة لعادات وتقاليد الافريقيين . ومارس هذا البرتغاليون بصفة خاصة . فقد ولوا السلطة بسيراليون عام ١٦٨٠م أحد المواطنين الذي أخذ إلى البرتغال فعُلِّم ودُرِّب على التنصير ، وكان هذا التولي تخطياً لرغبة المواطنين الذين كانوا يرغبون بتتويج شخص آخر .

أخلاق المنصِّرين وممارساتهم . . .

لم يكن المنصِّرون الذين بعثوا إلى افريقيا عامة من الذين عرفوا بالاستقامة ، إذ احتفظ التنصير الأوروبي بالجيدين من الأشخاص ، وأرسلوا الذين عرفوا بالشغب والنميمة والرشوة ؛ مما أثر في سلوك الافريقيين الذين تأثروا بالمنصِّرين .

ومن جانب آخر مال المنصِّرون الصليبيون نحو تجارة الرقيق ونادوا بها بحجة أنهم يواجهون أزمات مالية في تنصيرهم بغربي افريقيا ، ورفعت شكوى لملك البرتغال بذلك ، وانتهى الأمر بأن سمحت لجنة التنصير ببرشلونة بأن يمارس المنصِّرون تجارة الرقيق لسد احتياجاتهم ، وكان ذلك في اجتماع عام ١٦٩٣م ، وكان السماح بسبعمائة من الرقيق سنوياً ، بل استعمل المنصِّرون الأرقاء كوسيلة للحمل في تنقلهم ؛ وبهذا توجه المنصِّرون نحو التجارة وذلك أمر واضح إذا نظرنا إلى تحركات السفن البرتغالية آنذاك ومواقع التنصير . فهم لا يطرقون إلا المواقع التجارية حيث الفائدة المادية ، كما أن بعض الأماكن تمر عليها السفن مرة واحدة ثم تهجرها لعدم جدواها المادي .

مارس الصليبيون تجارة الرقيق في غربي افريقيا ودرَّ ذلك عليهم أرباحاً كبيرة . ولم يكن ذلك يوماً في الخفاء أو مما يتعارض مع مُثلهم ، ثم ادَّعوا أنهم لم يلجأوا إلى هذه التجارة إلا لدعم التنصير وسد حاجتهم . . .

■ في عام ١٨٦٠م تعب السكان بجنوبي نيجيريا من هيمنة المنصِّر الأوروبي فعلا النداء لتأسيس كنائس على نمط أفريقي وانتهى الأمر بتأسيس كنيسة بواسطة الأفارقة في لاجوس عام ١٩٠١م

أســاليب المنصِّــرين الصليبيين وكيدهم ...

وحين حلَّ المنصِّــرون الصليبيون بغربي افريقيا وجدوا الإسلام ديناً متمكناً من النفوس ، وقوة حاكمة ، ودولاً قائمة بالأجزاء الداخلية من تلك البقاع . وقد أغضبهم هذا فشمروا عن سواعدهم للقضاء على الإسلام بكل ما أُوتوا من قوة ووسيلة ، حتى ضربوا الثقافة العربية الإسلامية بثقافتهم الافرنجية ، وهدموا بنيان العلماء في تلك الساحة بمعاول قساوسة الصليب ، وبدلوا الشريعة الإسلامية بالقانون الوضعي .

ثم طاردوا الفقهاء في الدواوين ، وأحلوا محلهم المحامين العلمانيين ، وأخذوا طلاب اللغة العربية إلى دراسة اللغة الانجليزية والفرنسية ، وجعلوا من اللغة الانجليزية أو الفرنسية لغة الدولة الرسمية ، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالمال وكل ما هو مظهري ، ثم أرسلوهم إلى أوروبا لإعدادهم لتسلم الزعامة والقيادة في البلاد الافريقية ، وليكون كل هذا في خدمة التنصير ، فبقي المتمسكون بدينهم الإسلامي خارج الحظيرة ، ضعفاء مساكين مهملين يعيشون على هامش الحياة ، لا تعليم لهم ولا وسيلة في أيديهم .

أما القلة التي انخرطت في التعليم الصليبي من أبناء المسلمين ؛ فقد أصبحت أداة لخدمة أغراض الصليب .
إن الذين تلقوا الانجليزية أو الفرنسية في المدارس التنصيرية الصليبية بغربي افريقيا ، وظلوا على دينهم الإسلامي قلةٌ .. وكل منهم كالقابع على جمرة نار . وإنه حتى تاريخنا هذا تعترف الحكومات في بلاد غربي افريقيا بتدريس الديانة النصرانية في مدارسها النظامية ، ولكنها لا تعترف بتدريس اللغة العربية ، والدراسات الإسلامية في المدارس الحكومية كلية في بعض الدول ، وبعضها تبيح تدريس هاتين المادتين في بعض أجزاء دولها على حين لا يعترف بهما في الأجزاء الأخرى ؛ حيث تكون السيطرة المحلية للعنصر النصراني ، ويصدق هذا حتى في بعض الدول التي تكون فيها قمة السلطة في يد المسلمين ، كما هو الحال في نيجيريا .

فعلى الرغم من أن الرئيس الفيدرالي الحالي مسلم ، وعلى الرغم من أن المسلمين في نيجيريا يشكلون الغالبية العظمى من حجم سكان البلاد ، فإن اللغة العربية والدراسات الإسلامية غير معترف بهما من ضمن المواد المدرسية في كل أنحاء جنوبي نيجيريا ، ومن ثم يتم تدريسهما في مدارس خاصة ، تفتقر إلى الكثير ، إذ معظمها قائم بجهود فردية .

خاتمــــــــة ...

لقد بذل الصليبيون الأوروبيون قصارىٰ جهدهم في جعل غربي افريقيا ساحة صليبية ، فانتهى تأثيرهم الحقيقي إلى هامش غربي افريقيا والسواحل التي يحيط بها المحيط الأطلنطي والتي لم يصل إليها التأثير الإسلامي الحقيقي ، فقد سبق أن انتشر في شمالي نيجيريا ، وفي مالي ، والنيجر ، وموريتانيا ، وفولتا العليا ، وشمالي غانا . وظلت هذه الأماكن متمسكة بدينها الإسلامي رغم الجهل به في كثير من الأحيان ؛ بسبب العزلة التي فرضها ولا يزال يفرضها التنصير الصليبي الأوروبي .

ومن ثم فإننا نجد أن الساحة الصليبية الحقة في غربي افريقيا هي جنوبي نيجيريا وغانا وبنين وتوجو وجنوبي الكمرون وليبيريا وسيراليون والأجزاء الجنوبية لكل من ساحل العاج وغينيا والسنغال .

المـــــــراجع :

(١) يوسف فضل . انتشار الإسلام في افريقيا ـ دار جامعة الخرطوم للنشر . ١٩٧٩م صفحة ١٦ .

(٢) إبراهيم علي طرخان . امبراطورية البرنو الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٧٥م . ص ١٥ .

(٣) يوسف فضل . انتشار الإسلام في افريقيا ص ١٨ .

(4) Babalola, E. O. Christianity in West Africa. (An Historical Analysis). 1981, Ado, Nigeria. Page 10.

(5) ibid., P 10.

(6) Christianity in West Africa. P. 7.

(7) ibid. P. 87.

(8) Christianity in West Africa. P. 96.

(9) ibid., P. 88.

(10) Christianity in West Africa. P. 76-77.

(11) ibid., P. 77.

(١٢) آدم عبد الله الالوري . الإسلام في نيجيريا ، والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م . القاهرة ص ١٤٨ .

(١٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(١٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

■■ مشروع إسلامي ضخم وموسوعة عالمية كبرى للسنة النبوية يجري العمل فيها الآن بالأزهر الشريف .. فمن المعلوم أن ما وصل إلينا من أحاديث نبوية بلغ نحو مائتي ألف حديث ، وأن هناك أحد عشر كتاباً أصيلاً للأحاديث وهي : (البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والموطأ ومسند الإمام أحمد والبيهقي والدارمي والحاكم) .

ومع ذلك فإن علماء الأزهر ، وبالتحديد علماء الحديث بكلية أصول الدين ، تصدوا لهذا المشروع الضخم لصالح الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم . ولا يزال العمل جارياً منذ ست سنوات كاملة للانتهاء من إصدار الموسوعة الكبرى ، التي تضم كل الأحاديث التي رويت عن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام ..

فما الهـدف من هذا المشروع ؟ وما الجديد الذي تقدمه موسوعة السنة النبوية ؟ ■■

موسوعة عالمية كبرى للسنة النبوية

الموسوعة : تقضي على كل خلاف وتشكيك حول الأحاديث النبوية

حملة مسعورة على السنة

ويجيب على السؤال السابق الدكتور موسى شاهين لاشين ؛ رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، والمشرف على المشروع بقوله :

... لما كانت هناك حملات مسعورة على السنة ؛ تتهمها بضعف الثقة ، وتدعو إلى طرحها جانباً ، والاكتفاء بالقرآن الكريم ، وسبب هذه الحملات هو : أن السنة النبوية شاع وجود بعض الدخيل فيها منذ استشهاد عثمان رضي الله عنه .

فالأمة الإسلامية عندما بدأت تدون الحديث على رأس المائة الأولى من الهجرة ، كانت تهدف إلى الجمع لا إلى التمحيص ؛ من أجل هذا كان واجباً على علماء الحديث في العالم مواجهة هذه الحملة المضللة ، بجهود مكثفة لبيان درجة كل حديث . ثم فصل الصحيح عن الضعيف .

ويتناول الحديث الدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث بكلية أصول الدين ؛ ليلقي مزيداً من الضوء على المشروع فيقول :

ـ إن مشروع السنة النبوية سوف يجمع كل الأحاديث التي وردت في كتب السنة المطبوعة والمخطوطة .. المتداولة وغير المتداولة .. التي عرفت درجة صحتها ، والتي لم تعرف ، والتي فيها الصحيح : كالبخاري ومسلم ، والتي فيها الصحيح والحسن والضعيف . ثم تصنف هذه الأحاديث ، وبالتالي نقدم للعالم الإسلامي رصيداً ضخماً يقول : **هذا ما صح عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو الحسن ، وهذا هو الضعيف ..**

فوائد عظيمة للموسوعة ..

ويستطرد الدكتور أحمد هاشم قائلاً :

... وسوف يكون لهذه الموسوعة فوائد عظيمة ـ إن شاء الله ـ حيث إنه سيكون من السهل الاستنباط أمام المستنبطين ، وسوف تستخرج الأحكام الفقهية من المختصين بسهولة ويسر ، وأخيراً سيسهل على المسلمين معرفة الصحيح والحسن والضعيف من أحاديث رسول الله ﷺ ؛ فيقل بذلك الخلاف ، أو الجهل بالأحاديث النبوية .

جهود الأئمة السابقين

لقد كان للعلماء والأئمة السابقين جهودهم المشكورة في جمع الأحاديث النبوية ، حيث اتجهوا منذ القرن الثاني الهجري للتصدي للدخيل في الحديث وكشف زيفه ، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً كبيرة . ولكن ـ كما يقول الدكتور موسى لاشين ـ فإن هذه الجهود جاءت متشعبة ومتفرقة . فبعضهم جمع الأحاديث الصحيحة كـ « **البخاري** » و « **مسلم** » ؛ إذ جمع كل منهما ما يزيد قليلاً عن أربعة آلاف حديث ، وبعضهم جمع الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، وبلغت في كتب متعددة نحو عشرين ألف

● الامة الاسلامية عندما بدأت تدوين الحديث على رأس المائة الأولى من الهجرة كانت تهدف الى الجمع لا إلى التمحيص من أجل هذا كان واجبا على علماء الحديث القيام بجهود مكثفة لبيان درجة كل حديث .

حديث ، وبعضهم الآخر جمع أحاديث شملت الصحيح والضعيف وإن غلب عليها الصحيح : كـ « **سنن أبي داود** » و « **النسائي** » و « **الترمذي** » و « **ابن ماجه** » ، وبعضهم تقارب في جمعه الصحيح وغير الصحيح كـ « **مسند الإمام أحمد** » ، وبعضهم كثر في جمعه الضعيف ، بل الموضوع كـ « **الجامع الكبير** » الذي ضم مائة ألف حديث .

واتجهت بعض الجهود إلى نقد الأحاديث أو الإضافة إليها ، كما اتجهت جهود أخرى إلى رجال الحديث ورواته ، فكتبوا تاريخهم ، ووضعوهم على موازين النقد ، وحكموا عليهم بالتعديل أو التجريح .

خطة عمل الموسوعة . .

وعن خطة عمل الموسوعة يقول الدكتور **موسى لاشين** :

... لقد فضلت أن يكون المشروع موضوع رسائل (**للماجستير والدكتوراه**) ، لأن هذه الرسائل ستكون تحت إشراف اثنين من أعضاء هيئة التدريس والذين هم متفرغون لهذا العمل ، وسيضعون نصب أعينهم نقد ما يكتب ، ويناقشونه مناقشة علنية .

كما تقوم لجنة المناقشة بتدارك ما عساه أن يقع في الأبحاث من قصور .

ولقد حولنا ـ والكلام لا يزال للمشرف على المشروع ـ التسجيل في رسائل الماجستير والدكتوراه جميعها إلى العمل في هذه الموسوعة ؛ حتى أصبح عدد المشتغلين بها اليوم نحو مائة باحث . كما خصص لكل رسالة (**ماجستير**) ما لا يقل عن خمسمائة حديث ، وما لا يقل عن ألف وخمسمائة حديث لكل رسالة دكتوراه ، وقد تم الانتهاء حتى الآن من فحص وتحقيق مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، والعمل جارٍ لفحص وتحقيق البيهقي .

خطوات البحث . . .

ويحدثنا الدكتور أحمد عمر هاشم عن الخطوات التي يتخذها الباحث في رسالته فيقول : إن الباحث يقوم :

أولاً : بتحقيق النص تحقيقاً علمياً دقيقاً بمقابلته على المخطوط ، ثم وضع بعض الملاحظات التي تحتاج إلى إيضاح أو نقد أو زيادة .

ثانياً : يقوم الباحث بضبط نصوص المتن وهو اللفظ النبوي ، حتى الرجال والأعلام يقوم الباحث بضبطهم بالرجوع إلى كتب الشروح والمعاجم والمخطوطات .

ثالثاً : تأتي بعد ذلك خطوة تخريج الحديث من سائر كتب السنة المعتمدة .

رابعاً : يقوم الباحث ببيان درجة كل حديث عن طريق البحث عن الرواة والرجال .

ويستطرد الدكتور أحمد عمر هاشم فيقول :

... هناك أحاديث لا تحتاج إلى بيان معنى كلمة ولا إلى تعليق عليها ، وهذه يكتفى فيها بالتخريج ، وبيان درجتها وأسانيدها ، وهناك نوع آخر من الأحاديث معناه العام واضح إلا أن هناك بعض الألفاظ في المتن تحتاج إلى إيضاح ، أو لفظة تحتاج إلى بيان ، أو رجل من الرواة يحتاج إلى تعريف ، كما أن بعض الأحاديث يحتاج إلى ترجيح بين الآراء بأن كانت مثلاً مشتملة على بعض الأحكام الفقهية : فيكون هناك رأي لبعض المذاهب ، ورأي ثانٍ وثالث ... وهكذا .

والباحث حيال هذه المذاهب المتعددة يقوم بدور الترجيح بناء على أدلة يدلي بها ؛ تعتمد على نصوص صريحة من القرآن والسنة ، وهنا تظهر شخصية الباحث .

المشروع ومراحله الأربع . . .

ويختتم الدكتور موسى شاهين لاشين حديثه عن المشروع فيقول :

ـ إن الخطوات التي سبق الحديث عنها تعتبر هي المرحلة الأولى من المشروع .

أما **المرحلة الثانية** : فهي مرحلة تنسيق هذه الجهود المختلفة بضم أحاديث الموضوع الواحد من الرسائل المختلفة في مكان واحد .

والمرحلة الثالثة : هي استخدام الكمبيوتر في فصل الصحيح عن غير الصحيح من الأحاديث النبوية ، وإخراج كتب الصحيح وحدها وغير الصحيح وحدها .

وتأتي بعد ذلك **المرحلة الرابعة والأخيرة** وهي : أخذ الصفوة من الأحاديث الصحيحة التي تغطي كل باب من أبواب الدين ، وإخراجها في كتاب يمكن لكل مسلم أن يحتفظ به في بيته مع المصحف الشريف .

مكتبة الأمة

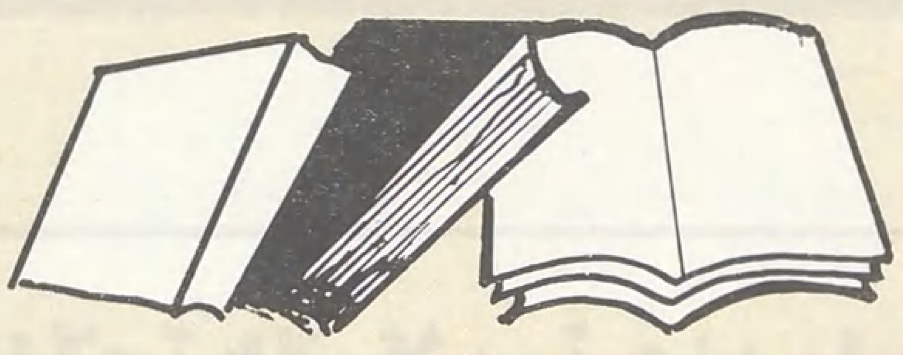

الكتاب : من ديوان محرم الأقصى الحزين

المؤلف : الشاعر أحمد محرم رحمه الله

الناشر : مكتبة الفلاح - الكويت

□□ منذ بداية الانتداب الانكليزي على فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى عمدت انكلترا إلى العمل على تهويد فلسطين وطمس هويتها العربية الإسلامية، تنفيذاً لوعد بلفور، وتنفيساً عن أحقاد القرون الصليبية والتوراتية... فكان تشجيع هجرة يهود إلى الأرض المقدسة، وتوزيع الأراضي الأميرية (أملاك الدولة) عليهم، والتضييق على أصحاب الأرض الأصليين لإجبارهم على بيعها ليهود، كما قامت بتسليح وتدريب عصابات يهود لإرهاب الفلسطينيين، ووضعت في السلطة الكثير من هؤلاء الغرباء، وكانت الوكالة اليهودية دولة داخل دولة... وبدأت مأساة فلسطين وشعبها، وقد هزت هذه المأساة الشاعر الإسلامي أحمد محرم رحمه الله، فأخذ يصرخ من صميم قلبه منبهاً ومحذراً داعياً المسلمين والعرب إلى أن يهبوا لإنقاذ فلسطين الجريحة، وحماية باقي الوطن العربي من مؤامرات الاستعمار والصهيونية التي تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين فكانت قصائد غراء نشرها في جرائد ومجلات تلك الأيام، وجاء ولده الأستاذ محمود أحمد محرم ليجمع شتاتها في هذا الديوان.

وكأني به يريد أن يستجيش همم العرب والمسلمين في هذه الأيام لرفع معاناة الأقصى الذي يئن تحت وطأة الاحتلال والأحقاد اليهودية والصليبية... □□

الكتاب : من قضايا القرآن

المؤلف : الدكتور إسماعيل أحمد الطحّان

الناشر : المكتبة العربية الدوحة

□□ لم يشغل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ علماء المسلمين المتخصصين في علوم القرآن كما شغلهم حديث الأحرف السبعة.. حيث إنه أساس للفهم في نشوء القراءات القرآنية عامة.. ولا يتأتى لباحث أن يتناول قضية القراءات دون أن يتعرض لماهية الأحرف، وأن يناقش ما أثير حولها من تفسيرات: حول هاتين القضيتين من قضايا القرآن جاءت هذه الدراسة...

ومنشأ قضية الأحرف أصلاً الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ في أشكال مختلفة أو روايات متعددة، وهو الذي حققه المحقق محمود محمد شاكر وهو يكتب تحقيقه لتفسير الطبري: [لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء (موضع بقباء خارج المدينة) فقال: إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز، فقال جبريل: فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف ...] واللفظ لأبي أسامة من رواة الحديث.. ثم قدم المؤلف اتجاهات الأقدمين في تفسير الحديث وناقشها.

ثم انتهى إلى أن هذه الأحرف السبعة تأتي في ضوء طبيعة الإسلام في استنان الرخص حتى يستطيع المسلم أياً كانت لهجته وبيئته أن يقرأ بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه ولهجته دون نكير عليه أو استهزاء به.. وتستطيع هذه الأحرف أن تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع العالم إلى يومنا هذا.

كان من أثر وجود هذه الأحرف أن نشأت قضية القراءات السبع، وفيها عرضت الدراسة لكل ما يتصل بالنص القرآني، فتحدثت عن حقائق جمعه في عهود الإسلام الأولى حتى دُوِّن في عهد عثمان رضي الله عنه، ثم عن مفاهيم القراءات عند الأقدمين، ودور المصاحف العثمانية في هذه القضية ملقياً الضوء على أئمة القراءات، بعد ذلك جاء الحديث عن « دراسة لهجية مقارنة » للقراءات السبع في خمسة مباحث، فيما بين القراءات المهموزة أو المخففة أو المحركة أو القراءات التي بين التحريك والتسكين.

والدراسة محاولة في تفسير الأحرف تفسيراً يسيغه المنطق ولا تنكره الآثار.. □□

الكتاب : العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه

المؤلف : محمود شاكر

الناشر : المكتب الإسلامي بيروت

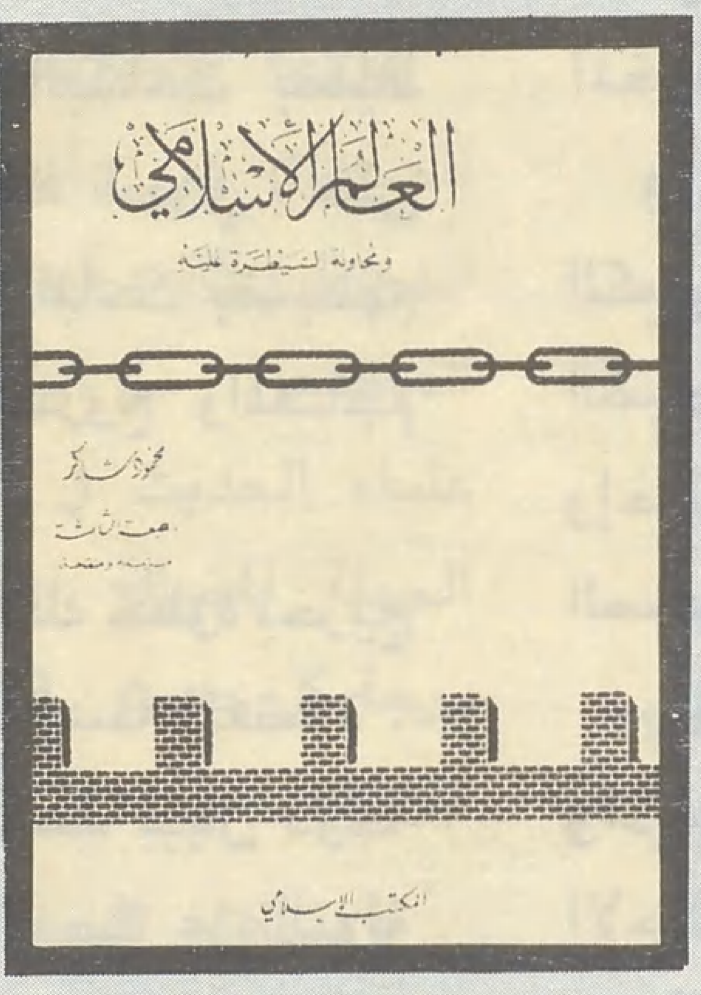

□□ صدر الكتاب في طبعته الأولى صيف عام ١٣٨٧هـ. إثر النكبة التي حاقت بالمسلمين عام ١٩٦٧م والتي أضافت إلى دولة العدو الصهيوني قوة إلى قوتها، وأرضاً جديدة اغتصبتها إضافة إلى الأرض التي كانت قد اغتصبتها من قبل، فجاءت الموضوعات متأثرة بالويلات التي ذاقتها الأمة حينذاك، والطبعة التي نقدمها للقارىء هي الثالثة، جاءت تحمل بعض الزيادات والتنقيح عن سابقتيها، وتشتمل على تمهيد شرح فيه المؤلف مصطلح « العالم الإسلامي » ثم تحدث عن عوامل اللقاء بين جوانب هذا العالم الإسلامي من الناحية البيئية والمناخية والاقتصادية والبشرية (العقيدة واللغة والتاريخ والآمال والآلام والثقافة والعادات والتقاليد) وانتهى إلى ضرورة هذا اللقاء بين بلدانه إن أراد تقدماً ورفعة خاصة وأن العصر هو عصر التكتلات البشرية الفكرية.. [المجتمع الرأسمالي - الشيوعي - الوثني] بعد ذلك تحدث عن المخطط العسكري الأوروبي للسيطرة على العالم الإسلامي، ومخطط الأعوان (اليهود - الصليبيون) والمخطط الفكري (العلمانية - الشيوعية - النصرانية - الدعوات العنصرية - الاشتراكية) ومخطط الضغط والإذلال، ومخطط الاحتواء، ومخطط التصفية... وبين كيف أن كل مخطط من هذه المخططات كان يرافقه منهج اجتماعي يوضع بين أفراد المجتمع المسلم لالتزامه والسير على هداه (الامتيازات للأجانب - اعتبار النصارى رعايا للدول الغربية - وصف المسلمين بالتعصب - الدعوة إلى الاختلاط والتبرج) ثم حدد المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي بمشكلات خارجية وداخلية (الاختلاف على الحدود بين أمصاره - الاختلاف في الثقافة تبعاً للاستعمار الذي خضعت له أمصاره - تحكم الأقلية - التأييد للمستعمر من أصحاب المصلحة - كم الأفواه...) وأخيراً يلخص في صفحات قليلة ما يجب على المسلمين المسارعة إليه من أجل إفساد مخططات الأعداء، والعودة لتصدر القافلة البشرية.. □□

الديوان : مشاهد من عالم القهر

الشاعر : مأمون فريز جرَّار

الناشر : دار البشير عمَّان

□□ هذه مجموعة شعرية نظمها الشاعر مأمون فريز جرار ، جاءت مفرداتها منسجمة مع عنوانها ، بقصائدها والإحساس العام الذي يتخللها ، حيث تكرر لديه مفردات : [الحزن - الأسر - القتل - التشريد - الضياع - الذعر - الليل ...] .

فهو يتألم لحال الوطن العربي الذي لا يسمح « بالتجوال فيه إلا للغرباء » ، وحيث يحس « دمامل حقد في كل الأرجاء » :

وأرى أصناماً بشرية
وشعوباً يقتلها الإعياء

ويحزن للمنبر الذي « ما زال مشتعلاً » ودخان المسجد الذي يمتد « عبر الآفاق العربية » ولهتاف « فتاة مقدسية : وامعتصماه » ، هتاف لا يجد صدى

فالآذان العربية
ملأتها أوحال الأحقاد الشخصية
وحديث الأرض المحتلة
ما عاد يثير شجون القلب
ويتمزق لمنظر الأطفال « عراة الصدر » وللمحترقين في « نار المعتقلات » المنتظرين شروق الفجر .

ويرى أحياناً في الظروف العربية « لغزاً يستعصي على التفكير » يرى تناقضاً يسبب الحيرة ؛ يقف يوماً في الطابور أمام إحدى الحدود العربية ، فيسأله طفله ، وهو ينظر في وجه الجندي :

ألسنا في الوطن العربي
فلماذا الوقفة في الطابور ؟

ويقف أمام رجال الجمارك والتفتيش وتدقيق الأسماء ، الذين :

نبشوا أمتعتي وحذائي
نظروا في عيني أطفالي
واختبروا قوة أعصابي
ذكروا لي أين ولدت
وأين رحلت
وكيف أربي أبنائي
قالوا : مطلوب للتحقيق
في رأسك أفكار خطرة

فيما عدا هذه الأحزان العامة ، التي تمثل للشاعر مجالاً للحوار الخارجي ، فإن الشاعر يحاور ذاته حواراً داخلياً في كثير من فقرات مجموعته هذه ، بل هو أيضاً يمزج الحوار الداخلي بالحوار الخارجي فينكفىء أحياناً على نفسه أثناء ذلك الحوار :

أسأل الحرف عن المعنى الذي
تاه وعن مركب حزني
وشراعي ودموعي والتياعي
أتقصى في كتاب الدهر لفظاً لم يدوَّن
ومكاناً لم يعنون
وبلاداً لم تطأها بعد أقدام الغزاة
لم تزل تزخر بالحب وألحان الحياة
وأنا أرحل في نفسي سنيناً
وأنا أزرع في قلبي عيوناً

حتى ليخيل للقارىء أحياناً أنه وصل حد اليأس :

هل تبصر في هذا الغسق العربي
سوى ومضات من نور مخنوق
هل تلمح في هذا الحقل العربي
سوى نبت محروق
كم طير في هذا البستان
قتيل تبكيه الأغصان
شريد فرَّ عن الأوطان
أسير في قيد السجان
ويصير اليأس هو الخبز اليومي
لأطفال الوطن العربي ...

إلا أنه لا يقنط من رحمة الله ، فهو يسمع « صوت هدير من عمق الأعماق يتنامى مع إطلالة الموت وانتشار الرعب » و :

يتفجر من بين الأنقاض البشرية
إنسان مكتمل القسمات
يتحصن باسم الله ينادي في الآفاق
يا مسلم ! هذا العصر زمانك
هذا الصوت يتدافع في الآفاق :
يساقط ناراً فوق وجوه الدجالين
ويمد الجسر ليعبر جيش المقهورين

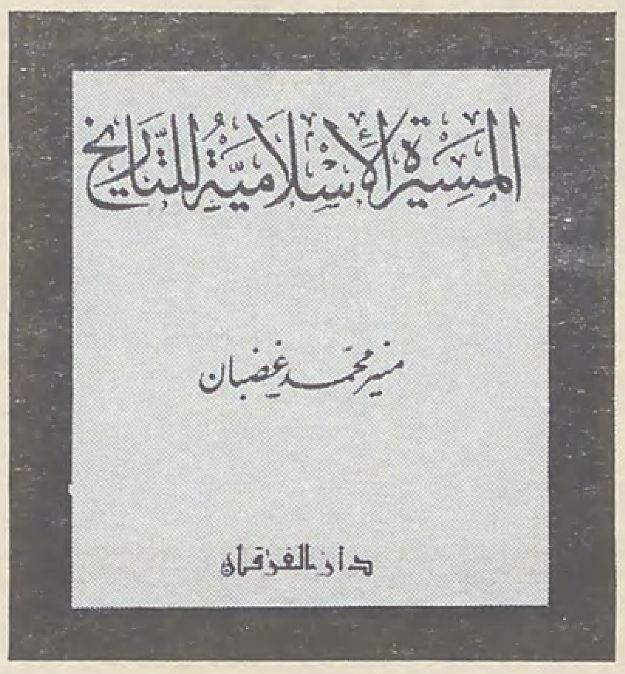

الكتاب : المسيرة الإسلامية للتاريخ

المؤلف : منير محمد غضبان

الناشر : دار الفرقان عمَّان

□□ كثيراً ما لجأ أعداء الإسلام من المتغربين والمستشرقين لهدم عقيدته ، ومحاولة القضاء على وجوده أو حصره إلى التاريخ يعرضونه من خلال فلسفاتهم المادية الرأسمالية والشيوعية ، فيتلقف شبان العالم الإسلامي هذه الدراسات لتدخل في بنائهم الفكري وتشوه معالم الإسلام في أذهانهم ، وتضع بدلاً عنها معالم جاهلية ، ولا نجد - للأسف - دراسات حديثة لتاريخ البشرية من خلال النظرة والتفسير الإسلامي للتاريخ ، بل نكاد لا نجد دراسة شاملة للتاريخ الإسلامي نفسه ، وإن وجد فهي دراسات قليلة كأنها شموع هادية في قلب الظلمة المطبقة ، تقود القارىء المسلم إلى التعرف الصحيح على التاريخ الإسلامي ، وتدله كيف يقرأ التاريخ ، وتعطيه خطوطاً أولية لنظرة الإسلام التاريخية ، لكنها لم تقدم عرضاً تاريخياً للأحداث العامة على ضوء هذا المنهج ، بل طلبت من القارىء نفسه أن يفعل ذلك ...

وهذا الكتاب كما يقول مؤلفه : محاولة حية لدراسة أحداث التاريخ الإسلامية والعالمية على ضوء الإسلام ؛ والمنطلق الذي سار فيه يعتمد على خطين أساسين هما :

الأول : التفسير الإسلامي للتاريخ الذي يعتبر تاريخ البشرية كله صراعاً بين الإسلام والجاهلية ، بين الحق والعدل ، بين منهج الله عز وجل ومناهج البشر ...

الثاني : اعتبار وحدة الأرض كلها ، ووحدة البشر كلهم بالنسبة لرسالات السماء ، فلا تميز لأمة أو عرق أو جنس أو شعب ...

ويعتمد المؤلف لتقديم هذه الصورة المتكاملة برأيه عن التاريخ على ما كتبه ثلاثة من الكتاب الإسلاميين (سيد قطب - عبد الحميد جودة السحار - أنور الجندي) ولم يكن له سوى التأليف بين هذا النتاج الضخم ، وإن كان يبدي أحياناً بعض الملاحظات التي اقتضتها ضرورة الربط بين الفقرات ، ليسد فراغاً في المكتبة الإسلامية ، ويحمي ثغرة من ثغورها ... □□

ليس فارسا
بل قاطع طريق

■ الفروسية عند المسلمين نبل ونخوة وشهامة ، فضلاً عن الكرم والشجاعة والفداء .. وهي عند غيرهم غدرٌ وقطع للطريق ومجازر وحشية ، مجردة عن الأخلاق والإنسانية ..

بقلم : الدكتور محمد رجب البيومي

■■ ظهرت الأفلام السينمائية في أمريكا وإسبانيا تصور فروسيته المزعومة ، وهو قاطع طريق خائن خرَّب المدن الإسلامية ونكَّل بالمؤمنين ..) [م . ر] ■■

ترتكز الفروسية الأصيلة على صفات جليلة من المروءة والكرم والشجاعة ، فلا يجدر أن يتصف بها غير ذوي النفوس العالية من أولي الأريحية والشرف والفداء ، ومحاولة إلصاقها بكل فاتك يحمل حسامه ويضرب به أنَّى قصد متخذاً ضروب الاحتيال والغدر والعقوق ، ومتخلصاً إلى مآربه الذاتية من سبل وبيئة دنسة حتى يذيع اسمه ويحتشد حوله فريق ممن ينخدعون بالبهارج الزائفة ، إن محاولة ذلك الإلصاق الشائن كذب صريح وبهتان عظيم .

وقد قرأنا كثيراً عن تاريخ السيد « الكمبيادور » صاحب الأعمال المخرِّبة في بلنسية وقشتالة وبرشلونة وسرقسطة بالأندلس على عهد ملوك الطوائف ، فرأيناه في منطلق الواقع التاريخي لا يرتفع عن قاطع طريق مسلَّح أتيح له أن يتزعم فريقاً من المخدوعين ليعيث بهم فساداً في جنبات الأندلس ، وقد وجد من تنازع الأمراء والملوك في عصره ما مهَّد له طريق الظفر الانتهازي في أكثر جولاته ! والمؤرخون المنصفون من النصارى والمسلمين يصمونه بالغدر والعقوق والقسوة والفظاعة ، معددين فظائعه المنكرة وجرائمه المخرِّبة ، ولكن دعاة التعصب في إسبانيا يتركون لخيالهم العنان لِيُنَصِّبُوا منه عملاقاً باهر الصفات خارق البطولات ، ولو قصروا حديثهم على شجاعته الانتهازية وحدها لقيل عنهم إنهم يُنَصِّبُونَه رمزاً لآمالهم القومية ، ولكنهم يضربونه مثلاً للفروسية وهو منها بمكان الحصى من النجم ، وكأني بغلاة القساوسة وقد أكَّدوا هذه الخوارق الموهومة بما أضافوه من معان دينية يضحك لها طويلاً من يعلمون حقيقة أبناء وطنه ودينه أنفسهم ! ولكن ما يضحك له هؤلاء العالمون قد أصبح في عشرات القصص الإسبانية والأوروبية فصولاً ومشاهد تمثل على المسارح ، وتنشط لتصويرها دور الخيالة ، وقد صدر أخيراً في أمريكا عن هذا (السيد) فيلم سينمائي يجعله بطل النصرانية وفارس الأندلس ! وهو بالفروسية دعي لصيق ..

قلت إن غلاة القساوسة قد أكَّدوا هذه الخوارق الكاذبة ! وقد بدأوا حوك الأساطير عنه من يوم وفاته ، فزعمت قصصهم الدينية أنه حين نزل به الموت لم يفقد سطوة عينيه ، ولم ينضب تدفق الدماء في شرايينه وتلهبها في وجنتيه ، ولذلك أجلسه حواريوه على جواده وأمسكوا يده بعنان فرسه ، وفي يده الأخرى سيفه البتار وقد برقت عيناه بريقاً يوحي بالتحدي والكبرياء ! وكان ذلك في

باديء الأمر كما يزعمون خديعة لأعدائه المسلمين كيلا يفرحوا بموته ، وهم يتقاتلون في معركة حربية طاحنة ، وسار المشهد التمثيلي يتقدمه الفارس الهالك حتى وصلوا به إلى دير سانت بدرو ليجلسوا البطل على كرسي من العاج محنَّط الجثة ليستمر إلى جانب المذبح عشر سنين مرتدياً ملابسه الملكية ، وأدواته الحربية !! حتى إذا تغلبت آثار الموت على وسائل التحنيط لم يجدوا مفراً من دفنه ، وهنا اتسعت الفرصة لأساطير القساوسة من جديد ، فزعموا أن يهودياً حاول أن يمس الجثة فتحركت يد السيد وقبضت على السيف الذي تمتشقه فسقط اليهودي مرتاعاً وَجلاً ثم تنصَّر ! كما زعموا أن تابوته قد فتح ذات مرة لبعض المآرب ففاح العطر يملأ المكان كما يهب النسيم بحديقة زهراء ، ثم هطل مطر عظيم روى أرجاء قشتالة وكانت حينئذ تشكو الظمأ وتتطلب الغيث فأنقذتها كرامة الكمبيادور !!

هذا بعض ما قيل عن البطل ! وكل من يسمع هذه الخوارق المدهشة يظنه قد جاهد في سبيل النصرانية عن عقيدة ثابتة حتى ضفرت له الأكاليل ! ولكن واقعه المدون ينطق بغير ما يقول ، فقد كان كثير من حماة النصرانية بعهده يقاسمونه العداء ويعدّونه خطراً مريعاً على الأندلسيين جميعاً من نصارى ومسلمين ، وكان الفونسو أمير قشتالة أول من فطن إلى انتهازيته الوصولية ، فأصدر أمره بنفيه من أرضه وحرَّم على الناس إيواءه ، فظل يتسكع ويتسول حتى أتيح له أن يجد من يرعى زوجته وابنتيه في دير مهجور ، وإذ ذاك لجأ إلى معسكر العرب ليجد من المسلمين في سرقسطة من يحميه ، وكانت طبيعة السياسة في عصر ملوك الطوائف تمنع الحذر والحيطة لدى هؤلاء الملوك ، فهم متنازعون متقاتلون ، قد وقع بأسهم بينهم ، فحالفوا العدو على أنفسهم ، ولم يرتفعوا إلى المستوى الذي يجب أن يصعدوا إليه فيوحِّدوا الكلمة أمام العدو المتربص ، لذلك رحب حكام سرقسطة بهذا الوصولي وأمدوه بالعون والسلاح وعرف حينئذ باسم « السيد » وهو اسم عربي ظل ملتصقاً به ، حيث لا يدل على حقيقة واقعه ، لأن السيد لا يكون تابعاً في بلاط ، وقد أغرته انتصاراته في بعض الوقائع بأن يجمع جيشاً من المرتزقة ، يحارب به النصارى طوراً ليطفيء حقده على من طردوه وشردوه ، ويحارب به المسلمين طوراً ، ليقتطع بعض المدن ، ويجمع الجزية ، ويأخذ الطعام والسلاح ! وصاحب هذا السلوك الانتهازي لا يستحق أن يوصف بالفروسية فضلاً عن أن يصل إلى مرتبة القديسين ممن تفوح روائحهم العطرة من قبورهم بعد عشرات السنين ! كيف وهو لا يقصر شره على المسلمين بل يتعداه إلى ابناء ملته أنفسهم ووقائعه المخرِّبة في مقاطعات الفونسو بقشتالة ، والكونت برنجر ببرشلونة لا تشير إلى أن النصرانية كانت تسكن قلبه عن يقين فقد عاث وخرب وأفسد ، ونهب الدور وأيتم الأطفال ، وروّع ابناء دينه

ليس فارساً
بل قاطع طريق

أسوأ ترويع ، ولكن ذلك كله ينسى لدى المغرضين تكريماً رخيصاً لما أنزله بالمسلمين في بلنسية من أهوال !

فقد كانت نكبة هؤلاء الضحايا الأبرياء به مروعة ماحقة ، إذ حاصرها في غلظة وفظاعة عشرين شهراً حصار الملحف اللجوج ، وبلغ الجهد بسكانها أن أكلوا المحرم من الحيوان ، وعدموا الماء فصبروا على العطش والجوع صبر المضطر المستسلم ، حتى إذا طفح الكيل طلب ابن جحاف قائد المدينة من السيد أن يرفع الحصار لتسلم المدينة نفسها بشروط مقبولة تحفظ كرامة الساكنين ! وكان من ابرزها أن يؤمن الناس على أنفسهم وأموالهم ، وأن يتولى مندوبه تحصيل الضرائب ، وأن تحتلها حامية من النصارى المستعربين الذين يعيشون بين المسلمين ، وألا يغيِّر الكمبيادور شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها الدينية ، فتظاهر الماكر بالقبول ، حتى إذا صار صاحب الأمر في بلنسية غدر بكل ما عاهد القوم عليه ، وطلب من ابن جحاف أن يسلمه جميع ما لديه من الأموال ، فتقدم بها ليظفر بحياته ، ولكنه كان يسير إلى نهايته حيث أحرقه الغادر فيمن أحرق ظلماً وعدواناً من أعلام بلنسية وكبار قوادها وعلمائها وأمرائها ، ولدينا نصَّان تاريخيَّان يتحدثان عن استشهاد ابن جحاف حديثاً يطفر بالدمع من العيون ، فقد قال أبو العباس بن علقمة أحد مؤرخي النكبة ومعاصريها :

« إن القنيطور - هكذا تسميه الرواية العربية - أمر بتعذيب ابن جحاف فعذب عذاباً شديداً ثم أمر به فجمع له حطب كثير ، وحفرت له حفرة وأقيم فيها وأصير الحطب حوله وأوقدت فيه النار فكان يضم النار إليه بيديه ليكون ذلك أسرع إلى خروج روحه » أ هـ .

وقال ابن بسام صاحب الذخيرة : « أخبرني من رآه في ذلك المقام ، وقد حفر له إلى رفقيه وأضرمت النار حوله وهو يضم ما بَعُدَ من الحطب بيديه ليكون أسرع إلى ذهابه ، واقصر لمدة عذابه ، كتبها الله في صحيفة حسناته ومحا بها سالف سيئاته ، وَهَمَّ الطاغية يومئذ بتحريق زوجته وبناته فكلمه فيهن بعض طغاته فبعد لأي ما لفته عن رأيه ، وأضرم هذا المصاب أقطار الجزيرة يومئذ ناراً وجلل سائر طبقاتها حزناً وعاراً » .

وقد انطلق الجنود من أتباعه يفسدون ويعيثون ، فمن ناهب للأموال ، وغاصب للمتاجر ، ومنتهك للأعراض ومجرٍ للدماء حتى صارت بلنسية بهم شائهة خاوية ، وقد زارها ابن خفاجة بعد أن هدأت العاصفة قليلاً ، فشاهد من آثار التدمير وفظائع التخريب ما أدمى فؤاده وأجرى على لسانه هذه الأبيات :

عَاثَتْ بِسَاحَتِك العِدىٰ يٰادَارُ ... وَمَحا مَحَاسِنَكِ البِلىٰ وَالنَّارُ
فِإِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنابِك خَاطِرٌ ... طَالَ اعْتِبَارٌ فِيكِ واسْتِعْبَارُ
أَرْضٌ تَقَاذَفَتِ الخُطُوبُ بِأَهْلِها ... وَتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الأَقْدَارُ
كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثَانِ في عَرَصَاتِها ... (لا أَنْت أَنْت وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ)

ولكنَّ عين السماء لا تغفل ، فقد سلط الله على هذا الغادر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بالمغرب إذ وفد سمعه ما أنزله الطاغية ببلنسية فخف إلى استردادها بجيش ظافر ، وقد ارتاع « الكمبيادور » لمقدمه ارتياعاً أفقده الباس فسقط مريضاً على فراشه ، وتولى ابنه الوحيد (دون ديجو) قيادة جيشه فلقي حتفه في معركة فاصلة ! وجاءت الأنباء إلى المريض المكبل إلى سريره فمات غماً لفقد وحيده وضياع انتصاراته ، ثم تسلل أتباعه بجثته تحت أستار الظلام في مشهد تمثيلي ! وبقي الصراع دائراً حول المدينة حتى تطهرت من الغاصبين بجهاد المرابطين .

■ لكم شهد التاريخ من العتاة ، ذوي الغدر والعقوق والقسوة والفظاعة ، ومع ذلك تظهرهم الأفلام السينمائية في الغرب ، على أنهم فرسان صناديد ، لأنهم قاتلوا المسلمين ، وخرَّبوا المدن ، وخانوا العهود ، وارتكبوا الجرائم ...

هذا هو الفارس الذي تتغنى باسمه الملاحم الإسبانية ، وتصور بطولته الأفلام السينمائية ، وتشيد بإخلاصه الأساطير الكنسية !

فاي سمات الفروسية الأصيلة تقرب من سمات هذا الانتهازي الغادر الكذوب !

إن كانت البطولة الجسمية وحدها مدعاة تمجيده ! فإن الفروسية بمنأى عن البطولة التي تقوم على الغدر والانتهاز وإهدار المعاهدات والتنكر لمبادىء الكرامة والوفاء ، ولنا بَعْدُ أن نعتبر الحيوان المتوحش فارساً لأنه يصرع الأبطال وقد تجرد من سمات الإنسان !

وإن كان الانتصار للنصرانية موضع تخليده ! فقد ظهر بوضوح أن أمراء النصرانية قد قاسوا منه مقاساة من لا يدافع عن عقيدة أو يعتز بدين !

ففيم هذه الملاحم ! وعلام تصور الأفلام ! متحدثة عن الفروسية والفرسان !! إذا كانت الفروسية مجهولة السمات ، حتى جاز إطلاقها على كل غادر سفَّاح ، فإننا نشير إليها هنا بما نضرب من أمثال ! أمثال واقعية سجلتها الصحائف المعتمدة ، ولم تكن تلفيق شاعر أو تخيل قصاص !

كان علي بن أبي طالب فارساً أصيلاً ، إذ أن أعداءه في حرب صفين ، قد احتلوا مواقع الماء ومنعوا جيشه الشراب ، والقيظ لافح ، والساعة دقيقة ، فلم يجد بداً من قيادة كتيبة مستبسلة تحتل الآبار دون هوادة ، وتم له النصر فانتزع الماء من مغتصبيه ، وأباحه أصحابه ، فقال جماعة من مستشاريه ، لا بد أن نمنع الماء هؤلاء الذين حرمونا منه ، وقد سيطرنا عليه ، فجزاء سيئة سيئة مثلها ، ولكن نخوة الفارس الهاشمي المسلم صاحت بهم في عزة ، لا يا قوم ، الماء ماء الله ولن يتحكم فيه إنسان ذو خلق ودين ! وبهتت جيوش الشام حين رات الفارس الشجاع يصيح بهم تقدموا تقدموا ، فالماء للجميع !

وكان البطل الأندلسي عبد الرحمن الثالث فارساً أصيلاً وقد قاد معارك دامية مع أمير « ليون » (سناس) ولقي من حربه ما شرد نومه ، وأطار أمنه ، ثم جاءه رسوله في إحدى فترات الهدنة المؤقتة ، يرجوه أن يسمح له بزيارة قرطبة ليستشير من بها من أطباء العرب في مرضه الصدري ، فتسمع عبد الرحمن رجاء غريمه في بشاشة وترحيب ، وأجاب رجاءه ملاطفاً ، ثم خف لاستقباله وفد ، وغمر حاشيته بالهدايا ، فقال مستشاروه عاتبين إنه يستشفي لدينا في قرطبة ليشن الحرب علينا إذا أنس في جسمه القوة ! ولكن عبد الرحمن يصيح بهم ، دعوه يصح فنحن لا ننازل إلا القوي الصحيح ! أليس ذلك منطق الفارس الأصيل .

أما المنصور بن أبي عامر فقد أَسرَ ذات مرة كتيبة إسبانية ذات خطر جليل ، فطلب إلى رجالها أن يلقوا أسلحتهم ، فآثروا الموت على إلقاء السلاح ، وأشار عليه أصحابه أن يجهز عليهم فيريح البلاد من فسادهم الثائر ، ولكن الفارس المسلم رأى استئصالهم بعد الأسر ينقص معنى الفروسية في نفسه ، فأطلق سراحهم ، وصاح بهم أنتم أبطال ، ولا بد أن نتقابل حين تتكافأ القوى فسيروا آمنين .

وقد قام صلاح الدين الأيوبي بمثل ما قام به عبد الرحمن الثالث حين أنهى بعض المعارك الحامية ، إذ بلغه مرض قائدها الصليبي ريتشارد المعروف بقلب الأسد ، ثم أرسل يستفسر عن صحته ، فعلم أنه محموم يهذي وأن حاجته ماسة إلى الماء المثلج والفاكهة ، فأسرع بإمداده بالكمثرى والتفاح والماء المثلج ، يحمل ذلك إليه يومياً كانه صديق ! فأي شيء تكون الفروسية إن لم تكن إحدى سمات صلاح الدين .

ومن روائع الفروسية الإسلامية في ميدان الحروب الصليبية ما قام به الملك النبيل العادل نور الدين زنكي ذو الأرج الفواح في رياض الشهامة والفتوة والنبل ، وأستاذ صلاح الدين وقائده وهاديه ، فقد بلغه ذات يوم وفاة غريمه (بودوا) وأشير عليه أن يستغل الموقف في مهاجمة مدينة عسقلان .. ولكن نخوة الفروسية الإسلامية الهمت لسانه أن يقول في نبل « إنه عمل غير إنساني أن نزعج قوماً محزونين على اميرهم ، ولن يشرف مجدي الحربي أن أنتصر على قوم يشيعون جنازة راحل عزيز ! »

هذه أمثلة في مجال الفروسية النبيلة لها نظائرها الكثيرة في صفحات التاريخ العربي ، وملاحم المعارك الإسلامية ، فإذا الزمنا الإنصاف العلمي أن نتجرد من عواطفنا الذاتية ، وأن نسأل سؤالاً موضوعياً يستند إلى الواقع الصادق فنقول :

إذا كان أمثال علي بن أبي طالب وعبد الرحمن الثالث ونور الدين محمود والمنصور بن أبي عامر ، وصلاح الدين الأيوبي أبطالاً يتسمون بالفروسية النبيلة فاين يكون موضع الوصولي الانتهازي المعروف بالسيد الكمبيادور ؟

إذا سألنا هذا السؤال الصريح فإن جوابه الصادق أن الفارس الإسباني المزعوم لا يزيد عن سفَّاح يقطع الطريق ! وأن الذين يتخذونه مثلاً للفروسية في أوروبا وأمريكا مغرضون أو مخدوعون ، وأن الجثة التي تفوح بالعطر في أفلام السينما وأساطير الإسبان لن ترشح بغير الصديد !

ندوة حول الاقتصاد الإسلامي

■■ عقدت في الجامعة الأردنية في عمّان ندوة الاقتصاد الإسلامي التي أقامها المعهد العربي للبحوث والدراسات ببغداد التابع للمنظمة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع كلية الاقتصاد والتجارة الأردنية . وقد عالجت الندوة على مدى ثلاثة أيام سلسلة من الأبحاث والدراسات القيمة التي تدور معظمها في فلك الاقتصاد الإسلامي ، وتميزه وتفرده بين الأنظمة الوضعية بقطبيها الرئيسين الرأسمالي والاشتراكي ، وأبـرزت المناقشات والأبحاث القيمة أسبقية النظام الإسلامي على سائر الأنظمة في وضع القـواعد والقوانين والأسس الرئيسـة في تعامل الأمم والشعوب دولاً وأفراداً . ■■

والندوة على أهميتها وحساسية الموضوعات المطروحة والحشد الكبير من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين الذين حضروها تشكل بداية طيبة لتأكيد الفكر الإسلامي ، وصولاً إلى نظرية اقتصادية اسلامية تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية والفقه الذي أغنى الحياة الإنسانية بما استنبطه من أحكام وما له من قدرة على المعالجات ، وإن مثل هذا النظام الذي استطاع أن يحقق للأمة حياة حرة كريمة - تربعت في ظله على رأس هرم الحضارة الإنسانية حيناً من الدهر - كفيل بأن يحفظ لها نظاماً اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً يغني حياتها ، ويسعد إنسانها ويحقق له الكرامة التي يعيش في ظلها عزيزاً كما عاش السلف الصالح في صدر الإسلام وبعده .

فالندوة إضافة إلى كونها تظاهرة اقتصادية إسلامية ساهمت في رفد مسيرة التفاعل الإيجابي بين أبناء الأمة من خلال زيادة المعرفة وتبادل الخبرة ، فتحت المجال واسعاً أمام البحوث والدراسات ، بين علماء ومفكري أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .

البحوث والدراسات التي ناقشتها الندوة

وقد ناقشت الندوة طائفة ممتازة من البحوث والدراسات حول أثر الاقتصاد الإسلامي وتفاعله مع الأنظمة الاقتصادية الحديثة ، كما ناقشت طائفة أخرى من البحوث : حول عقد العمل والأجور في الإسلام ، والمنظور الإسلامي للتخطيط الاقتصادي ، وملكية الأرض في الفكر الاقتصادي ، ورأي الإسلام فيها ، والملكية الفردية وحدودها في الإسلام ، والسياسة النقدية في الدول الإسلامية ، وشرعية تدخل الدولة في القضايا الاقتصادية .

وقد كان من أهداف الندوة إظهار أهمية مبادىء الاقتصاد التي وردت في الشريعة الإسلامية ، والنظريات والنظم التي انطلقت منها والممكن تكييفها وفق متطلبات النظم الاقتصادية الحديثة ، ونشر المبادىء الاقتصادية في الإسلام ، ودراسة إمكانات استخدام الممكن من هذه المبادىء في حل المشكلات الاقتصادية التي تواجه المجتمع العربي والإسلامي . وقد شارك في الندوة ممثلون عن العراق والكويت والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية وسورية بالإضافة للأردن .

سمة مناقشات الندوة . .

وقد لاحظ المراقبون والمشاركون في جلسات الندوة أن مناقشات الندوة والأبحاث والدراسات التي قدمت فيها ، اتسمت جميعها بالإيجابية وبالحوار الهادىء والبناء ، والحرص الأكيد على أهمية تغطية كافة الأمور المدرجة في الأبحاث ، والتأكيد على موضوع الملكية ، واعتبرتها الندوة من الموضوعات الجديرة بالدراسة والبحث من منظور إسلامي ، وأن معالجات الإسلام في هذا المجال تقدم علاجاً لمشكلات المجتمع الإنساني المعاصرة بين إفراط وتفريط النظم المختلفة ؛ لأن التصور الإسلامي يحوي كل إيجابية من شأنها أن تحقق للمجتمع

من : عيسى الجراجرة

● عقدت الندوة في الجامعة الأردنية بالتعاون بين المعهد العربي للبحوث والدراسات ببغداد التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبين كلية الاقتصاد والتجارة بالجامعة الأردنية.

الإنساني سعادته وطمأنينته على أسس من العدالة وتحقيق كرامة الإنسان وفق نظرة متوازنة تشبع حاجات الجسد وتلبي أشواق الروح وتحقق مصلحة الجماعة دون إهمال لمصلحة الفرد.

البيان الختامي والمحاور الخمسة لمناقشات الندوة:

وأشار البيان الختامي أنه كان للندوة خمسة محاور واهتمامات.

(١) **وكان المحور الأول هو: موضوع المنظور الإسلامي للتخطيط الاقتصادي إطاراً لاستهلال الموضوعات الأخرى**، وأشار الباحثون إلى نوعين من التخطيط في الاقتصاد الرأسمالي، والاقتصاد الاشتراكي، باعتبار كل منهما تخطيطاً تأشيرياً من ناحية، وتخطيطياً شاملاً وملزماً من ناحية أخرى. وأوضح في هذا الخصوص أن الإسلام يأخذ بالتخطيط مطلباً شرعياً يدعو إلى إعداد العدة، وتنظيم العملية الإنتاجية لتحقيق الأهداف المطلوبة، ويرسم المستقبل الذي ينبغي الأخذ به.

وأشار الباحثون إلى أن التخطيط الشامل والملزم، وهو يجنح نحو الملكية العامة، يتنافى مع ما للإسلام من ذاتية تجمع وترعى الملكيتين معاً، الفردية والعامة.. وحيث توازن بينهما هذه الذاتية. وذكر صوراً من التخطيط الاقتصادي في الإسلام، وعرض لصورتين من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام من ناحية، وذي القرنين الذي بنى سداً بالاعتماد على النفس من ناحية أخرى.

(٢) **أما المحور الثاني فكان عناصر الإنتاج، ناقش الباحثون الملكية الفردية وحدودها في الإسلام، وملكية الأرض في الفكر الاقتصادي**، ورأي الإسلام فيها، وعالجت البحوث في هذا المحور أن الكون كله في الشريعة ملك لله سبحانه وتعالى، والإنسان خليفة في المال ومستخلف فيه. فهو بمنزلة الوكيل، ولهذا فإن سلطته على المال محدودة وعليه أن يتقيد بأوامر المالك الحقيقي ويعمل بمقتضاها. فأقر الإسلام الملكية الفردية وعمل على حمايتها ما دام المالك يلتزم فيها بما هو مقرر شرعاً، وفرض القيود والشروط على حق الملكية، فقيد هذا الحق من جهة نشوئه، إذ منع أن تقوم الملكية على باطل أو خداع أو تدليس، وأن لا يكون فيها اغتصاب أو أكل مال بدون عوض، وحرم الإسلام التملك عن طريق الظلم والاستغلال كما في تحريم الربا والاحتكار والقمار والسرقة والرشوة، وقيد نماءه وتثميره وطرق إنفاقه واستهلاكه، وبين ما يجب فيه لمصلحة المجتمع في الظروف الاعتيادية، وما يجب فيه لمصلحة المجتمع في الظروف غير الاعتيادية: فأوجب الإسلام ضرورة استثمار الأموال وعدم تعطيلها وفرض عليها الزكاة، وأمر بضرورة حسن التصرف فيها وعدم إتلافها وتبذيرها فيما لا طائل منه، وبيَّن أحقية الفقير والمحتاج، وأمر بعدم الإضرار بالآخرين عند استعمال المال والتصرف فيه.

وأن الشريعة الإسلامية أخذت بمبدأ الملكية العامة والملكية الخاصة، فأخرجت الأموال من دائرة الملكية الفردية وهي الأموال التي تتعلق بها حاجات مجموع الأمة، وأقرت الشريعة الإسلامية حق الدولة في التدخل في حالات عديدة مثل تعطيل استثمار المال، واسترداد الثروة التي تكونت بطريق الاغتصاب والتسلط وإلزام المالك بالإنفاق في سبيل الله، وبيع المال المحتكر بالسعر المعقول، وتدخلها في حالة عدم تقيد مالك المال في توجيه ماله بعد وفاته، كما أن للدولة حق نزع الملكية الخاصة إذا اقتضت ذلك مصلحة المجتمع، ويكون ذلك لقاء عوض.

ولما كان الفكر الاقتصادي يناقش النوعين من ملكية الأرض: الفردية والعامة، فإن مناقشة هذا الفكر عند الاقتصاديين المعاصرين: يؤدي إلى معرفة مدى شرعية حصول الأرض على ريع اقتصادي. **ومن هذا النقاش اتضح أن الريع المطلق يحصل عليه المالك في النظم التي تسمح بالملكية الخاصة، وتحصل عليه الدولة في حالة الملكية العامة للأرض، ولكن التأميم لا يعني تأميم الأرض نفسها وإنما تأميم ريعها، وهذه هي النتيجة التي يخرج بها الباحث في الفكر الاقتصادي، والإسلام لا يعارض ذلك بل ويؤيده إذا اقتضته مصلحة الجماعة، وهو لا يتعارض في الوقت نفسه مع مذهب الإسلام في احترام وحماية حقوق الملكية الخاصة.**

ويتضح لدارس الفكر الاقتصادي

الإسلامي أن الإسلام يهدف إلى التوفيق بين النوعين من الملكية ، دون الإضرار بأحدهما لحساب النوع الآخر منهما ، **ولكن الإسلام يميل إلى تحقيق مصلحة الجماعة إذا تعارضت مصلحة النوعين من الملكية** ، مما يؤيد الفكرة القائلة بأن الملكية تؤدي وظيفة اجتماعية .

إن منهج الإسلام في حل مشكلات الملكية ، يشكل موازنة دقيقة بين مصلحة الفرد في الاعتراف له بحق الملكية وحمايتها ، وبين مصلحة المجتمع بالقيود التي وضعت عليها ، وهذا يعني أن **النظام الإسلامي ينهج منهجاً وسطاً بين النظم التي تصادر حق الملكية الفردية بدعوى مصلحة الجماعة** ، والنظم التي تغالي في حق الملكية الفردية فتجعلها مطلقة بدعوى الحرية الاقتصادية ، وبهذا النهج حقق النظام الإسلامي مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .

(٣) **أما المحور الثالث فناقش السياسة النقدية** وكان موضوع الأسهم والسندات والنقود والسياسة النقدية في الدولة الإسلامية وعقود الأمانة من الموضوعات التي خصص لها هذا المحور . وقد عرض الباحثون جملة من المسائل المتعلقة بهذه الموضوعات ، وقد انتهى بحث الأسهم إلى تناول مرتكزين هامين في الاقتصاد الإسلامي أحدهما : وسائل الاكتساب والاستغلال التي أباحها الإسلام أو حرمها بالنصوص والتعاليم الآمرة أو الناهية ؛ مما يجعلها ضوابط وقيوداً لهما ، وثانيهما : مراعاة المصلحة ودرء المفسدة ، بمراعاة اختلاف البيئات والأعراف وعدم طغيان مصلحة الفرد أو الجماعة إحداهما على الأخرى .

وعرض في إطار هذا الموضوع اجتهادات الفقهاء المحدثين في الأسهم ، فمنهم من حرمها مطلقاً ، ومنهم من أباحها مطلقاً ، ومنهم من أباحها بقيود .. وانتهى البحث إلى أن قاعدة التراضي وجواز الاشتراط ، والالتزام بالعقود وأن تكون على مقتضى العدل ، وأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم ، ومراعاة المصالح والتفريق بين الصحة والبطلان والفساد في العقود وحكم الأسهم وتداولها الإباحة عامة ما لم تتعارض مع قاعدة الغنم والغرم ، وأن الشركة قائمة على أساس الربح والتجارة ، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار ، وما لم يكن فيها جهالة مفضية إلى النزاع ، أو استحقاق ربح بغير حق وهو ما لم يكن مقابل مال أو ضمان أو عمل ، كالأسهم الممتازة وأسهم التمتع حيث لا تجوز بشكل عام ، وقد فصلت الحكمة في ذلك في كل سهم وأنواع هذا السهم .

أما السند فهو صك يمثل قرضاً نقدياً طويل الأجل عن طريق الاكتتاب العام ، أنواعه : السند المستحق الوفاء بعلاوة إصدار ، وسند النصيب بفائدة ، والسند ذو الاستحقاق الثابت الصادر بسعر الإصدار ، وهذه لا يُرى جوازها لما فيها من الربا ، والسند لحامله لا يجوز للجهالة المؤدية إلى النزاع ، والسندات العادية وهي جائزة لخلوها من الربا إذا كانت للاستثمار المباح وتحددت فيها نسبة الربح ، وأكد على اشتراط الزيادة على القرض عند الإرجاع من الأرباح ، اعتماداً على بعض الأحاديث الشريفة وعلى جواز إرجاع القرض مع زيادة غير مشروطة ، وبين عدم صحة قاعدة كل قرض جر نفعاً فهو حرام ، وأن سندات القرض هي غير المضاربة ، وأنها جائزة إذا كانت قرضاً بغير فائدة .

والنقود لعبت دوراً بالغ الأهمية في الدولة العربية الإسلامية ، وذلك بسبب المدى الواسع من المبادلة وطبيعة الدوافع الاقتصادية في هذه الدولة ، فالتطور الهائل في مجالات الحياة الجديدة التي طرأت على المجتمع العربي ، والزيادة المضطردة في موارد الدولة ، جعلت الحاجة إلى نقود عربية ماسة للغاية لاستكمال المتطلبات التي استدعتها ظروف الدولة الجديدة ولتسهيل عمليات المبادلة الواسعة حجماً والمتزايدة باستمرار .

والعرب قبل الإسلام كانوا يتعاملون بنقود ضُرب قسم منها داخل الوطن العربي وضرب قسم في دول أخرى . ولما ظهر الإسلام أقر **الرسول** ﷺ الدراهم والدنانير على ما كانت عليه ، وحذا حذوه **أبو بكر الصديق** غير أن **عمر بن الخطاب** ضرب الدراهم على النمط القديم ، إلا أنه نقش عليها بعض العبارات الإسلامية ، وفعل **عثمان بن عفان والإمام علي** فعله ، كما ضرب **معاوية بن أبي سفيان** الدراهم والدنانير ، وضرب **ابن الزبير** دراهم إبان حركته ، وضرب أخوه **مصعب** الدراهم بالعراق .

وبعد أن استقر الأمر للأمويين وجدت الدولة نفسها وهي تبني كيانها بحاجة إلى تعريب النقود . وتتفق الروايات التي أوردها المؤرخون أن **عبد الملك بن مروان** هو أول من ضرب النقود العربية بشكلها المتميز عن النقود الأجنبية ، فعدّ عمله هذا إصلاحاً جذرياً حاسماً ، وتجمع أكثر الروايات على أن تعريب الدنانير بدأ عام ٧٤هـ ، وأن تعريب الدراهم بالعراق بدأ سنة ٧٥هـ .

أما البيوع فلها أهمية كبيرة في مجال حياتنا اليومية ، لهذا تناولها فقهاء المسلمين ، كما أنها تشكل العمود الفقري في الفكر الاقتصادي ، وقد تناول البحث أربعة عقود من هذه البيوع وهي : **المرابحة ، والتولية ، والوضعية ، والاشراك** . وعُرضت مسألة التعرف على الكيفية التي عالج بها فقهاؤنا هذه العقود ، حيث وضعوا لها الضوابط والقواعد التي تكفل حقوق الأطراف المتعاقدة ، وهي تكفل حماية من هو بحاجة إلى دفع الأذى عنه ورفع ما يعتريه من غبن الآخرين .

(٤) **والمحور الرابع عالج شرعية تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية من وجهة نظر إسلامية** ، ولا بد أن

● الأبحاث والدراسات والمحاضرات التي قدمت أو ألقيت طوال أيام الندوة .. ناقشت الفكر الاقتصادي الإسلامي وما له من تميز وتفرد في خصائصه بين الأنظمة الوضعية بقطبيها الرئيسين الرأسمالي والاشتراكي .

تكون هذه الفكرة إحدى أهم القضايا المطروحة في ميدان الفكر الاقتصادي الإسلامي ؛ لارتباطها بحق مقدس هو حرية الإنسان ، والدولة بحكم تفويض الأمة لها لحماية مصالحها مدعوة للتدخل في قضايا الاقتصاد عندما تتعرض تلك المصالح للخطر .

ويُشترط لإجازة تدخل الدولة أن تكون السلطة « شرعية » ، وتلك الشرعية تعطيها الحق في التدخل بالإضافة إلى ضرورة أن يتمتع أفراد السلطة بالاستقامة ، بعيداً عن الأغراض ومحققاً للأهداف المتوخاة منه .

ولكي يسمح الإسلام بتدخل الدولة في الحريات الاقتصادية يشترط أن تتوافر مبررات موضوعية للتدخل تتعلق بربط هذا التدخل بالمصلحة الاجتماعية ولتحقيق أهداف معترف بها شرعاً وأهمها : تحقيق التوازن وحماية الاقتصاد الوطني ومصالح الضعفاء الذين لا يملكون القدرة على الدفاع عن مصالحهم .

(٥) وناقش المحور الخامس أعلام الاقتصاد الإسلامي : وكان ابن تيمية واحداً من أولئك الاقتصاديين ، لأخذه بالكتاب والسنة واعتماده آراء الصحابة ، واستئناسه بآراء التابعين ، وبأخذه بإجماع العلماء والقياس الصحيح والمصلحة ، إلا أنه يقيدها بقيود ، ويتأنى كثيراً بالأخذ بها خشية أن تستغل الأمور باسم المصلحة المرسلة ويدخل في الإسلام ما ليس منه ؛ ولئلا يتخذها أصحاب السلطة مطية سهلة .

وبعد أن ينتقل من هذه المبادىء التي استقرت عنده وأخذ بها ، نرى له ميزة في منهجه في البحث اتسمت بحريته وانطلاقته ، ومناقشته لآراء العلماء مستمداً قاعدة علمية جيدة وواقعية في البحث تعد قاعدة أخرى من القواعد المعتمدة في منهجه ، وقد اهتم بالذات دون أن يتناسى العصور السابقة وشارك المعاصرين همومهم ، فكتب وأفتى في المسائل الجديدة واهتم بصفة خاصة بالمزارعة والمضاربة والعرف التجاري ، وهي أسس تنظم العلاقات التجارية والنشاط الاقتصادي بصفة خاصة .

وابن تيمية شمولي في بحثه للدراسات الاقتصادية وألّف في كثير من الموضوعات ، ولعله لم يترك مسألة اقتصادية إلا وتعرض لها فكان موضوع تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي موضوعاً شغل باله ؛ فألف في ذلك كتاباً سماه : « **الحسبة** » نثر فيه صوراً كثيرة من هذه المسائل ، وركز على مسألة هامة هي مسألة التسعير والاحتكار ، وفتح آفاقاً للدولة لتتخذها وسيلة في ممارسة النشاط الاقتصادي ، ورغب في الدخول في المضاربة (**القراض**) أنموذجاً شرعياً للشركة الإسلامية التي تبعد الفائدة عن السوق الإسلامية ، وتحدث عن العرف التجاري ، وخصص جزءاً كبيراً من كتابه « **القواعد النورانية** » لذلك .

أما الإمام **أبو حامد الغزالي** : فكان علماً آخر من أعلام هذا الميدان ، وقد تمثلت آراؤه في الجانب الفلسفي وموقع الاقتصاد في حياة المسلم ، وفي سلم غاياته ووسائله ، أما في الجانب التحليلي فقد كان عطاؤه ثرياً وغنياً كما لو كان رجل اقتصاد متخصصاً ؛ فقد تناول الإنتاج وعناصره وأهمية العمل ، وصور التخصص ، وتقسيم العمل ، والإنفاق في مجالاته المختلفة : كالإنفاق الاستهلاكي أو الاجتماعي . ومن الموضوعات الهامة التي تناولها : موضوع التجارة والأسواق ، وضوابطها ، والإعلان والترويج ووسائلهما ، كما تناول بالتفصيل النقود بلغة اقتصادية فنية ، والإنفاق الحكومي والضرائب بين مشروعيتها وضوابطها ، كما تناول مسألة هامة تتعلق بروابط العمل والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وخلص البحث إلى أن **منهج الغزالي** منهج إسلامي في البحث والتناول للمسائل الاقتصادية التي وقف عندها وحلل أسبابها وظواهرها ، ووضع قاعدة حدد فيها الكيفية التي يجب أن يكون عليها السلوك الاقتصادي للمسلم .

ونظراً لأهمية توضيح المنهج الذي اعتمده **المقريزي** لأهميته في الاستنباط والاستقراء عند صياغة نظرياته الاقتصادية ، ومذهبه في رواج الفلوس وظهور المجاعات ، والقحط . تم التأثير المتبادل بين متغيرات العناصر المؤسسية وبين عمليات النشاط الاقتصادي ، وكان منهج **المقريزي** يعتمد مبدأ **العلة والمعلول** في تفسير الظواهر الاقتصادية ، ونبذ القدرية والجبرية ، واعتماده مبدأ نسبية الظاهرة وديمومتها ، وانتهى هذا البحث إلى أن **المقريزي** يعد من الرواد الاقتصاديين الذين نظروا في التضخم وعوامله ، **وبسبب المنهج العلمي الذي اعتمده لتلك الظاهرة وتحليل متغيراتها نراه في تباين كنه ظاهرة التضخم يرى : أن الحل الناتج لا بد أن ينطلق من العرض (الإنتاج) وليس من القلم (النقد)** .

إن أهمية هذه الفكرة أثبتت صحتها وقائع اقتصادياتنا المعاصرة عند معالجة اختلال التوازن بين العرض والطلب ، أما المناورة بالسيولة النقدية ورواج الفلوس فإنه لا يحل المشكلة ، وإنما يزيد في تعميقها عن طريق المضاعفات الصيرفية التي ستشكل ضغوطاً تدفع الأسعار إلى مستويات أعلى .

من قضايا الأســرة ٤

أحاديث وذكريات بين الجارات

أبغضُ البقــاعِ إلى الله

اعـداد : أم حسـان الحلـو

■■ بعد صلاة العصر سمعت الباب يقرع ؛ فسألت : مَنْ ؟ ... جارتك رجـاء ... كررت الاسم « رجـاء » ... شعرت أنه صوت يأتي من الماضي البعيد ... من الذكريات الغابرة ، من أيام كنت لا أعرف فيها الطريق الصحيح حقاً ... وتخيلت أنها سنون ... فتحت الباب ، فقالت لي : أين أنت ... منذ أسبوعين لم أرك ؟

أهما أسبوعان حقاً ... لقد حققت خلالهما أموراً عديدة ، شعرت أنني كبرت ...

رجاء (ضاحكة) : أوتكونين سعيدة بهذا الشعور ، فنحن معشر النساء لا نعترف بعمرنا الحقيقي ، فكيف تقولين أنك كبرت سنوات خلال أسبوعين ؟...

ـ لأنني تعلمت وحققت أموراً عدة خلالهما ...

[تدخل ونظراتها الفاحصة تسبق خطواتها ، فتلمع قطعاً فنية جميلة أضيفت إلى ردهة الاستقبال ، فتسألني] :

ـ من أين لك هذه .. وكم سعرها ؟

ـ لقد أرسلتها لي إحدى الصديقات من أوروبا !!

ـ ألا تعلمين عن تكلفتها ؟ ألا يمكنها أن ترسل لي . وسأدفع لها الثمن مهما كلفني .

ـ للأسـف ، لا ... لكن هل أعجبتك إلى هذا الحد ؟ وهل تستحق مبلغاً باهظاً ؟

ـ نعم ، بكل تأكيد ... ثم نظرت إليَّ ، وقالت : ما بالك تكتمين ضحكاتك ؟

ـ إنها من عمـل يدي !!

ـ مـاذا ... ومنذ متى تعرفين ذلك : وأين تعلمت ؟

ـ عند جارتنا رحمـة .

ـ هل تعرف رحمـة هذا ؟.. وهي الإنسانة المتمسكة بدينها الباحثة دوماً عن العلم والثقافة ، وللزمن بالنسبة لها قيمة ، فهل تضيع عمراً لعمل مثل هذه الأمور ؟!

ـ لم تبذل دقيقة واحدة لهذا العمل .

ـ لا أفهم شيئاً ، هل تريدين مني أن أحلّ لغزاً ؟

ـ لا ، كانت تحدثني عن أمور دينية وتعطيني دروساً مختلفة وبيديها مثل هذه القطع ... كنا نستغل الزمن مزدوجاً ، نعمر بيوتنا وقلوبنا معاً .

ـ كيف ، لا يمكن ذلك ، إما أن نعمل أو نتكلم ...

ـ نحن دوماً نعمل « ونثرثر » لكننا لم نفكر يوماً بأن نعمل و « نفكر » .

ـ [تنظر إلى الساعة ، وتقول] : كنت قادمة إليك لنذهب معاً إلى السوق ، يبدو أن لديك كلاماً كثيراً ... دعينا نستغل الزمن ولنذهب فوراً .

ـ نعم ، لنذهب ، لكني أريد أن أسأل جارتنا « رحمة » إن أرادت أن نحضر لها معنا شيئاً .

[رحمة على الهاتف] : لا يا أختي ، الحمد لله لا ينقصني أي شيء ، سوى بعض الكتب ...

[قاطعتها قائلة] : أنا لا أعرف أية مكتبة ...

حســن ، طلبي أن تحضري عندي بعد رجوعك من السوق « مباشرة » ..

ـ معي جارتنـا « رجـاء » ..

ـ أهلاً وسهلاً بكما

وذهبنا معاً إلى السـوق ، نتجول فيـه ، لا أدري ، اليوم أتذوق الأمور بصورة مختلفة رغم أنني ما زلت ضعيفة أمام أساليب الدعاية والتسويق .. هنا أثواب جميلة لم أفكر فيها سابقاً ولا حاجة لي بها ، لكن رجاء اشترت منها ، وقالت : إنها فرصـة ... تنزيلات نادرة ... فلأشتري : هناك محلات حقائب وأدوات تجميل ومحلات لبيع ملابس الأطفال ... و ... و ... صحيح أنني لم أشتر بنهمي السابق ، إلا انني اشتريت ، فالإنسان لا يتغير بين عشية وضحاها ... طلبت من رجاء أن تحث الخطا لأن رحمة تنتظرنا ، ففاجأتني بقولها :

ـ اذهبي وحدك ... هذه إنسانة من نوعية أخرى ... إنها ستقف أمامنا واعظة !!

ـ هل سمعتها سابقاً وتحدثت إليها ؟

كلمــــة

حقــوق الزوجيــــة ..

□□ قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٦٠) .. فتبين أنَّ أهم مقومات المعاشرة الزوجية : السكون النفسي والمودة والرحمة بين الأزواج ... وليس هو ما يتوهمه بعض الرجال من أن الزواج ما هو إلا قائمة من الحقوق أوجبها الله عز وجل للرجل على زوجته دون أن تكون هناك واجبات تقابل هذه الحقوق وتترتب عليها .. بل إن بعض الرجال يبحث في السنة عن بعض الأحاديث التي وردت لمعالجة حالات تربوية خاصة في مجال المرأة دون أن يكلف نفسه الالتزام بالحدِّ الأدنى من القيم والسلوك التي يقتضيها التمسك بالإسلام ..

فالإسلام ، بالنسبة إلى هؤلاء ، انقلب إلى وسيلة تسلط .. فقد يكون كل سلوك الرجل غير إسلامي ، ولكن إذا كان الأمر متعلقاً بزوجته طالبها بما أوجبه الإسلام على المرأة للزوج المسلم بينما هو لم يؤد حتى ما تعارف عليه المجتمع من واجبات .. وما ذاك إلاَّ لون من الوان ازدواج الشخصية ..

إن الزوج الذي يريد من زوجته أن تؤدي له حقوق الزوج المسلم ، عليه أن يقوم بواجبات الزوج المسلم أولاً ، وأن يلتزم الإسلام في سلوكه وتصرفاته ، وحبذا لو كان الاهتمام الأول لكل من الزوجين : ساحة الواجبات قبل الاهتمام بقضية الحقوق .. فمن أدى واجباً كمن رعى حقاً .. كان ﷺ يقول :

« خيـركم خيـركم لأهلـه وأنـا خيـركم لأهلي » .. □□

ـ لا ، لكني سمعت عنها ...

ـ أعلم أنك تحبين التجربة في كل شيء ، وهذه المشتريات أكبر برهان ، فإنك لم تأخذي رأي أحد بها رغم أن بعض النوعيات أثبتت فشلها وعدم فاعليتها : فإذا كان هذا موقفك من الأشياء ، فلم لا يكون الموقف نفسه تجاه رحمة ...

ـ عفواً ، أنا لا أحب أن يتدخل أحد بشؤوني ، هذه أشياء اشتريتها ولا أريد أن ينغص عليَّ بتقليل قيمتها ، دعيني أشعر بالسعادة وبهجة الجديد ...

[تأملت كلامها فرأيت أن من الأنسب اختصار الحديث معها ، رغم معرفتي أنها إن اشترت أي شيء عرضته على جميع الجارات بفخر وإعجاب ، لكني قلت لها] :

ـ لك حرية الاختيار ، لكني أفضل أن تعتذري لها ولو من الباب ، فهذه أبسط قواعد المعاملة ...

ذهبنا معاً إلى بيت رحمة ، وفي نية رجاء الاعتذار لأنها مشغولة ، لكن حرارة استقبال رحمة ولطفها ، أربكت رجاء وأخجلتها .

رحمة : لن أؤخركما ، فأنا أعلم أنكما تركتما بيتكما منذ مدة .

رجاء : غير مهم .. ممكن أن نتركه مدة أطول ، وتفتح حقيبتها لتشعل لفافة تبغ (سيجارة) وتبحث عن مطفأة (سجائر) ثم تطلب من رحمة إحضار مطفأة ...

ـ آسفة . ليس عندي مطفأة خاصة بالسجائر ، لأننا جميعاً والحمد لله لا ندخن ، لكنني سأدبر الأمر إن شاء الله ، وتخرج ..

خجلت من نفسي ومن صحبتي هذه ، وقلت : سوف تتهمني رحمة بالرياء والخداع ، فكيف تكون رجاء صديقتي منذ أمد بعيد ، وهي على ما هي عليه ... ولأول مرة شعرت أن رحمة أقرب إلى نفسي ألف مرة من رجاء ، لكن هذا الشعور لم يذهب خجلي منها وارتباكي أمامها . فطلبت من رجاء أن تكون حذرة من الدخان لأن في البيت أطفالاً ... فأنا لا أريد أن أدخل معها في نقاش لا طائل تحته ، فكم جربت وفشلت !..

تدخل رحمة ومعها مطفأة للسجائر ، وتجلس موجهة حديثها إلى رجاء ترحب بها وتسألها عن اهتماماتها وميولها وحياتها ، وتصغي لإجاباتها جيداً ... أخذت بالاستماع للحديث ومراقبة رجاء ، تمنيت لو أن تتوقف عن الحركة لئلا تبرز مزيداً من مفاتنها !! منذ مدة وأنا أعرفها لكني لم أدرك أخطاءها يوماً مثل هذا اليوم ... صحوت من سرحاني ، فسمعت رحمة تسألها عن قراءاتها ومطالعاتها ، وهي تجيب وتتحدث بارتياح وانسجام ، حتى إنها نسيت أن تأخذ « نفساً من دخينتها » التي ذابت بين أصابعها ... ثم توجهت إليَّ رحمة قائلة : كيف وجدت السوق اليوم ؟

فأجبتها : وجدت ما فيه باهتاً ، أظن أن البريق الذي كان يخطف بصري ويذهب بما في جيبي قد ضعف ..

ـ الحمد لله رب العالمين ...

[تقاطعنا رجاء قائلة : كيف ؟ ألم تري ماذا أحضرت المعارض الجديدة ، وذاك المحل الشهير الراقي كم فيه من البضائع الثمينة ؟ كم وددت أن أشتري المزيد ، لكن نقودي نفدت ، وأتمنى أن يستمر العرض حتى بداية الشهر القادم لأسعد بكل جديد وثمين ...] .

رحمة : أرجو لك السعادة في الدارين : « الدنيا والآخرة » .

[وتتجه إليَّ قائلة : كم وجدت من المحلات تبيع السلعة نفسها وبأسعار متفاوتة ، ولو نظرت لسعر التكلفة لقلت : إن هؤلاء يضحكون علينا وهم حذقة ماهرون في عملية استغبائنا !!] .

أنا : حقاً لو قارنَّا بين سعر التكلفة والسعر الحقيقي للسلعة لوجدنا فارقاً رهيباً .

رحمة : هناك محلات عالمية تنتج لنا خصيصاً من أجل استنزافنا فقط .

أنا : لكن لا بد من شراء الضروري من الملابس مثلاً .

رحمة : حقاً .. لكن ، بقرار داخلي دونما تأثير خارجي .

رجاء : كيف ؟

رحمة : معظمنا يشتري الملابس لأنها (موضة) حتى لو لم تناسبه ، لأن المجلات النسائية تسابقت في عرضها ومدحها وتحليل نفسية صاحبتها ، فهذه لذوات الطبع الهادىء .. الأنثيات الاجتماعيات اللواتي يحرصن على سهراتهن الليلية ، وهذه لذوات ... ... والحقيقة أن كل هذه لذوات الإدراك المحدود ...

أنا : وما الحل ؟

رحمة : أن نعتبر زينتنا أولاً وأخيراً من أجل « الزوج » ونحن بالطبع نعرف ذوقه ، وندرك ما يحب وما يكره ، بذلك نختصر المشتريات إلى النصف ...

ـ والمجتمع والصديقات ، ألا يهم أن نكون أنيقات أمامهن ؟

ـ نعم ، فما يحقق رضا الزوج وقناعته قادر على تحقيق الأناقة والترتيب والانسجام أمام الصديقات ، وأنت تعلمين ذلك بالطبع ، لكن الواقع الذي نعيشه : هو أن ترتدي الواحدة منا في المناسبات أثمن وأجمل الملابس ، وأما الزوج فلا يرى سوى الشعر المنكوش والثوب المنفوش ... ولا أدري بعد ذلك كيف يتحقق هدف الزواج للرجل : من غض النظر وصون النفس إن استمرت هذه الحال ، إنه يرى في الشارع كل مظاهر الإغراء والزينة ، وفي البيت يرى زوجته بزي الخادمة لا الزوجة !؟

ـ هل تقصدين أننا نخطىء خطأ مزدوجاً ، نأخذ من جيبه أضعاف الضروري ، وهذا إضاعة لماله ، ثم يرى أثر هذا الأمر غيره ، فيكون المال منه وعليه ...

ـ نعم ، وهناك خطأ آخر ، ألا وهو كثرة التردد على الأسواق رغم أن الرسول ﷺ قال : « إن أحب البقاع إلى الله المساجد ، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق » [أخرجه مسلم وصححه الحاكم] .

فلو أراد الله سبحانه وتعالى لنا الخروج لفرض علينا صلاة الجماعة . وأنت تعلمين حكمها بالنسبة للمرأة . ومع ذلك فنحن لا نفتأ نتردد على شر الأماكن ... وأي ناظر إلى السوق في أيام المناسبات خاصة ، يعتقد أن النساء كلهن خارج بيوتهن ، فالسوق يغص بهن باستمرار ... إنني أتمنى أن توضع دراسة اجتماعية يبين فيها مقدار استهلاك المرأة ودوافعها لذلك ..

ـ وأنا أشاركك هذه الرغبة ..

مكتبـــة البيـــت ..

■■ سلسلة شهرية تزمع دار الشعاع للنشر والتوزيع بالكويت إصدارها ، قياماً منها بواجب الاهتمام بأمر المسلمين من أجل محاولة إعادة بناء البيت المسلم والأسرة المسلمة في إطار الأهداف الإسلامية ...

وستعمل هذه السلسلة على تصحيح المفاهيم الخاطئة ، وتبسيط المعارف العامة ، وفضح التيارات المعادية المعاصرة ، وستكون شاملة لجوانب الحياة كلها (دينية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ فكرية ...) وهي من أجل ذلك تعمل على الاستعانة بالكتاب والمفكرين والأدباء الإسلاميين أينما وجدوا ، وقد قامت بتوجيه دعوة حددت من خلالها المنطلق والغاية .

عنوان الدار : الكويت ـ الجهراء ص . ب ٤٠٠٨٣ ■■

الحلول

رَحلْنا قبْلَ أنْ يقَعَ الرَّحيلُ ... وتمَّتْ في مسارحنا الفصولُ
وكانَ لنا منَ الأرْزاءِ سَهْمٌ ... وفي مأساتِهِمْ باعٌ طويلُ
فكمْ هتفُوا بنا غوْثاً فطارتْ ... لنجْدتهمْ قوافينا الخيُولُ
ولَوْلا رَقْدَةُ الأمواتِ فينا ... لما بَرزَتْ بِسوْءتها الحُلولُ !
ولكِنَّ الجِيادَ جيادُ قَوْمي ... أضرَّ بها مع البطرِ الخُمولُ
فلا الميْدانُ يعْرفُها نهاراً ... ولا ذاكَ الصَّهيلُ هُوَ الصَّهيلُ
ويسْألُ منْ يمرُّ بها أهذي ... خُيولٌ للمعاركِ أم عُجولُ ؟!

ooo

وظلُّوا يَنْزِفُونَ على الرَّوابي ... وشمْسُهُمْ لمغْربها تَميلُ
يَذُوبُ الصَّخْرُ منْ وجَعٍ عليْهِمْ ... وتَغْتمُّ المَرابعُ والسُّهُولُ
قلاعٌ للصُّمودِ وقدْ تهاوتْ ... ألا يبْكي الصُّمودَ فتىً نبيلُ ؟!

ooo

لئنْ رَحلتْ طلائعُهُمْ عَياناً ... إلى حيْثُ التَّحفُّزُ والقُفولُ
فإنَّا قبْلَ ذلكَ قدْ رحلْنا ... فلمْ تبْقَ الفروعُ ولا الأصُولُ
تشرَّدَت البلادُ بهِمْ وإنِّي ... على ثقةٍ سيجْمعُهُمْ سَبيلُ
سَبيلُ اللَّهِ والأيَّامُ تجْري ... لشاطئِهِ تطيرُ به الخيُولُ
يُوحِّدُهُمْ ويُطْلقُهُمْ صُقوراً ... إلى حيْثُ « البُحَيْرَةُ » والجَليلُ
وآيُ اللَّهِ فوْقَهُمُ لواءٌ ... وباسْمِ اللَّهِ جَحْفَلُهُمْ يَصُولُ
يشُدُّهُمُ إلى الإسْلامِ جُرْحٌ ... وقدْ سكنَتْ جِراحَهُمُ النُّصُولُ
وليْتَ الطَّعْنَ جاءَكَ منْ أمامٍ ... إذنْ لعَرفْتَ كيْفَ لهُ تكيلُ
ولكِنَّ السِّهامَ أتتْكَ ظهْراً ... وفي جُنحِ الدُّجى وثبَ المَغُولُ !..
تقُولُ لهُمْ جراحُ الأمْسِ هذا ... طريقُ النَّصْرِ ليْسَ لهُ بديلُ
أضاءَ لنا على الدُّنْيا دُروباً ... ووحَّدَنا ونحنُ بها فُلولُ

شعر : محمود مفلح

تصريحات وأقوال

● محمد أمين الحسيني ●

● الشاذلي بن جديد ●

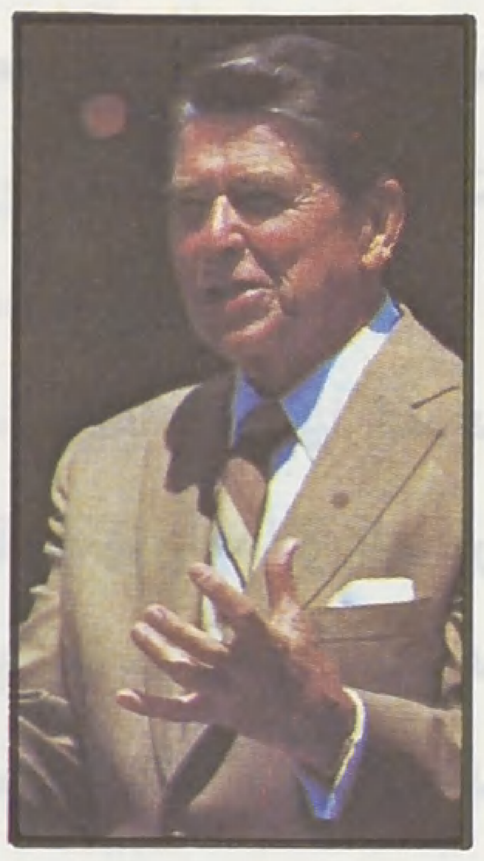

● رونالد ريغان ●

● هنري كيسنجر ●

■■ [حل القضية الفلسطينية لا يتم بالتنازل والخضوع والاستسلام ، لأن ذلك يقضي على كل أمل للشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه ، ولا يحقق له سلاماً واستقراراً ولا حياة كريمة ، وكذلك الحال بالنسبة للدول العربية] ■■

(محمد أمين الحسيني رحمه الله مفتي فلسطين الأكبر)

■■ [إن الغزو الصهيوني لفلسطين تم بمبادرة قوى الشر والعدوان التي لا تريد لنا أن نتفرغ لبناء بلادنا ، والتي تحمل الحقد والبغضاء لحضارتنا العربية الإسلامية ، وتريد أن نكون سوقاً للبضائع الاستهلاكية ، وموردا للمواد الأولية ، وساحة للصراع الدولي ..] ■■

(الشاذلي بن جديد ـ الرئيس الجزائري)

■■ [... إنني أذكر الكونجرس بتقليد يحافظون عليه منذ مائتي سنة ، لتأكيد أن أمريكا أمّة واحدة في حفظ الله . ومن حقي أن أسأل : إذا كان الكونجرس يفتتح جلساته كل يوم برجل دين ، يؤمكم في الصلاة فلماذا لا نعطي لأطفالنا في المدارس الحق نفسه في عبادة الله ؟!] ■■

(« رونالد ريغان » ـ خطابه أمام الكونجرس بتاريخ ٣٠ كانون الثاني [يناير] ١٩٨٤م)

■■ [إن كل فئة في لبنان لها مصالحها الفردية بما في ذلك الأمريكيون .. إن الأمريكيين هناك للدفاع عن إسرائيل وليس للدفاع عن السلام ... وها هم يقومون بقصف لبنان بالأطنان من القنابل] ■■

(ساندرو برتيني ـ الرئيس الإيطالي)

■■ [لم يفلح الرئيس ريجان باتفاقه الاستراتيجي مع إسرائيل في حل مشاكلها ، ولم يضمن لها سوى الأمن ، لذلك فإن مساعدة الاقتصاد الاسرائيلي لاسترجاع أنفاسه هو أهم الأهداف في المرحلة الراهنة ...] ■■

(هنري كيسنجر ـ وزير الخارجية الأمريكية السابق)

■■ [يمر الإسلام بنهضة جديدة وصحوة هامة ، ومن الخطأ معارضته لأنه سيصبح قوة جبارة في المستقبل القريب .] ■■

(حيدر علي [كيدر آلييف] النائب الأول للرئيس السوفييتي)

■■ [إن حركة رابطة الدفاع اليهودية ستخوض صراعاً حاداً من أجل استعادة الهيكل وإزالة المساجد الإسلامية بما فيها الأقصى ... وسيتكرر الاعتداء على المسجد الأقصى ما لم يرضخ المجلس الإسلامي الأعلى لليهود ، ويسمح لهم بدخول ساحة الحرم القدسي والصلاة فيها] ■■

(الحاخام مائير كاهانا)

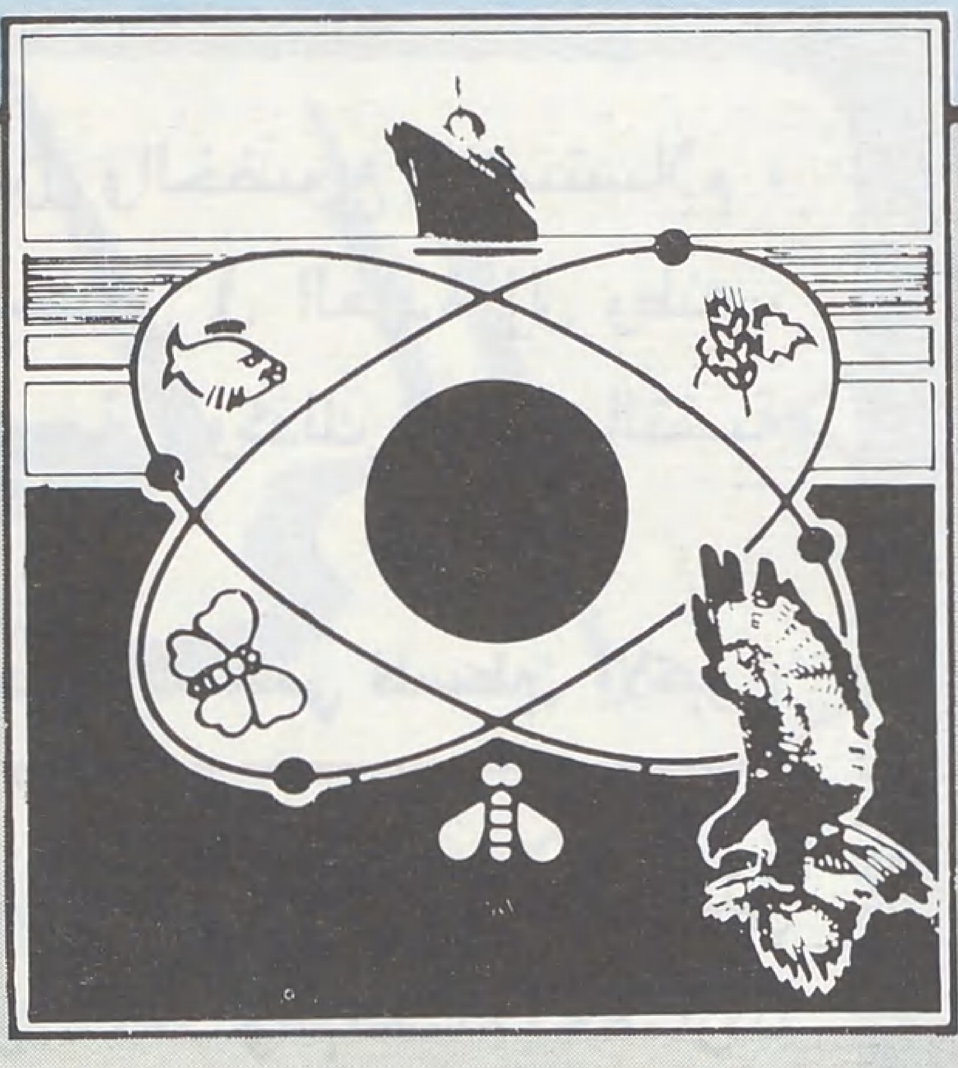

عجائب المخلوقات

العلم والحياة

٣ الصحراء وهجرة الحيوان والطيور

■■ هجرة الحيوان والطيور حركة منتظمة ذهاباً وإياباً ، إذ نادراً ما تقضي حيوانات الصحراء وطيورها العام كله فيها ، حيث يأتي معظمها من مناطق أخرى ، ويستقر لمدة محدودة ، خلال فصل الربيع عندما تكون الحياة في الصحراء مقبولة نسبياً ؛ كما أن الحيوان قد يتكاثر في منطقة ويقضي بقية العام في غيرها ، وقد تأخذ الهجرة أشكالاً متعددة .. ■■

أحياناً يزيد عدد الحيوانات إلى درجة الاكتظاظ ، وعندما تصل الأمور إلى هذه الدرجة يستعد معظمها للهجرة إلى مكان آخر ، وليس بالضرورة أن تعود إلى المكان الذي ولدت فيه ، لذلك لا تعتبر هذه الحركة هجرة حقيقية ... في « التندرا » مثلاً تقوم بعض القوارض مثل « اللاموس » و « الفوْل » و « الأرانب » وبعض الثدييات بدورات منتظمة على مدى عدة سنين .

تمتد الدورة الأولى من ثلاث إلى أربع سنوات ، ويكثر فيها « اللاموس » الذي يجتذب أعداداً من « البوم » و « الثعالب القطبية » التي تتغذى عليه ، وعندما يوشك « اللاموس » على الانقراض ترحل « البوم » مئات الكيلومترات جنوباً بحثاً عن الطعام . ثم تأتي دورة ثانية تمتد أربع سنوات يكثر فيها « الفوْل » الذي يقطن الحزام الكائن بين التندرا وغابات « التايغا » إلى الجنوب منها .

وأخيراً تأتي الدورة الثالثة التي تمتد عشر سنوات وتكثر فيها الأرانب القطبية وثدييات أخرى من مناطق الغابات في أمريكا الشمالية ، وهذه الثدييات تجتذب بدورها الذئاب القطبية و « الوشق Lynx » (وهو حيوان من فصيلة السنانير أصغر من النمر) .

لا يستطيع أحد تفسير سر هذه الدورات المتعاقبة الخاصة بأعداد حيوانات التندرا ؛ على سبيل المثال : لو كثر عدد الأرانب القطبية في وقت معين ، فسوف تأكل النباتات في المنطقة التي تعيش فيها ، فإذا تقلصت مساحة النباتات كان على عدد كبير من الأرانب أن تهاجر ، فإذا هاجرت كان على الوشق والذئاب القطبية أن تهاجر بدورها ، وخلال سنوات يكثر النبات ثانية بسبب قلة الأرانب التي تعود إلى المنطقة بأعداد كبيرة مرة ثانية ... ربما كان انتظام هذه الدورات بسبب كون الصحراء القطبية منطقة غير معقدة نسبياً ، ولا تعيش فيها إلا أصناف قليلة نسبياً من النبات والحيوان .

تحدث الهجرة عندما تصل أعداد الحيوان إلى الذروة ، إنها كانطلاق البخار من صمام الأمان ... عندما تصل الأعداد إلى الذروة يصعب على الحيوان إيجاد مأوى له ، فلا يستطيع الاستمرار ، فتكون الهجرة ... الحيوان ككل بطبيعة الحال يستفيد من الهجرة ، سواء منه من هاجر فعثر على مأوى في مكان آخر أو من بقي فتخلَّص من الاكتظاظ والتنافس على الغذاء ... ومن الضروري أن يتبقى بعض الحيوانات لتتوالد أجيال جديدة ، لذلك تعتبر الهجرة عاملاً مهماً في تنظيم الحياة في التندرا .

■ الأرنب القطبي ■

هجرة اللاموس ..

تحدث هجرة « اللاموس » عندما تصل أعداده إلى درجة حدوث أزمة غذائية ، عندها تخرج أعداد منه من المناطق المكتظة وتهاجر : وتتبعها حيوانات « القاقوم » ermine (من فصيلة بنات عرس) والذئاب والثعالب القطبية والوشق والصقور والبوم ، وهي الحيوانات التي تتغذى عليها .

في النرويج يشق « اللاموس » المهاجر طريقه عبر الجبال إلى المنحدرات ، وأخيراً إلى البحر ، ولأنه غير معتاد على المساحات المائية الكبيرة ، كثيراً ما تقذفه التيارات ثانية إلى الشاطىء ، وهذا ما أدى إلى تداول أسطورة انتحاره الجماعي .

أما « اللاموس » في جرينلاند فهو يهاجر من المحيط المتجمد إلى اليابسة مسافة خمسين ميلاً .

الطيور ..

أما الطيور فمع أن طائر « القرزبيل Crossbill » (طائر متصالب المنقار) و « الطائر الشمعي الجناح Waxwing » (طائر من الجواثم تتميز رؤوس ريش قوادمه بزوائد حمراء شبه قرنية شبيهة بالختام أو الشمع الأحمر) مع أنهما يشهدان انفجاراً سكانياً ، ويهاجران بأعداد غفيرة ، إلا أن الهجرة الحقيقية أكثر انتشاراً بين طيور الصحارى القطبية .

أشهر الطيور القطبية المهاجرة طائر « الخرشنة القطبي Arctic Tern » وهو يتكاثر في شمالي أوروبا وآسيا ، ولكنه يهاجر إلى أقصى المحيطات الجنوبية ؛ أما طائر « جلم الماء Shearwater » الذي يقضي الصيف في « لابرادو » و « جرينلاند » و « آيسلاند » يتكاثر في « نيوزيلاندا » أما طائر « النوء Petrel » فهو يتكاثر في القارة القطبية الجنوبية ، ويقضي الصيف في الأطلسي الشمالي .

الطيور المذكورة طيور مائية : أما طيور السمامة والسنونو والخطاف (swift, swallow, martin) فهي تتكاثر في آسيا وشمالي أوروبا وتقضي الشتاء في أفريقيا

■ المها العربي ■

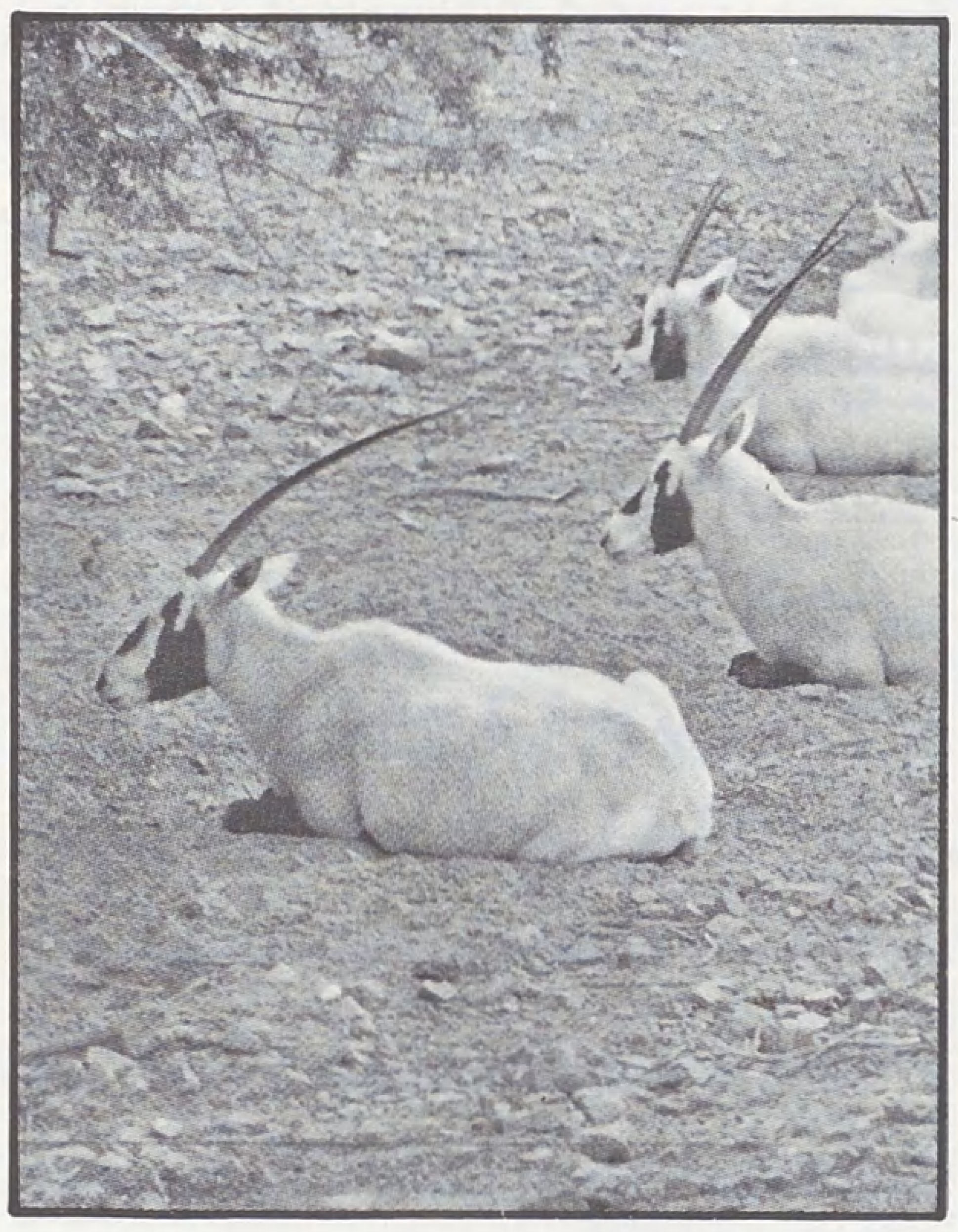

■ المها العربي ■

■ « النوّ » .. أو « الثيتل » الأفريقي ■

الجنوبية ، مخترقة الصحراء الكبرى ... بعض طيور آسيا وشمالي أوروبا تقضي الشتاء على أطراف الصحراء الافريقية ، حيث يكون الفصل جافاً ولا تسقط فيه الأمطار ، وتصبح المنطقة قاحلة وغير مضيافة ، وتقل الحشرات وتتقلص مساحة النبات ، ومع ذلك تستطيع تلك

العلم والحياة

الطيور أن تدبر أمورها ، وتختزن كميات من الدهن تحت جلدها لتستعين بها على رحلة الربيع إلى الشمال .

الطيـور المداريـة ..

بعض الطيور المدارية تهاجر بانتظام عبر خط الاستواء لتستقر على أطراف الصحراء خلال فصل الأمطار القصير ، يتكاثر طائر اللقلق في شهري تموز وآب [يوليو وأغسطس] وهما شهرا الأمطار في السفانا الشمالية والمناطق الصحراوية من افريقيا ، ولدى ظهورهما يستبشر النّاس في تلك المناطق بالمطر ؛ وفي تشرين الأول [أكتوبر] وتشرين الثاني [نوفمبر] يتحرك جنوباً عبر أفريقيا الشرقية ، حيث تشهد المنطقة نـزول الأمطار ، ويستقر في المناطق العشبية في افريقيا الجنوبية حيث يكون الفصل رطباً ، بينما يكون المطر يهطل شمالاً .

الطيـور القطبيـة ..

تهاجر معظم الطيور القطبية الشمالية في الخريف ، أما في الصيف فلا تغادر المناطق القطبية أبداً ؛ في فصل الصيف القصير تضع بيضها الذي يفقس في الفترة نفسها التي تشهد نهاراً طويلاً جداً ، وشمساً مضيئة لا تغيب طيلة الصيف ، مما يتيح الفرصة لتلك الطيور لاصطياد كميـة كبيـرة من الحشـرات لتطعم صغارها .

أما الطيور القطبية المستقرة مثل « الترمجان » (من فصيلة الدجاج) و « البـوم » فهي تستطيع اصطياد فريستها حتى في الظلام القطبي الحالك .

الزقـزاق ..

يهاجر « الزقزاق الأمريكي American

■ اللامـوس ■

■ غزال الرنّة ■

■ الحرشنة القطبي : يهاجر جنوباً قبل بدء الشتاء ■

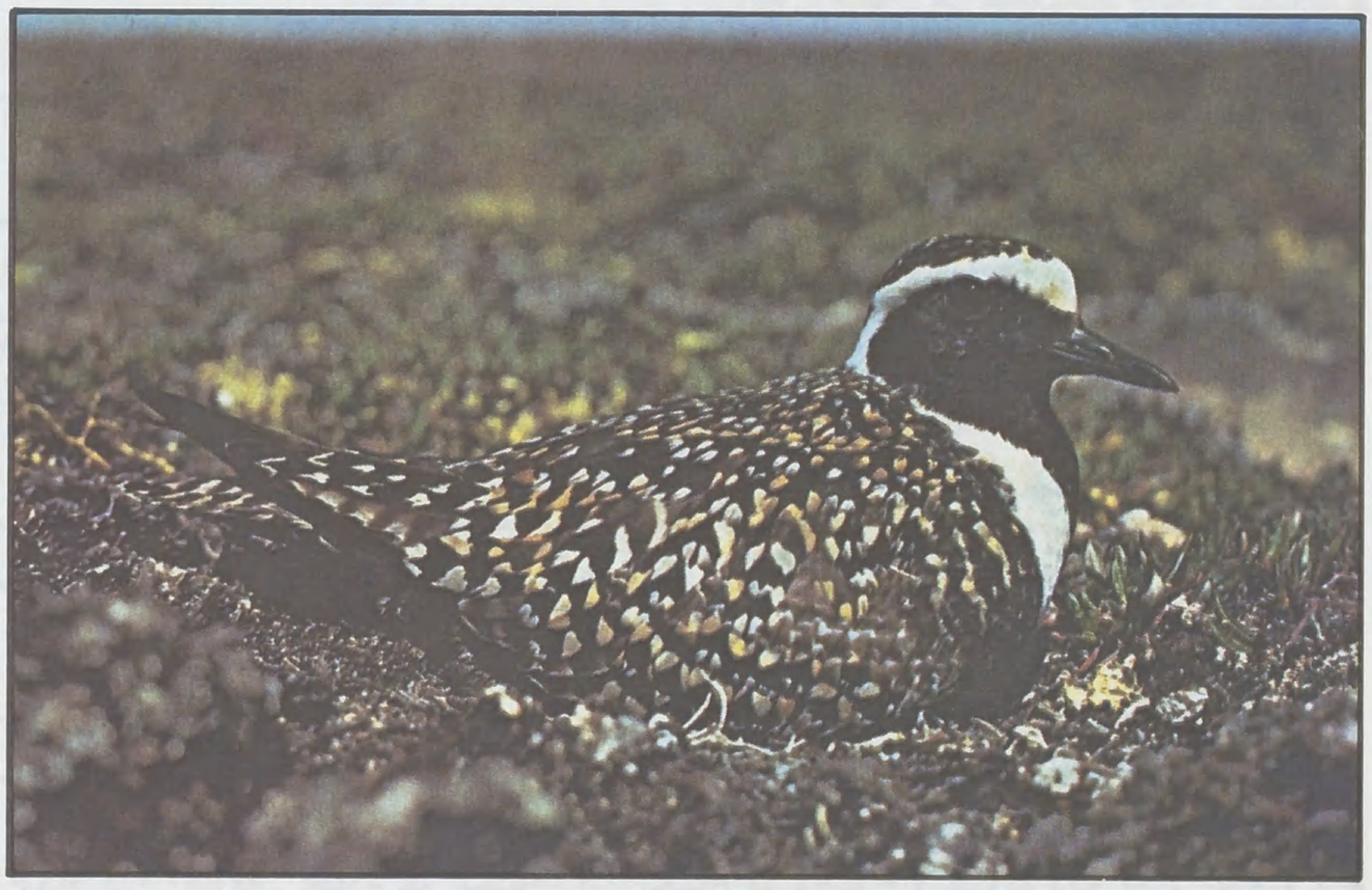

■ الزقزاق الأمريكي : يتكاثر في التندرا ويقضي الشتاء في سهول الأرجنتين ■

■ الذئاب القطبية ■

Plover » من موطنه في تندرا ألاسكا وشمالي كندا إلى سهول الأرجنتين في الشتاء ، بينما يتجنب « الزقزاق الأوروبي الآسيوي » Eurasian Plover الشتاء البارد بالهجرة إلى صحارى استراليا ... كثيراً ما تكون هذه الهجرات بسبب الخوف من الهلاك جوعاً أكثر منها بسبب البرد القارس ؛ لذلك هناك حيوانات قطبية لا تهاجر شتاء ، مثل ثور المسك والذئاب ... أما الثعلب القطبي فهو ينتقل إلى مناطق الشمال الأكثر برودة ويتغذى على بقايا الفقمة ، كذلك يفعل اللاموس والأرنب القطبي والبوم الذي يتغذى عليهما ، كلها لا تهاجر بسبب البرد بل بسبب الأزمات الغذائية .

طبعاً هناك حيوانات قطبية تهاجر شتاء ، خاصة في الشتاء الذي يشهد انخفاضاً غير عادي في درجات الحرارة ، ومن هذه الحيوانات : الدب الأمريكي ، والرنة الكندي ... يستوطن الرنة التندرا صيفاً ، ويهاجر إلى الجنوب قبل بدء الشتاء ، عبر غابات الصنوبر ، يسلك الرنة الطريق نفسه عاماً إثر عام ، وقد تركت قطعان الرنة بصمات حوافرها على صخور تلك الطريق ، حتى إن بعض الصخور قد تآكلت بمعدل ستين سنتيمتراً ، وتبقى الرنة في الجنوب حتى الربيع القادم حيث تستعد للهجرة لقضاء الصيف في الشمال .

الهجرة وسيلة للبقـاء ..

تشهد المناطق القاحلة هجرة مستمرة لحيوانات المها وبقر الوحش الافريقي والقوفز (ظبي جنوبي أفريقيا) والغزال .. هذه الحيوانات لا تستطيع البقاء فترة طويلة في مكان واحد بسبب قلة الغذاء ، وعادة ما تتم الهجرة عندما تصل الأعداد إلى درجة كبيرة تتسبب في أزمة غذائية ، وعادة أيضاً ما يتبع هجرة هذه الحيوانات هجرة الحيوانات التي تتغذى عليها مثل : الأسود والضباع والنمور والكلاب المفترسة ...

وبعض تلك الحيوانات مثل القوفز تداهم ، أثناء رحيلها ، المدن والقرى وتتركها يباباً .

باختصار تعتبر الهجرة الطريقة المثالية التي تمكن الحيوانات من التأقلم مع الصحراء القاحلة ... فسبحان ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه : ٥٠) .

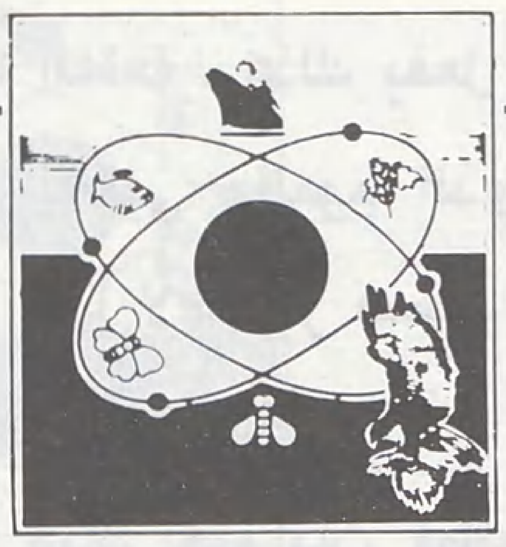

تأصيل التكنولوجيا ...

أصبحت التكنولوجيا ، بدلالاتها المتعددة ، تعبيراً ملازماً لعملية التصنيع والتطور الاقتصادي الحديث . كما أنها أصبحت معياراً جرى بموجبه تقسيم دول العالم إلى دول متقدمة ونامية طبقاً لشمولية وتأصيل فعاليتها المختلفة لدى هذه الدول .

وتقتضي عملية التأصيل إيجاد البنية الذاتية التي تدير عملية الإنتاج وباقل اعتماد ممكن على معارف الآخرين ممن لا ينتمون إلى الامـة نفسها . فهي لا تعني استطاعتنا شراء جميع مقومات الحضارة العصرية ، دون أن يكون للإنتاج المحلي والقدرات والمعارف المحلية الدور الأكبر ، إن لم يكن الدور كله . وهي تعني أن يكون اهتمام القوى الاقتصادية في بناء قدرات محلية أكثر من اهتمامها بتمثيل الأجنبي والحصول على امتيازات تمثيله . وهي أكثر من مجرد قيام صناعات متفرقة تقوم على توفير المواد الخام واستغلال بعض الموارد الطبيعية ، رغم أهمية ذلك . كذلك فإن عملية التأصيل تقتضي التنظيم والفهم الدقيق لمتطلبات التصنيع وأعمال البحث والتطوير ، والمشاركة في إسناد الصلاحيات وتحمل المسؤوليات ، والتقييم من خلال النتائج وعن طريق إدارات ذات مستوى متقدم من الالتزام والوعي .

وقدرة المجتمع على الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة لا يعتمد فقط على مقدار فهمه لها والتحكم بها ، بل أيضاً على الدرجة التي يكيف نفسه مع متطلباتها المختلفة . ويتضمن هذا التكييف اتباع الأساليب العلمية الحديثة في معالجة المشاكل وزيادة القدرة الإنتاجية ، وتحسين الكفاءة في مستوى الخدمات .

لقد دلت التجارب على أن التنمية الاقتصادية تقتضي في الوقت نفسه تنمية القدرات العلمية والتكنولوجية ، وذلك وفقاً لاستراتيجية حكومية تتعدى المجهودات الفردية . وهذا يقتضي إنشاء مؤسسات البحث العلمي والتكنولوجي وتوجيهها لخدمة التنمية . والحاجة لهذه المؤسسات تنبع من طبيعة التصنيع ومتطلباته في عصرنا . فالتصنيع عملية تحتاج إلى الاستمرار في التطوير والتحسين والابتكار . وهذه العملية تحتاج إلى وجود أجهزة البحث والتطوير العلمي والتكنولوجي المحلية ، حتى لا تتحول قدراتنا الهندسية إلى مجرد فنيي تشغيل وصيانة لأنظمة ومعدات وتجهيزات كلها من تصميم وإنتاج مهندسين مثلهم ، ولكنهم أجانب .

لا بد إذاً من وجود مقومات البحث والتطوير المحلية حتى يمكن نقل التكنولوجيا وتطويعها . وإيجاد هذه المقومات عملية غير سهلة .. إنها تحتاج إلى وضوح في الرؤية ومعرفة في الموضوع وحكمة في اتخاذ القرارات .

إنها بحاجة أيضاً إلى وعي الجهات الحكومية المسؤولة وأرباب الصناعات بأهمية البحث العلمي القائم على مجهودات جماعية وفي إطار استراتيجية شاملة ، وهي تتطلب تنمية الصلات بين الجامعات ، وخاصة كليات الهندسة ، والصناعة .

سيارة تسير بالطاقة الشمسية

صنع مهندس بريطاني سيارة تسير مباشرة بالطاقة الشمسية وذلك باستخدام خلايا شمسية تحول أشعة الشمس مباشرة إلى كهرباء ، دون حاجة إلى بطاريات تشحن يومياً .

ولمواجهة مشكلة بطء السيارات التي تسير بالطاقة الشمسية بسبب ثقل وزنها ، فقد صنع المهندس البريطاني سيارته من الألياف الزجاجية (الفايبر جلاس) وجعل عجلاتها مثل عجلات الدراجة .

وللتغلب على مشكلة عدم انتظام وصول أشعة الشمس فقد زود المهندس سيارته بصفين من الخلايا الشمسية ، وبمحرك يعمل بجهد كهربائي يتراوح بين ١٢ ـ ٢٤ فولتاً .

في الأيام المشرقة تسير السيارة بسرعة (١٥) ميلاً كحد اقصى . تتسم السيارة بالبساطة في التكاليف والصيانة .

مدرسة الفضاء ...

أصبح باستطاعة سكان الأرض تلقي المعرفة مباشرة من قمر صناعي تعليمي يدعى « أوسات » ، أطلقته وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » لحساب جامعة « سوري » البريطانية عام ١٩٨١م . ويمكن تلقي تلك المعلومات بواسطة جهاز UHF المتقدم قليلاً عن جهاز المذياع العادي .

ورغم إطلاقه قبل ثلاث سنوات إلا أنه لم يبدأ البث مرتين في الأسبوع إلا مؤخراً .

جدران بلاستيكية لامتصاص الضجيج

تقيم بعض الدول جدراناً مرتفعة على محاذاة خطوط السكك الحديدية أو طرق السير السريعة ، وذلك للتخفيف من الإزعاج . ولكن المهندسين اليابانيين توصلو إلى تصنيع جدران بلاستيكية لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد ، ولكنها أكثر امتصاصاً لأزيز القطارات ، وأقل تكلفة . إضافة إلى ذلك فهي لا تحجب الرؤية .

داخل تلك الجدران « غرف » مليئة بالرغوة ، يدخل الصوت إليها عبر فتحات صغيرة فيتلاشى .

بدأت اليابان استخدام هذه الجدران منذ عام ١٩٨٢م وهي تعدها الآن للتصدير . وقد بلغت نسبة تقليصها للصوت ٧٥٪ .

بنك الفيروسات ..

أصبح أكبر بنك عالمي للفيروسات مفتوحاً أمام جميع دول العالم ، يضم البنك معلومات عن الفيروسات المعروفة . وقد اقامته منظمة الصحة العالمية في « ميونيخ » مؤخراً ، ويبلغ عدد الفيروسات التي يضم البنك معلومات عنها (٢٠٠) ، ويمكن لأية دولة أن تصل إلى المعلومات باستخدام الهاتف أو شبكات الكومبيوتر .

المياه الجوفية وخطر التلوث

بمناسبة يوم البيئة العالمي عالج الدكتور مصطفى كمال طلبة ، المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، موضوع المياه الجوفية والتلوث .

يدعو التقرير إلى رصد ومراقبة أماكن النفايات ، وإلى إجراءات جديدة تحكم استخدام الكيماويات فوق سطح الأرض ، كما يدعو إلى تعاون إقليمي في هذا الميدان ، لأن خزانات المياه الجوفية هي عبارة عن تشكيلات جيولوجية غالباً ما تمتد إلى أبعد من حدود الدولة الواحدة .

ويؤكد التقرير إلى أن المياه السطحية والجوفية لا توجد منفصلة بل يجب النظر إليها كوحدة متكاملة وباعتبارها مورداً مائياً موحداً .

لا تشكل المياه العذبة أكثر من جزء صغير من مجموع احتياطات المياه في الكرة الأرضية . أما معظم هذه الاحتياطات فتتجمع في أحواض المحيطات ، وفي الكتل الثلجية والجليدية . وتقدر المياه الجوفية بـ ٢٢٪ من مياه اليابسة التي لا تشكل أكثر من ٣٪ من مياه هذا الكوكب الأرضي .

تتميز المياه الجوفية على السطحية بعدم خسارتها بواسطة التبخر وبخلوها من الوحل والطين والترسبات . وتعتبر نظيفة بيولوجياً إن لم تلوثها نشاطات الإنسان . وهي أيضاً باردة صيفاً دافئة شتاءً .

● الدكتور طلبة ●

● مياه البحيرات الآسنة ●

ويقول التقرير إن قسماً كبيراً من المياه الجوفية يوجد على عمق يزيد على (٨٠٠) متر عن سطح الأرض . وبذلك فهي أبعد من أن يتمكن إنسان اليوم من استغلالها .

إن كمية المياه الجوفية التي يمكن للإنسان أن يصل إليها اليوم تقدر بـ (٣٠٠) ألف كيلومتر مكعب . ولكن الاستغلال المبالغ فيه لهذه المياه والنشاطات الإنسانية التي تسمح بتدهور نوعيتها يشكلان خطراً حقيقياً يتهددها .

ويحذر التقرير من أن الاستهلاك الزائد عن الحد لن يقود إلى جفاف تلك المياه وحسب ، بل يؤدي أيضاً إلى تأثيرات بيئية أخرى مثل هبوط الأرض واختلاط المياه المالحة بالعذبة ، إذا كانت قريبة من السواحل .

كما يحذر التقرير من تلوث تلك المياه بالأسمدة والمبيدات والفضلات الحيوانية .

ومن الأسمدة خص التقرير سماد النيتروجين (الآزوت) إذا كان بشكل نترات ، وقال : إنه الشكل الأكثر شيوعاً لتلوث المياه الجوفية قرب الأراضي الزراعية . أما المبيدات فأشار التقرير إلى أن خطرها يبقى محدوداً لأن التربة تمتص معظم المبيدات التي تحتوي على الكلورين العضوي .

كما حذر التقرير من النفايات الصناعية والدفن الضحل للفضلات المشعة .

عالم الاتصالات

هاتف للصم والبكم

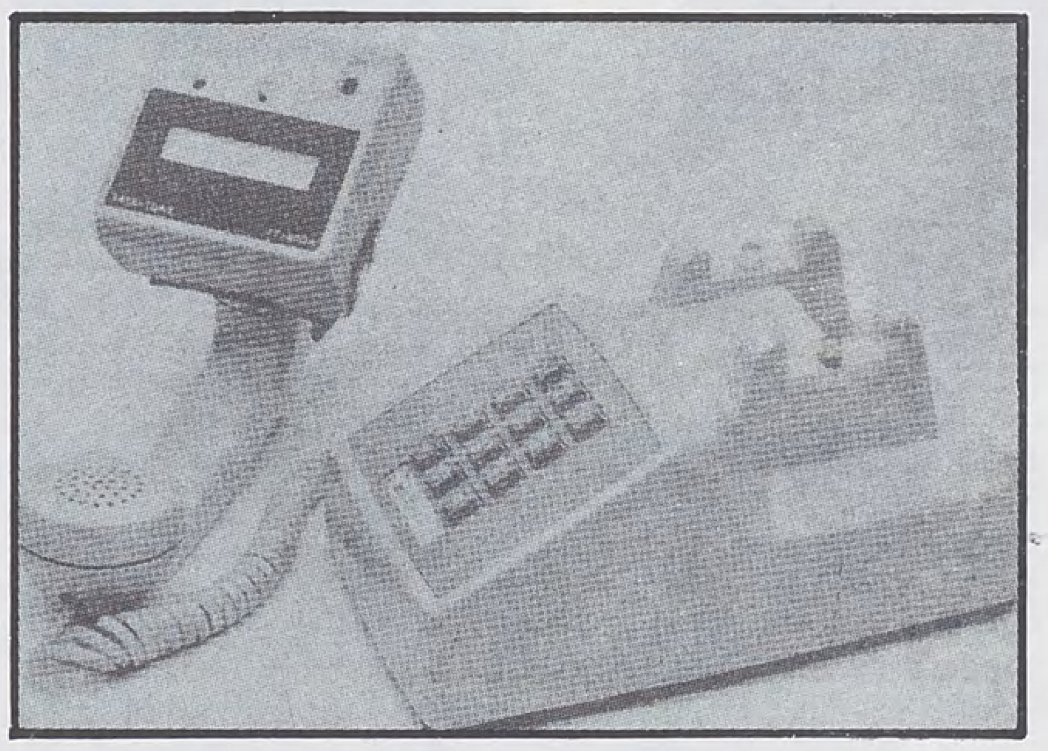

توصلت إحدى الشركات الأمريكية إلى تصنيع جهاز هاتف خاص بالصم والبكم ، يمكّنهم من إرسال واستقبال الرسائل الهاتفية المكتوبة يختار مستخدم هذا الجهاز الكلمات التي يريدها حرفاً حرفاً من بين الحروف الموجودة على لوحة خاصة ، وعلى الطرف الآخر يجد المستقبل تلك الكلمات ظاهرة أمامه على شاشة خاصة .

زرنيخيد الغاليوم بدل السيليكون

المعروف أن ثورة الالكترونيات الحديثة قد قطعت أشواطاً متقدمة جداً بعد استخدام رقاقات السيليكون شبه الموصلة . وقد وصلت بعض أجهزة الكومبيوتر باستخدام تلك الرقاقات إلى أقصى سرعة متصورة . ولكن العلماء توصلوا إلى بديل للسيليكون وهو زرنيخيد الغاليوم Gallium Arsenide (الغاليوم عنصر فلزي نادر أبيض مزرق) . ومن المتوقع أن يبدأ استخدام هذا النوع من الرقاقات في أجهزة الاتصالات المتقدمة والأنظمة الألكترونية العسكرية . وتقول الشركة التي صنعتها إنها تعطي سرعة أكثر خمس مرات من رقاقات السيليكون .

جهاز لتفتيت الحصى في المثانة دون ألم

تقول وكالة الأنباء الصينية إن الأطباء الصينيين قد طوروا أسلوباً لتفتيت الحصى داخل المثانة بدون ألم . ووفقاً لهذه الطريقة يقوم الأطباء بإدخال جهاز إلى المثانة عبر الإحليل . يحدث الجهاز خروقاً في الحصى ، كما يقذفها بمواد تؤدي إلى تفتيتها ونزولها مع البول .

يقول الأطباء الغربيون : إنهم لم يسمعوا بمثل هذا الأسلوب . ولكن المعروف أن الدول الغربية تستخدم طريقة الترددات فوق الصوتية لتفتيت حصى المثانة .

مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

في الدوحة

■ بيوت المتقين : ضرورة دينية واجتماعية وفكرية ... ■

■ أماكن الوضوء (ميضأة) ■

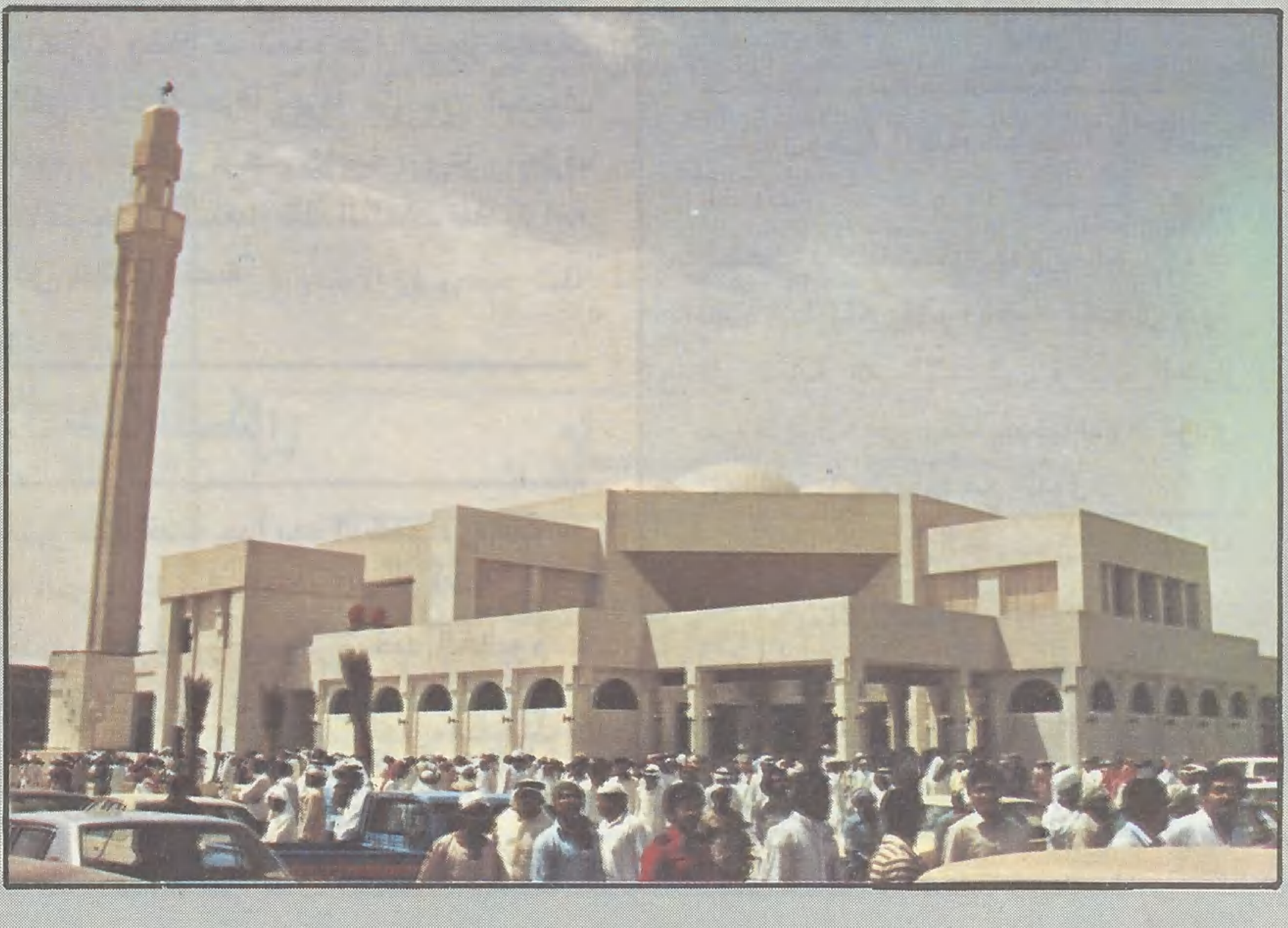

■ المكتبـة :
ألف وستمائة مجلد في مختلف فروع المعرفة الإسلامية ■

■ الزجاج الملون : من وسائل التعبير عن الزخرفة الإسلامية ■

■■ الإسلام دين الفطرة ، وهو دين التوحيد والوحدة ، دين اليسر والسهولة والبساطة ، لا غموض فيه ولا تكلف ... من هنا جاءت طبيعة المسجد في الإسلام لتتناق مع الضخامة والإسراف في الزينة إذا ما قيس بدور العبادة اليهودية والنصرانية ، والبوذية والهندوسية ، وغيرها من الديانات ...

والمسجد إلى جانب هذه الميزة التي تتناسب مع بساطة الإسلام ووضوحه ، مركز الجماعة المسلمة ، ونقطة تجمعها ولقائها ، ومكان تشاورها وتبادل آرائها ، ومركز العلم والتعلم فيها ، ودار العدل والقضاء لها ، والخلية الاجتماعية التي تنبض بالحياة ... وهو ضرورة دينية وسياسية واجتماعية وفكرية ... لذا كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ عند وصوله إلى قباء في طريق هجرته إلى المدينة المنورة أن يأمر ويرسم بناء أول مسجد في الإسلام - قباء - الذي بناه سعد بن خيثمة رضي الله عنه ، وجاء ذكره في القرآن الكريم : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة : ١٠٨) وما أن يصل عليه الصلاة والسلام المدينة المنورة حتى يبدأ ببناء مسجده فيها ، وهو الذي كان يقول : « أحب البلاد إلى الله مساجدها » و « من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة » و « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ... كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب ... وفي المصنف عن يعقوب بن زيد أن رسول الله ﷺ كان يتبع غبار المسجد بجريدة (كان يكنس المسجد بيديه الشريفتين) .. ■■

■ الجمع بين الفن المعماري الإسلامي والعناصر المعمارية الحديثة .. ■

مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في الدوحة

من هنا كان التواصي بين الصحابة بعمارة المساجد المادية والمعنوية وضرورة الاهتمام بذلك ، قال أبو الدرداء لابنه : يا بني ، ليكن المسجد بيتك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المساجد بيوت المتقين ، فمن يكن المسجد بيته يضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة ... » إلى جانب أن تكون خالصة لله عز وجل ومن أجل طاعته ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » لذا أمر الرسول ﷺ بتحريق مسجد الضرار الذي بناه المنافقون للتآمر على الدعوة الإسلامية تحت ستاره ...

ونستطيع أن نتبين التزام السلف الصالح بإقامة المساجد والمحافظة عليها والعناية بعمارتها الحقيقية لما لها من أهمية في حياة الجماعة المسلمة مما حفظه التاريخ من أمثلة كثيرة يصعب حصرها وإحصاؤها ... من ذلك مثلاً : عندما توجه عبد الله بن سعد في السنة الحادية والثلاثين الهجرية إلى بلاد النوبة لفتحها ، وبعد أن أمكنه الله عز وجل من أعدائه في معركة « دنقلة » ونصره عليهم قام ببناء مسجد ليكون طليعة نشر الإسلام في تلك البقاع ، وهذا المسجد يعتبر من أقدم مساجد السودان ... ودليلنا على هذا أنه بعد ذلك لما عقد معهم حلفاً جاء في نصوصه : « ... وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصلياً ، وعليكم كنسه وإسراجه - إنارته - وتكرمته ... » واستمر المسلمون على هذا يتعاهدون بيوت الله عز وجل بالعمارة والبناء طوال عصورهم على الرغم مما فعله أعداء الإسلام بعد أن تبينوا أهمية دور المسجد في حياة الجماعة المسلمة ، من أجل عزله عن واقع المسلمين ، وحصره في شكليات لا تتصل بحياتهم .. ولا يزال المسلمون سائرين على طريق إعمار المساجد ، باذلين المحاولات الكثيرة من أجل أن يعود للمسجد دوره الحقيقي في قيادة وتوجيه المجتمع ...

مسجد عمر بن الخطاب

وفي إطار الخطة التي وضعتها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر لبناء عشرين مسجداً أنموذجياً ؛ شهدت مدينة الدوحة في ٢٤ جمادىٰ الآخرة ١٤٠٤هـ [٢٦ آذار (مارس) ١٩٨٤م] افتتاح مسجد « عمر بن الخطاب » ، المسجد الثالث من هذه المساجد ، وقد روعي في تصميمه وتنفيذه الجمع بين الفن المعماري الإسلامي الأصيل وبين العناصر المعمارية الحديثة الممزوجة بالتفاصيل والزخارف المنتقاة من البيئة القطرية القديمة .. وكان أول مسجد أنموذجي يُفتتح - في إطار الخطة - مسجد « سوق الجملة المركزي » يوم ٢٨ شعبان ١٤٠٢هـ [٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م] أمّا الثاني فهو مسجد « أبو بكر الصديق » الذي افتتح في ١٢ جمادىٰ الأولى ١٤٠٣هـ [٢٥ شباط (فبراير) ١٩٨٣م] ..

وتمتاز المساجد الأنموذجية ، بشكل عام ، بتعدد خدماتها واتساعها لعدة آلاف من المصلين .. أما مسجد « عمر بن الخطاب » فهو بالإضافة إلى ذلك ، يمتاز بموقعه في منطقة حديثة ذات كثافة سكانية (مدينة خليفة الجنوبية) وعلى أحد الشوارع الرئيسة التي تربط العاصمة بمدن الشمال ..

وكانت عملية إعمار المسجد قد بدأت في شعبان ١٤٠١هـ ، واكتملت في جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ، فكانت الفترة التي استغرقتها سنتين وعشرة شهور .. وبلغت المساحة الكلية التي أقيم عليها المسجد والمباني الملحقة به (٤٣١٤) متراً مربعاً . أما التكلفة فقد زادت عن العشرين مليوناً بنصف مليون ريال قطري ..

مكوِّنات المسجد ..

يتكون المسجد بصورة رئيسة من عدد من المصليات تبلغ مساحتها الإجمالية الفين وأربعمائة متر مربع موزعة على مستويين : علوي وسفلي بحيث تتسع لأربعة آلاف مصل ...

ولما للمسجد من دور يمكن أن يسهم به في تنمية المرأة المسلمة وتربيتها وإعدادها إعداداً متوازناً ، فقد خُصصت أماكن في الطابقين العلوي والسفلي من المسجد للنساء ، تتسع لسبعمائة مصلية ... جعل لهن مدخل خاص بعيد عن مداخل الرجال مع دورات مياه وأماكن مخصصة للوضوء منفصلة .

وفرشت جميع المصليات بالسجاد الفاخر الذي يبلغ عرضه مائة وعشرين سنتيمتراً بحيث تساعد على تنظيم ومساواة الصفوف في الصلاة .. كما زودت المصليات بمحافظ للقرآن الكريم ، وزعت في أنحاء المسجد حتى يكون من اليسير على زوّار بيت الله تلاوة كتابه الكريم ..

ملحقات المسجد ..

● المكتبة :

لعل من أبرز ملحقات مسجد « عمر بن الخطاب » ، المكتبة التي أقيمت في الجهة الجنوبية المواجهة للمئذنة . وذلك لإتاحة الفرصة للإمام والمصلين والمهتمين بالثقافة الإسلامية ، للبحث والاطلاع على الأحكام الشرعية وعلى جوانب الحضارة الإسلامية والتزود بمختلف الوان المعرفة والثقافة .. فهي تحتوي على حوالي الف وستمائة مجلد تشمل معظم المصادر الإسلامية في علوم القرآن والحديث ، وفي الفقه والسيرة واللغة العربية إلى جانب الدراسات الإنسانية بصفة عامة .. كما يوجد فيها كتب خاصة بالطفل المسلم وعدد من المجلات والدوريات الإسلامية التي تصدر في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي ... والمكتبة مفتوحة للمطالعة طوال أيّام الأسبوع ..

● فصل تحفيظ القرآن :

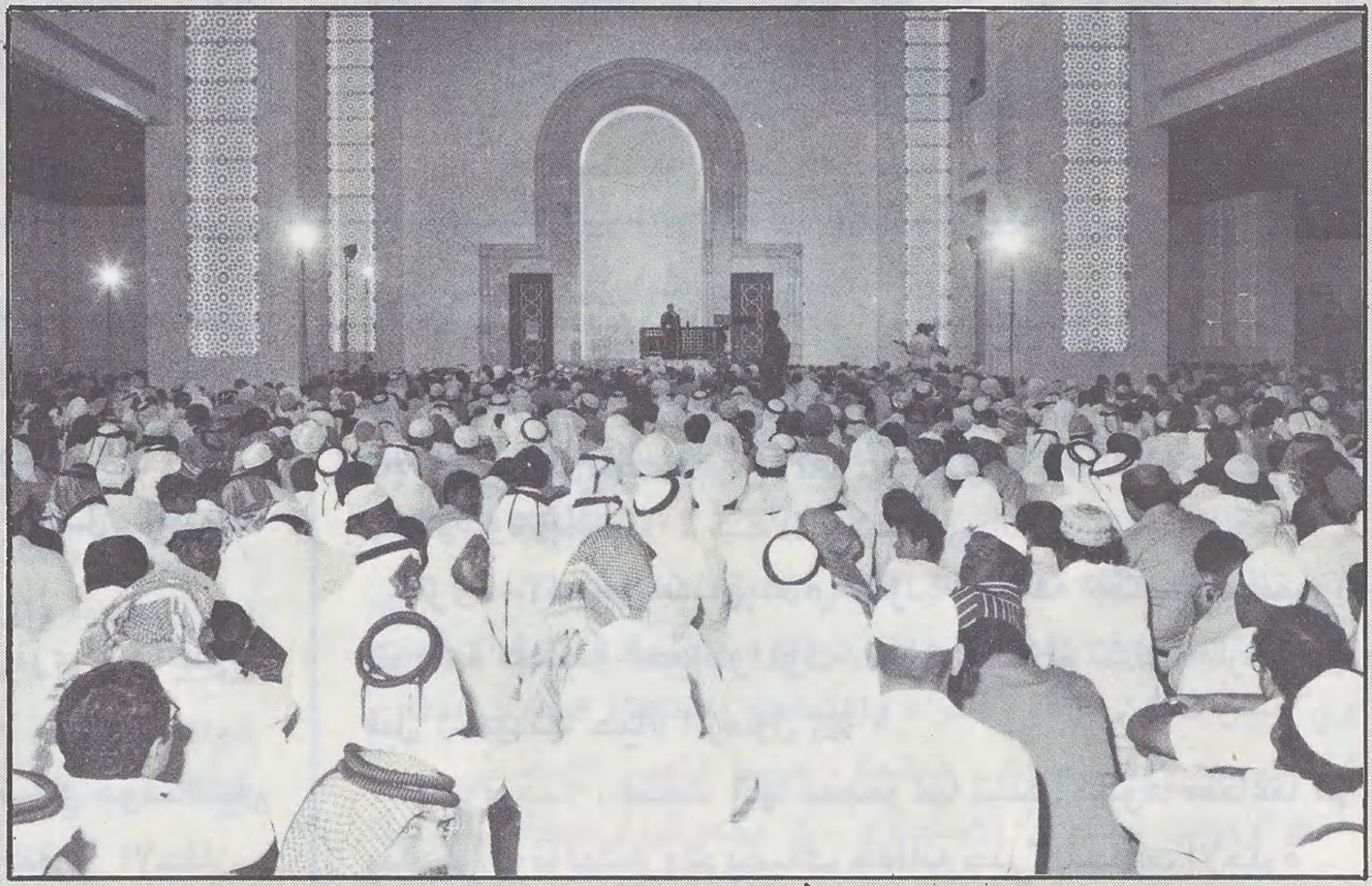

■ [٢٨ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ .] أول جمعة أقيمت في المسجد .. ■

كما ألحق بالمسجد كذلك ، فصل لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتعليم النشء علومه وما نصّ عليه من واجبات على المسلم ، وما اشتمل عليه من مبادىء وأفكار … ويشرف على الفصل إمام المسجد ..

● سكن الموظفين :

واهتماماً بإمام ومؤذن المسجد والعاملين فيه ، وسعياً وراء توفير أسباب الراحة والاستقرار والتهيؤ النفسي الذي يمكنهم من القيام بواجبهم على أحسن وجه ، فقد اشتمل المسجد على سكن خاص بهؤلاء يحتوي على المرافق الضرورية .. كما ألحقت به أيضاً غرفة خاصة للإدارة ، مزودة بخط هاتفي تُحفظ فيها جميع المعلومات والأوراق ذات العلاقة بالمسجد ، وتتخذ مقراً للموظف المسؤول عن أعمال التشغيل والصيانة والتنظيف ..

المواصفات المعمارية ..

يصل ارتفاع المبنى الرئيس للمسجد إلى خمسة عشر متراً .. حيث توجد في أعلاه قبة ضخمة (قطرها اثنا عشر متراً) تحيط بها أربعة أنصاف قباب ، رُكب على احدها ـ وهي المواجهة للقبة الرئيسة ـ نصف دائرة من الزجاج الملوّن بزخرفة إسلامية تنعكس الوانها داخل المسجد فتزيده بهاء وجمالاً .. ويبلغ ارتفاع أعلى نقطة في القبة عن الأرض عشرين متراً ..

وفي زاوية المسجد الجنوبية وعلى ارتفاع ثمانية وثلاثين متراً ، أُقيمت مئذنة ثمانية الشكل ، زُيِّن أعلاها بهلال يرتبط بمانع للصواعق … أما القاعدة فزيِّنت بزخارف مستقاة من البيئة القطرية ..

مداخل المسجد ..

يمكن الدخول لمسجد « عمر بن الخطاب » من مداخل عدة .. فهناك مدخلان من الجهة الشمالية ، ومدخل من الجهة الشرقية وآخر من الجهة الجنوبية الغربية ، إضافة إلى مدخل النساء ، ومدخل خطيب المسجد الذي يقع في الجهة الغربية .

وهناك مدخل رئيس يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية يؤدي إلى فناء مكشوف تتوسطه بركة ماء محاطة بأروقة مغطاة على كل جانب منها دورة مياه للوضوء مزودة بالماء البارد والساخن ، مع وجود ثلاثة موارد للماء العذب موزعة في جوانب الفناء ..

ويمكن دخول المسجد كذلك من جهة هذا الفناء وذلك عن طريق ثلاثة ابواب ضخمة يزن كل منها أربعمائة وخمسين كيلو جراماً ، ويرتفع لثمانية أمتار ، وهي مصنوعة من خشب التيك الصلد ، ومزينة بزخارف إسلامية من النحاس الأصفر والخشب …

ومن أبرز الملامح المعمارية لهذا المدخل ، ذلك الهرم المعكوس الذي صنع من الألمونيوم على شكل مكعبات تستخدم للإضاءة في الليل ، ولينعكس ضوءه على البركة فيزيدها حسناً وتلألؤاً … واستخدمت مادة جبسية خاصة لعمل زخارف إسلامية زيّن بها الفناء ، كما استخدم « السيرامسك » الخزفي لتبليط الأفنية والممرات الخارجية … ووزعت الجلسات التقليدية العربية داخل الفناء وخارج المسجد .

وكُسيت واجهات المسجد بمادة « الميزلايت » التي تتميز بلمعانها عند سقوط أشعة الضوء عليها .. واستخدم الرخام البرتقالي الفاخر لعمل حزام بارتفاع متر ونصف المتر يحيط بالمسجد ، ولتزيين النوافذ والمحراب الذي يبلغ ارتفاعه اثني عشر متراً ..

المسجد من الداخل ..

يرتكز بناء المسجد على أربعة أعمدة ضخمة ، عرض الواحد منها مائتان وأربعون سنتيمتراً تخفي وحدات الإضاءة ومكبرات الصوت .. وغطي السقف بشرائح الألمونيوم الذهبي اللون ، بأشكال متقاطعة ، وذلك لامتصاص موجات الصوت ومنع حدوث الصدى … وتم عمل جميع تمديدات الخدمات فوق السقف المعلق ، بما في ذلك تمديدات التكييف ومنافذ التهوية الصناعية والإنارة التي تبلغ وحداتها داخل المصليَّات ألف وحدة .. كما تم استغلال الإنارة الطبيعية عن طريق الزجاج الملون في انصاف القبب ، وفي المحراب والنوافذ ..

● إن مسجد « عمر بن الخطاب » يعتبر إضافة اخرى للنهضة العمرانية التي تشهدها دولة قطر منذ سنوات خلت .. والامل ان يكون إضافة خير تاخذ بيد الجيل نحو الطريق القويم ، والنهوض بالأمة لإعلاء كلمة الله تعالى …

يكتبها
دكتور : عماد الدين خليل

المشاهد المتألق

■■ الأدلة كثيرة .. والحقائق والممارسات التي تشع ضوءاً حتى ليكاد تألقها يسلب الأبصار ، أكثر ، والبديهيات أكثر بكثير .. بديهيات في الفكر وأخرى في السلوك اليومي المنظور ، وفي حشود المفردات التي تشكل أخلاقية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولكن أين العقول التي تفقه .. والعيون التي ترى .. والقلوب التي تؤمن فتطمئن ؟

ثلاث وعشرون سنة ورسول الله ﷺ يغادر فراشه في جوف الليل لكي يؤدي صلوات كانت تتورم لها قدماه ، وتتقرح الأجفان ، ويكاد الجسد يئن نصباً وإعياءً ..

ثلاث وعشرون سنة ورسول الله ﷺ ينهض من فراشه حتى والبرد يلسعه في ليالي الشتاء القارسة .. حتى ونداء النوم يدعوه لكي يرتاح قليلاً من عناء نهار ليس كنهار الناس العاديين ..

لماذا ؟ ولمن ؟ وعلام هذا العناء ، وهذا الالتزام الصارم ، وهذه الممارسة التي لم يتنازل عن أدائها يوماً واحداً فقط على مدى ثلاث وعشرين سنة هي عمر الرسالة .. ؟

وما كان ﷺ ينام وحده لكي يتسلل الشك الشيطاني إلى النفوس المريضة فتستسلم له ، وتقول : ربما ؟ من يدري ؟ لعله صلى يوماً وتجاوز أياماً ؟

لم يكن ينام وحده .. ومعنى ذلك أن ممارسة كهذه غدت أمراً تاريخياً مسلماً به .. فمن خلال (شهودٍ) يومي لنسوته - أولاً - حيث كان يتبتل في داره ، ومن خلال (شهودٍ) يومي أكثر اتساعاً لصحابته الكرام الذين ما تخلى عن إمامتهم في صلاة الفجر يوماً ، تغدو المسألة يقيناً يكتسح كل وسوسة ، وشهادة منظورة تفرض حضورها على الملاحدة قبل المؤمنين ..

ومرة أخرى .. لماذا ؟ ولمن ؟ وعلامَ هذا العناء ؟

وحاشا لمؤمن أن يتوجه بسؤال كهذا لنفسه أو للآخرين .. وإنه لأمر بديهي كبديهية الإيمان نفسها ، أن ينهض الإنسان المسلم مع الفجر ملبياً نداء الله ، مؤدياً واحدة من الصلوات الخمس التي كتب الله مواقيتها على المؤمنين فكيف بالرسول نفسه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

ولكنه سؤال نقذف به في وجوه المتشككين بنبوة النبي ﷺ ، الموسوسة صدورهم بصدق رسالة الرسول ﷺ ..

ليس سؤالاً في حقيقة الأمر ولكنه تحدٍ يحمل واحدة من أشد الحقائق ثقلاً وحضوراً لكي يقول للناس : ها هي ذي ، مفردة واقعة تؤكد صدق محمد بن عبد الله ، مع نفسه ومع الناس ، وقبل هذا وذاك مع الله سبحانه الذي لم يكن بصلواته الليلية الصعبة تلك يلبي أمره فحسب ، ولكنه يتجاوز هذا إلى التعبير عن حبه وشكره وعرفانه ..

تُرى .. كم من أمثال هذه المفردة المتألقة كضوء الشمس ، الواقعة كحقيقة الحياة والموت ، المؤكدة كما لم تتأكد ممارسة من قبل ، شهدتها حياة الرسول ﷺ ؟

كثيرة جداً ، بحيث إنها بمجموعها تشكل سلوكاً متناغماً لم يتعرض يوماً لنشاز ولم يضعف خفقانه حتى اللحظات الأخيرة ..

كثيرة جداً ، وإن أيَّة منها لكفيلة بأن تبلغ بالإنسان حافة النصب وتدفعه إلى طلب الراحة بشيء من التفلّت وبشيء من التساهل ، بنوع من عدم الاكتراث الذي قد يتطلبه الجسد والعقل والجملة العصبية بين حين وحين ...

ولكن رسول الله ﷺ أمضى ثلاثة وعشرين عاماً يواصل التزامه ليلاً ونهاراً .. لم يتساهل ولم يرتح لحظة واحدة .. يؤدي المطالب الصعبة ويضرب بسلوكه النبوي مثلاً للذين يعايشونه ، ولكل القادمين فيما بعد علَّهم ينفذون عُشر ما كان عليه الصلاة والسلام ينفِّذ ..

ومن يدري ، فلعلَّه ﷺ كان يجد راحته في هذا الكدح الطويل ويتحقق بالتوازن الصعب إزاء ربه الذي منحه الأمانة الثقيلة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها .. من يدري ؟

ولكن السؤال المتحدي يظل قائماً . نَقْذفُ به وجوه قوم يلتقي بهم المرء في كل زمن ومكان .. أولئك الذين يتسلى بهم الشيطان فيجعل متعتهم القصوى ممارسة الوساوس والشكوك .. هؤلاء هم المعنيُّون بالسؤال .. لماذا ؟ ولمن ؟ وعلامَ ؟ إن لم يكن هناك إله واحد يبعث نبيه للناس ، أكان محمد بن عبد الله يلتزم ممارسة هذا الجهد المضني على مدى عمره الذي قضاه قائداً وزعيماً ؟ حيث كان يتحتم بمنطق التشكيك نفسه أن ينهل من الطيبات وأن يستغل - وحاشاه - مركزه هذا لكي يسعد ويتنعم ويرتاح ؟ أكان يفرض - أساساً - هذه الصلاة الصعبة بين الصلوات على نفسه ؟!..

بلى إنها النبوَّة الحقَّة .. وإنها استشعار المسؤولية الكبيرة والاستعداد لتلقي القول الثقيل ، لكي يقود الناس ، في كل زمان ومكان ، إلى الصراط .. ■■

نتائج استطلاع الرأي

● طرحت « الأمـــة » ـ في بداية عامها الرابع ـ [العدد السابع والثلاثون] على الإخوة القراء استمارة لاستطلاع الرأي ، وطلبت إليهم استيفاء بياناتها ، للوقوف على آرائهم حول الكثير من القضايا والأفكار التي عالجتها « الأمـــة » في مسيرة السنوات الثلاث ، وذلك لتأكيد أهمية المشاركة ـ والشورى في أصل عقيدتنا الإسلامية ـ والتعرف على وجهات نظرهم كصورة للرأي العام الإسلامي حول قضايا محددة ، وتحقيق مساهمة هذا الرأي بترشيد العمل وتطويره للوصول إلى الأهداف التي نسعى إليها وتقديم معالجات أفضل ..

● وقد كانت استجابة الإخوة القراء ـ من خلال الرسائل والردود التي وصلتنا ـ معبرة عن تقدير جيد وفهم صحيح لأهمية فكرة « استطلاع الرأي » ـ التي سبقت « الأمـــة » إلى تطبيقها في محيط الصحافة الإسلامية ـ كما كان الوعي عميقاً بمضمون الأسئلة التي تضمنتها استمارة الاستطلاع ، ظهرت آثاره واضحة في كمية الإجابات وفي حسن تعاون الإخوة القراء واهتمامهم باستيفاء البيانات بدقة ، فجاءت جميع الاستمارات « صالحة » حسب التعبير الإحصائي ..

● وجاءت رسائل الاستطلاع ـ في مجموعها ـ ممثلة ـ إلى حد بعيد ـ لقطاعات القراء كافة ، من الجنسين ، ومن المستويات التعليمية والثقافية المختلفة ، ومن أعمار متباينة ، ومن بلدان تشمل معظم مناطق العالم التي يعيش فيها مسلمون بالقارات الخمس ، ابتداءً من الدول الإسلامية بحسب نسبة عدد السكان المسلمين فيها ، إلى الدول ذات الأقليات الإسلامية ، إضافة إلى مناطق يعيش فيها عدد محدود من المسلمين ..

● تناولت الأسئلة المطروحة في استمارة الاستطلاع ، موضوعات خاصة بالمطبوعتين اللتين تصدران عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، وهما : « مجلة الأمة » و « كتاب الأمة » .. وقد بلغ عدد الإخوة الذين اشتركوا في الاستطلاع « ١٢٧٠ » ، وصلتنا رسائلهم على مدى شهرين بعد العدد الذي نشرت فيه الاستمارة وإلى الآن لم ينقطع الإرسال ـ وجرى تسجيل النتائج منها جميعاً ـ دون اختيار نماذج أو عيِّنات ، لتكون التحليلات أقرب إلى الواقع .. وكانت النتائج بالنسبة للمطبوعتين ـ بسلبياتها وإيجابياتها على النحو التالي ـ بحسب ترتيب ورود الأسئلة باستمارة الاستطلاع :

■ أولاً : مجلـــة الأمـــة :

● نسبة عدد الرسائل الواردة من الجنسين ومن المؤسسات إلى مجموعها كما يلي :

□ ذكـــور ٩٦٫١٤٪

□ إنـــاث ٢٫٩٢ ٪

□ مؤسســات ٠٠٫٩٤٪

● المستويات التعليمية للمشتركين في الاستطلاع ـ حسب مؤهلاتهم :

□ مستوى جامعي ٥٨٫٢٧٪

□ مستوى متوسط وما دونه ٣٨٫١٩٪

□ دراسات عليا (ماجستير ودكتوراه) ٣٫٥٤ ٪

● البلدان التي وردت منها رسائل الاستطلاع ، بلغ عددها ٤١ بلداً ـ وكانت نسبة عدد الرسائل موزعة حسب القارات الخمس :

آســيا ٥١٫٠٥٪
اوروبــا ١٧٫٠٧٪
افريقيــا ٢٧٫٠٠٪

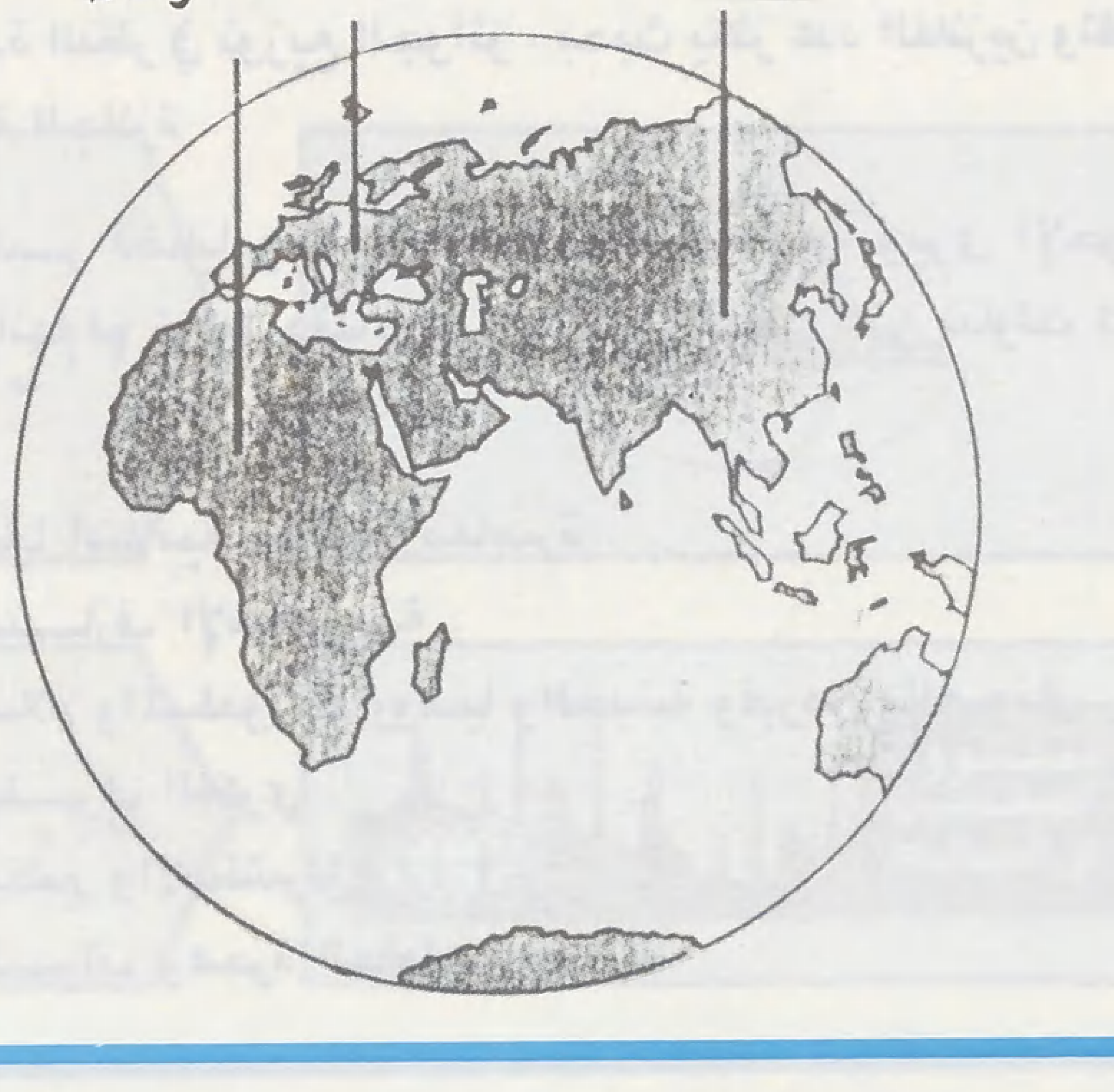

امريكـــا ٢٫٤٤ ٪
اســتراليا ٢٫٤٤ ٪

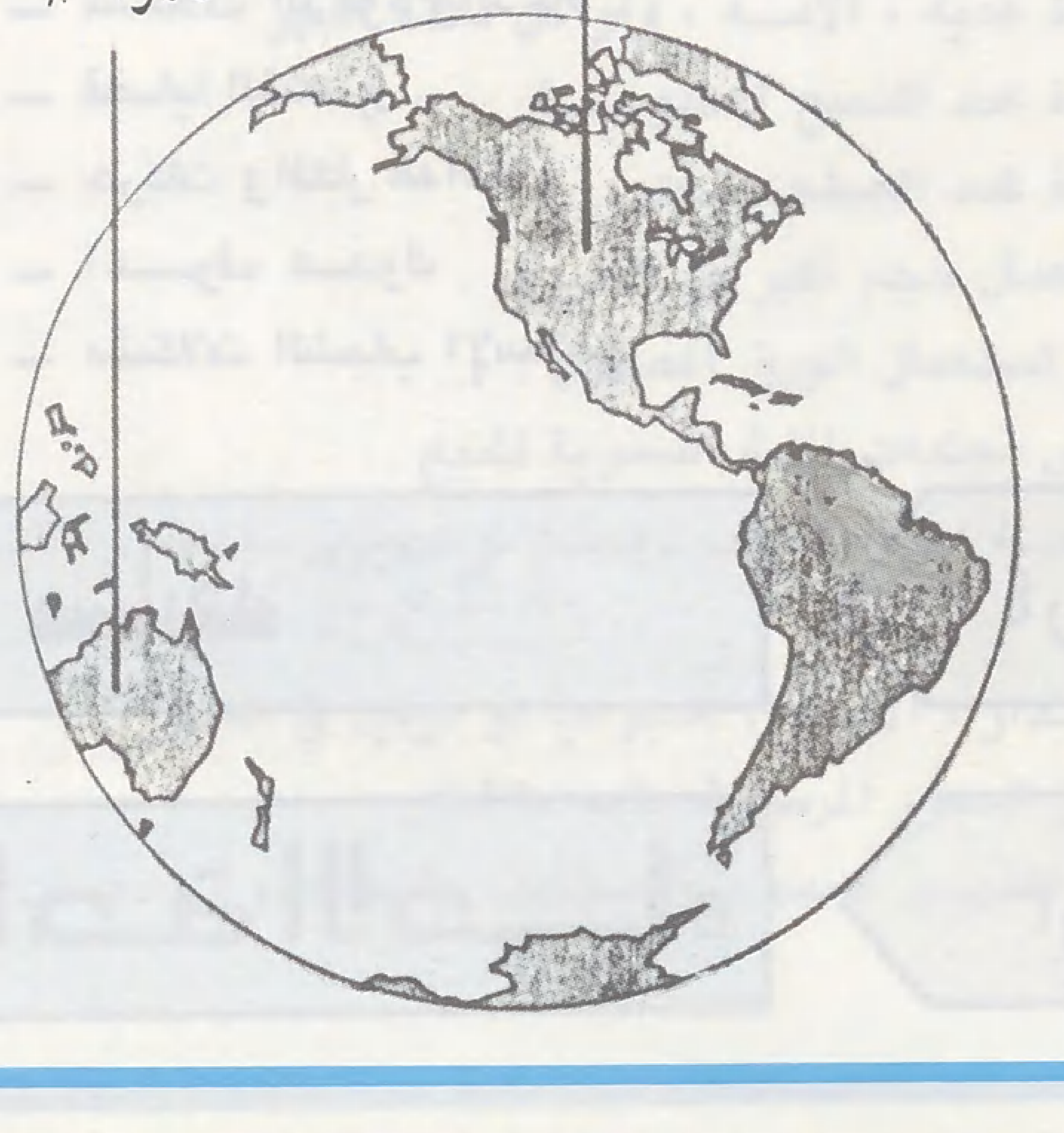

نتائج استطلاع الرأي

● البلدان الثلاثة التي وصلت منها أكبر نسبة من رسائل الاستطلاع - حسب الترتيب :

□ جمهورية مصر العربية ٥٥ر٥٠٪
□ المغرب ٥١ر١٥٪
□ تونس ٧٨ر١٠٪

● نسبة عدد البلدان التي وصلت منها الرسائل من حيث عدد السكان المسلمين في كل منها :

□ بلدان ذات أغلبية إسلامية ٨٥ر٦٥٪
□ بلدان ذات أقلية إسلامية ١٥ر٣٤٪

● كيفية حصول الإخوة القراء على أعداد « الأمة » ، حسب هذه النسب :

□ عن طريق الشراء المباشر ٤٤ر٨٢٪
□ عن طريق الاشتراك ١١ر١١٪
بوسائل أخرى ٤٥ر٦ ٪

● عدد الذين يشتركون في قراءة العدد الواحد من « الأمة » - في المتوسط - أربعة أشخاص .

● المجلات الأخرى التي يقرؤها الاخوة القراء بانتظام إلى جانب « الأمة » ، حسب نوعية هذه المجلات :

□ مجلات إسلامية ٣٥ر٥٤٪
□ مجلات عامة ٦٥ر٤٥٪

● ومن ناحية اللغة التي تطبع بها :

□ مجلات عربية ٤٨ر٩٣٪
□ مجلات انجليزية ٥٢ر٦ ٪

● متوسط عدد مقترحات الإخوة القراء بشأن إضافة أبواب جديدة .. النسبة [٣٢ اقتراحاً] :

● أهم عشرة أبواب مقترحة - على ضوء عدد الرسائل التي وردت بشأن كل منها - وحسب الموضوعات التي تعالجها أو الأسماء المقترحة لها :

- فتاوى معاصرة .
- تفسير القرآن الكريم .
- قضايا سياسية إسلامية .
- ملحق للأطفال .
- مشكلات الدعوة والدعاة .
- قضايا التنصير .
- حركات وأفكار هدامة .
- اعرف عدوك .
- مشكلات الشباب الإسلامي .

مسابقة الأمة	٤ر٢٪
واحة الأخاء	٣ر٢٪

● أبواب أو فقرات تنشر حالياً ، ولم تحقق الفائدة ، حسب النسبة المئوية لعدد الرسائل التي وردت بشأن كل منها :

خواطر.. وأفكار	٠٠ر٢٪
أصداء	٨ر١٪
التعبير بالصورة	٣ر١٪
مع الصحافة في العالم	٢ر١٪
مكتبة الأمة	١٪
بطاقة مرور قارئ	١٪

● أهم عشرة أفكار جديدة - لتطوير الأبواب الموجودة حالياً - حسب عدد الرسائل التي تناولت كلًا منها (يلاحظ أن بعض المقترحات قد جاءت بشأن تطوير المجلة بصفة عامة ولم تتناول أبواباً محددة) :

□ زيادة عدد الصفحات بصفة عامة .
□ زيادة عدد صفحات أبواب : شؤون المسلمين ، العلم والحياة ، باقلام القراء ، حديقة الأمة .
□ تبسيط أسئلة المسابقة .
□ تطوير باب الأسرة وإجراء لقاءات مع أخوات مجاهدات وإضافة صفحة أو صفحتين للطفل المسلم .
□ إفساح المجال للأقلام الشابة .
□ الاهتمام بالأدب والشعر الإسلامي والنقد والقصة الهادفة .
□ عدم زيادة صفحات الموضوع الواحد عن خمس صفحات في المتوسط .
□ الاهتمام بالخط العربي والفنون الإسلامية (العمارة والنقش والزخرفة) .
□ ترجمة بعض الموضوعات للغة الانجليزية أو الفرنسية .
□ إعادة النظر في توزيع الجوائز ، بحيث يكثر عدد الفائزين وتقل قيمة الجائزة .

● أهم عشر قضايا ومشكلات طرحتها « الأمة » ويرى الإخوة القراء أنها لم توفها حقها ، حسب عدد الرسائل التي تناولت كلاً منها :

□ قضايا إسلامية سياسية معاصرة .
□ المصارف الإسلامية .
□ الإسلام والمسلمون في روسيا والحبشة وقبرص والصومال .
□ التطرف الفكري .
□ التنصير والاستشراق .
□ اغتراب وهجرة العقول .

□ التربية والتعليم في العالم الإسلامي .
□ القضايا الاقتصادية المعاصرة .
□ الإعلام وعلاقته بقضايا المسلمين .
□ القضايا الفقهية المعاصرة .

● أهم عشر قضايا ومشكلات ـ يرى الإخوة القراء أن « الأمــة » لم تتعرض لها ، بحسب عدد الرسائل التي وردت بشأن كل منها :

□ اختلاف المسلمين المذهبي وأسبابه .
□ الفــرق الباطنيــة .
□ تحـديد النسـل .
□ التقريب بين المذاهب .
□ مشكلات الفقر ، والعمل والعمال .
□ الإعــلام الإسلامي ووسائل تطويره .
□ كيفية الاستفادة من ذبائح الهدي والأضحية وتوعية المسلمين بمناسك الحج .
□ قضايــا العالم الإسلامي الساخنة .
□ التصــــوف .

● قضايا « الشباب والأســرة » ـ التي يرى الإخوة القراء أنها موضوع معاناة ، ويجب طرحها ومناقشتها ، حسب ترتيب أهميتها في نظرهم طبقاً لعدد الرسائل التي تناولت كلاً منها :

□ الــــزواج .
□ عمــل المــرأة .
□ الاختلاط ومشكلاته .
□ الزواج بالأجنبيــات .
□ القضية الجنسية في العصر الحاضر .
□ التلفزيون والفيديو (المشكلات وطرق الاستفادة منها) .
□ حقوق الوالدين وبرهما .
□ وقت الفراغ وكيفية استغلاله .
□ اغتراب الشباب .
□ اللباس الشرعي للمرأة .

● رشَّح الإخوة القراء حوالي مائة من الكتّاب والمفكرين للمساهمة في « الأمــة » ـ إلا أن نسبة كبيرة منهم تساهم بالفعل ـ ويبدو أن الترشيح جاء على سبيل زيادة حجم المساهمة ، وهو أمر مطلوب من العلماء والمفكرين والكتّاب المسلمين كافة .

● الأبواب الثابتة التي يحرص الإخوة القراء على الاطلاع عليها وقراءتها بانتظام ، ونسبة عدد الرسائل التي وردت بشأن كل منها ، حسب الترتيب :

الباب	النسبة
كلمة الأمة	٪٨٤ر١٧
شؤون المسلمين في العالم	٪٨٣ر١٥
حديقة الأمة	٪٨٣ر٧
استطلاع	٪٦٥ر٥١
بطاقة مرقاريء	٪٦١ر٨١
بريد الأمّة	٪٦٠ر٨٧
الأسرة المسلمة	٪٦٠ر٣١
خواطر.. وأفكار	٪٥٧ر١٧
من ثمرات الفكر	٪٥٠ر٤٧
مكتبة الأمــة	٪٤٩ر٢١
أقلام شابة	٪٤٣ر١٥
مسابقة الأمّة	٪٢٩ر١٤

● وأخــيراً ، جاءت أهم عشر ملاحظات أوردها الإخوة القراء في استمارة استطلاع الرأي حسب ترتيب أهميتها على ضوء عدد الرسائل التي تناولت كلاً منها :

ـ إعادة هدية « الأمــة » ولو كل ثلاثة أشهر .
ـ زيادة عدد النسخ المطبوعــة .
ـ زيادة عدد الصفحــات .
ـ استعمال حجم أكبر من الحروف .
ـ عدم استعمال الورق المصقول .
ـ عرض مجلدات الأمة السنوية للبيع .
ـ ترجمــة لحياة الكتّاب بجانب موضوعاتهم المنشورة للتعريف بهم .
ـ إصــدار « الأمــة » أسبوعياً أو مرتين في الشهر .
ـ تقليل الصور المرسومة باليد ما أمكن .
ـ طبع الفهرس السنوي في صفحات منفصلة أو في صفحات يسهل نزعها ..

نتائج استطلاع الرأي

■ ثانياً : كتاب الأمـــة :

وجاءت نتائج استطلاع الرأي حول « كتـــاب الأمـــة » على النحو التالي :

● متابعة قراءة كل ما يصدر من سلسلة « كتاب الأمة » :

● نسبة عدد الإخوة الذين يتابعون القراءة بانتظام والذين لا يستطيعون المتابعة من مجموع الإجابات :

٦٤٪ يتابعون القراءة بانتظام .

٣٦٪ لا يستطيعون متابعة القراءة بانتظام .

● وبين الفئة الأخيرة ، توزعت أسباب عدم القدرة على المتابعة بالنسب الآتية :

٧٨٪ لا يستطيعون الحصول على كل ما يصدر بانتظام .

١٤٪ يعتبرون سعر الكتاب فوق قدرتهم المادية .

٨٪ أسبـــاب أخرى .

● متوسط عدد الذين يشتركون في قراءة نسخة واحدة من « كتاب الأمة » : [أربعة قراء]

● حجم الوقت الذي يخصص لقراءة الكتاب الواحد ـ تقريباً ـ

٧٢٪ يقرأون الكتاب في أقل من أسبوع .

٨٪ يقرأون الكتاب في أقل من أسبوعين .

٢٠٪ يستغرقون أكثر من أسبوعين ، وفترات غير محدودة .

● رأي الإخوة القراء حول دورية إصدار « كتاب الأمـــة » [كل ثلاثة أشهر] (مناسبة ـ أو غير مناسبة) موزعاً بالنسب حسب مجموع الرسائل كما يلي :

٦٧٪ يرون أنها مناسبـــة .

٣٣٪ يرون أنها غير مناسبة .

● وبين الفئة الأخيرة توزعت المقترحات الخاصة بدورية جديدة للإصدار حسب النسب الآتية :

٣٦٪ شهريـــاً .

٨٪ كل شهرين .

٤٦٪ (أقل من شهر) ـ في أقرب فرصة ممكنة .

● حجم الكتاب ، على ضوء القضايا التي يعالجها :

٨٤٪ يرون أن الحجم مناســب .

٩٪ يرون أن الحجم صغير .

٧٪ يرون أن الحجم كبير .

● طبيعة الموضوعات التي يعالجها « كتاب الأمة » :

٥٧٪ يرون أنها هامـــة .

٢٧٪ يرون أنها مناسبـــة .

١٦٪ يرون أنها عاديـــة .

● القضايا الهامة التي يرى الإخوة القراء معالجتها في الوقت الحاضر ضمن سلسلة « كتاب الأمة » ـ حسب ترتيب أهميتها النسبية :

٣٥٪ مشكلات الشباب وقضايا الأسرة والمرأة .

٢٢٪ القضايا الإسلامية المعاصرة .

١٦٪ منهج العمل الإسلامي المعاصر .

١١٪ الاستشراق والحركات الهدامة .

١٠٪ المشكلات والقضايا الاقتصادية المعاصرة .

٦٪ نشاطات التنصيـــــر .

● الملاحظات العامة ـ حسب أهميتها ـ على ضوء عدد الرسائل التي وردت بشأن كل منها :

* زيادة عدد النسخ المطروحة في الأسواق .
* فتح باب الاشتراك في « كتاب الأمة » كدورية منتظمة الصدور .
* إعادة طبع العددين الأول والثاني من الكتاب .
* مراعاة طرح الكتاب في جميع المناطق وعدم الاقتصار على توزيعه في المدن الكبرى .
* تبني خطوة لطبع بعض أمهات الكتب القديمة ضمن السلسلة .
* تخفيض سعر الكتاب (خاصة في مصر والمغرب) .

● هذا ونود أن نؤكد أن جميع النتائج والملاحظات التي أسفر عنها « استطلاع الرأي » سوف تخضع للدراسة والتحليل ، وسيتم إعداد خطة عمل قصيرة الأجل وأخرى طويلة الأجل على ضوء هذه الدراســة لوضع النتائج موضع التنفيذ ، حسب الإمكانات العملية المتاحة وظروف العمل ـ وحتى يتم ذلك ، نأمل أن نتلقى من الإخوة القراء تعليقاتهم على نتائج « استطلاع الرأي » .

بريد الأمة

●● ونحن ننشر في هذا العدد حصيلة « استطلاع الرأي » الذي طرحناه على الإخوة القراء في العدد السابع والثلاثين [الأول من السنة الرابعة] لا يعني ذلك الاقتصار على ما ورد ، فحاجتنا دائمة متجددة لإغناء العمل بالشورىٰ ... ورسائل الإخوة القراء هي الوعاء الحقيقي لممارسة هذه الشورىٰ والمناصحة والنقد والتصويب ، وسوف تبقى « الاستطلاع » الدائم المستمر ، وسنعمل جاهدين لتلبية ما تسمح به إمكاناتنا من مقترحات الإخوة القراء وآرائهم ... والله من وراء القصد ، وهو الموفق للصواب .. ●●

رسالة ..

■■ منذ أن بدأ الحديث عن تطبيق الشريعة الإسلامية وضرورته لتوفير الأمن والاستقرار ، انطلقت أصوات وتصدت أقلام عديدة ، تثر أصحابها بدثار المعرفة ، تكذِّب وتشكِّك وتطعن بصلاحية الشريعة ومقدرتها على إيجاد حلول للمشكلات المستجدة ... وأصوات وأقلام كثيرة تتصدىٰ لهذا البهتان ، هاتكة أستاره ، مبينة غاياته ومصادر تلقيه ...

وفي هذا الإطار تصلنا يومياً رسائل عديدة تبعث على الاطمئنان لثقة المسلم بإسلامه واعتقاده بصلاحية تشريعاته ... من هذه الرسائل : رسالة الأخ الطاهر محمد يس (مصر) التي جاء فيها :

[... أن يتجادل بعض المسلمين ويتحاوروا حول كيفية تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، فذلك أمر مطلوب ولا غبار عليه ، بشرط أن يكون المنطلق إسلامياً ، والنهج علمياً ، والغاية واضحة ، وفي حدود ما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع .. ولكن أن يستنكر بعضهم أو يكذب ويفسر الوقائع والشواهد على هواه فهذا ما نرفضه ..

لقد عجبت من الذين يستنكرون قطع يد السارق ، كما أمر بذلك الله عز وجل ورسوله ﷺ ، بينما صمَّت آذانهم وبكمت أفواههم وجفت أقلامهم ، فلم يروا بأساً في القانون الوضعي الذي يقر عقوبة الإعدام .. عجبت ، كيف سكتوا عن عقوبة الإعدام في القانون الوضعي ، وتهجموا على من يريد أن يطبق شرع الله على من سرق دون وجود ما يدعوه للسرقة ؟ .. وإذا كانوا يعللون استنكارهم لحدّ السرقة بأن القطع عملية وحشية وغير إنسانية ، فأيهما أكثر وحشية : قطع جزء أو بتر الكل ؟

ولكن ، فات هؤلاء أن يفرقوا بين مفهوم العقوبة في الإسلام ومفهومها في الشرائع الوضعية .. ولقد أعجبني ما كتبه بعض الإخوة حول نظرة الإسلام من العقوبة .. وأنها تقوم على « **الردع** » لا على « **الانتقام** » ولا التنكيل بالجاني .. وأن الإسلام بفكرة « **الردع** » يحمي الضحايا ، ويحمي المجرم المحتمل بأن يردعه عن الجريمة عندما يرى العقاب الرادع والعاجل ينزل بالمتهم .. (**أما في الحضارة المادية الغربية فإن العقوبة تنطلق من فكرة « الانتقام » من الجاني ولذلك كان التعذيب الوحشي والتفنن في التنكيل به**) ...

وإمعاناً في الاستنكار والإنكار ، عمد هؤلاء في الوقت نفسه للتشكيك في الصحابة رضوان الله عليهم ، وفي صدقهم وصحة ما وصلنا عنهم ... ويرحم الله « **عبد الله بن مسعود** » رضي الله عنه فهو القائل :

(**من كان متأسياً فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه .. فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم**) ..

إن من يطعن في الصحابة ، فهو دون شك يسير على غير طريق الهدىٰ الذي كانوا عليه ، ولو أعلن بمناسبة وبغير مناسبة أنه إسلامي التفكير والانتماء .. كما لا يعقل أن نصدق ادعاء من يُنكر أمراً معروفاً من الدين بالضرورة ويستهجن حدّاً من حدود الله نصّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف والخلف وأكد الواقع جدواه وفعاليته ، بأنه مسلم .. بل مفكر مسلم !

نريد من هؤلاء أن يكونوا صادقين مع أنفسهم قبل الآخرين ، وأكثر وضوحاً مع قرائهم وشهود محاضراتهم .. وما الذي يمنعهم من أن يميطوا اللثام عن وجوههم ، ويعلنوا صراحة عن هويتهم وأغراضهم ، بل عن عدم اقتناعهم بالإسلام جملة وتفصيلاً ؟ .. إن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ .. وإن القضية بالنسبة إلينا قضية إيمان واعتقاد .. قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ (**الأحزاب : ٣٦**) .

●● **وحول المعنى نفسه ، كتب الأخ محمد أبو بكر عمر (مصر) رسالته بأسلوب من غمَّ عليه الأمر وتملكته الحيرة فهو يقول :**

[... ماذا تعني حملات التشكيك في صحابة رسول الله ﷺ وفي أعمدة النهضة الفكرية الحديثة ؟ فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما مغتصبان !.. الأفغاني ومحمد عبده جاسوسان ماسونيان ! سيد قطب مبتدع ! الشعراوي لا يجوز أخذ العلم عنه لأنه سبق أن أحل الربا ثم حرَّمه ! وغير ذلك كثير ...

ومن ناحية أخرى تتضارب الفتاوىٰ حول بعض الأحكام الفقهية التي لا تعد من أصل العقيدة والدين .. والأمثلة على ذلك كثيرة ولا تكاد تحصى .. أليس من الأفضل والأنفع أن تتحد الفئتان وتتصديا لحملات التشكيك وللسوس الذي ينخر في كيان الأمة ومكوناتها الأساسية ؟

إن حملات التشكيك تمزقنا .. وتضارب الفتاوىٰ يزعزع ثقتنا بهؤلاء وأولٰئك ويوصلنا إلى حالة من الضياع فلا نعرف الحق من الباطل ولا الحقيقة من الزيف ..

إننا نهيب « **بالأمة** » أن تعمل في اتجاهين :

الأول : تكوين لجنة من العلماء والمفكرين المسلمين لصدِّ حملات التشكيك بطريقة جماعية منظمة ..

الثاني : التأكيد على أن الأمور التي لا تمس جوهر العقيدة ، لنا أن نتفق حولها أو نختلف دون أن يكون في ذلك ما يضر بوحدة المسلمين أو يشغلهم عن الأخطار الحقيقية التي تحيط بهم .. ■■

مقترحات

● حول سلسلة « كتاب الأمة » وما تعرض له ، وردت عدة مقترحات ..

● من المغرب يقترح الأخ ح . نور الدين أن تبحث كتب « الأمة » القادمة الموضوعات التالية :

١ ـ النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدولة إسلامية معاصرة .

٢ ـ المرأة المسلمة ودورها في تاسيس الدولة المسلمة .

٣ ـ الأحزاب السياسية وموقف الإسلام منها ؟

٤ ـ أجهزة الاستخبارات والتجسس ورأي الشرع فيها ؟

● أما الأخ أحمد محمد أحمد (مصر) فيقترح :

[أن يعالج أحد كتب الأمة قضية التنصير وأساليبه المباشرة وغير المباشرة .. وأن يتناول كتاب آخر : الحروب الصليبية الحديثة ، معاركها ووسائلها .. وأن يصدر كتاب ثالث عن العربية الفصحى ، وكيف يمكن أن تقف في وجه العامية ودعاتها ؟]

● ومن (مصر) أيضاً ، يرى الأخ جمال السيد أحمد :

أنه : [إن لم يكن بالإمكان إصدار ملحق شهري خاص بالطفل ، فلماذا لا يكون أحد كتب « الأمة » موجهاً للطفل المسلم بصفة خاصة ؟ على أن يتضمن : تفسيراً مبسطاً لبعض آيات القرآن الكريم ، وأحداثاً من السيرة والتاريخ الإسلامي .. وغير ذلك من الموضوعات التي تساعد في إعداده إعداداً سليماً .

● ومن ناحية أخرى ، يقترح الأخ مسعود عبد المطلب (مصر) أن تنشر « الأمة » في عددها الذي يصادف إصداره تاريخ طرح كتاب جديد ، تلخيصاً لمحتوياته وما تضمنه .. ونبذة عن الكاتب وذلك حتى يستفيد منها كل من لا يوفق لاقتناء الكتاب ..

● ويطلب الأخ سعيد يوسف مصطفى (مصر) ، عند التحدث عن يهود أن لا نطلق عليهم اسم « الاسرائيليون » وذلك [حتى لا يختلط الأمر على القارىء بين « إسرائيل » نبي الله وبين من حرَّف رسالته ورسالة النبيين من بعده] .. كما يطلب ألَّا يطلق إعلامنا على كيانهم الحالي اسم « دولة » [حتى لا يكون في ذلك اعتراف ضمني باغتصابهم للأرض الإسلامية] ..

● ويقترح الأخ أحمد محمد عبد الحي شحاتة (مصر) إفراد صفحات شهرية لفتى أو فتاة أسلمت حديثاً وذلك لمعرفة الإيجابيات التي دفعته لاعتناق الإسلام ، فقد يكون في نشرها ما يعين الدعاة إلى الله في انتهاج وسائل أكثر فعالية ..

● ومن السعودية أرسل الأخ إبراهيم احمد الرشيدي يقترح :

[إنشاء « مؤسسة معلومات إسلامية » تهتم بتحقيق وتنقية ما هو مخطوط من التراث الإسلامي وترجمة الكتابات الفكرية العالمية ونشرها .. على أن يُلحق بها أجهزة « مايكروفيلم » لتخزين المعلومات والمعارف باللغة العربية والانجليزية مع ضرورة وجود « عقل آلي » لمساعدة الباحثين المسلمين للاستفادة من هذه المعلومات وتوظيفها لخدمة غايات الأمة الإسلامية ..] .

أصداء

●● باب « الأسرة المسلمة » ، من الأبواب التي تكثر حولها رسائل الإخوة القراء .. فبينما يرى بعضهم انه لم يف بالغرض المطلوب ، يرى آخرون أن ما ينشر فيه مساهمة جادة لسدِّ ثغرة طالما اوتينا من قِبلها :

● ومن مصر كتب الأخ جلال السعيد الحناوي :

[... باب « الأسرة المسلمة » من الأبواب التي أحبُّ قراءتها .. وقد سرني ما كتبته الأخت « أم حسَّان الحلو » تحت عنوان « زيارات وذكريات بين الجارات » خاصة الحلقة الثانية « مولود الفطرة » [العدد ٤١] فحمدت الله أن في أمتنا مثل هذا الأنموذج للمرأة الصالحة التي تربي أولادها على الخير .. وأعتقد أن الحوار وما تضمنه جدير بأن يكون أنموذجاً يحتذىٰ] .

● ومن المدرسة العزيزية ، إحياء العلوم بـ « بنغلاديش » يقول الأخ فقير عبد الحق عميد النادي العربي ، في رسالته المطولة :

[... ومما أثار انتباهي في العدد الثاني والأربعين ما جاء في باب « الأسرة المسلمة » حول « سمات المرأة الصالحة » ، حيث استطاعت الكاتبة أن تبرز الفكرة الإسلامية بأسلوب رائع مؤكدة على المقولة الصادقة : إذا علَّمت رجلاً علَّمت فرداً وإذا علَّمت امرأة فقد علَّمت أسرة ... وأن الخلق الحسن في المرأة مرغوب ومطلوب كالرجل إن لم نقل أكثر لأنها مناط العفاف والشرف والكرامة] ..

● حظيت قصيدة الشاعر البنغالي « نذر الإسلام » [إلى المدينة المنورة] التي نشرت بالعدد التاسع والثلاثين باهتمام جماعة من روّاد « بريد الأمة » .. من أولئك ، الأخ علي اغا محمد شفيق [مصر] الذي لاحظ [ان الشاعر ـ وكذا المترجم ـ نسب اسم « طه » إلى النبي ﷺ .. وهو ليس من اسمائه] .. واستند الأخ علي على بعض التفاسير وأقوال العلماء .. نذكر منها :

١ ـ ورد في فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « لي خمسة أسماء : انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب » .

٢ ـ وفي تفسير « ابن كثير » : روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي أنهم قالوا : يا طه بمعنى يا رجل ..

٣ ـ جاء في « الشفاء » للقاضي عياض أن النبي ﷺ كان إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله ﴿ طٰه ﴾ يعني : طأ الأرض يا محمد ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ .

٤ ـ وجاء في « اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » للشيخ الشنقيطي قوله : أظهر الأقوال فيه ـ أي في طه ـ عندي ، أنَّه من الحروف المقطعة في أوائل السور .

٥ ـ وقالوا : هي لغة بني عك بن عدنان وبني طيء وبني عكل .. قالوا : لو قلت لرجل من بني عك : يا رجل .. لم يفهم انك تناديه حتى تقول : طه ..] .

●● نشكر للأخ علي جهده وبحثه ونرجو الله أن ينفع به وبملاحظاته ..

ردود خاصة

●● نشكر الأخ أسامة عبد الحميد (مصر) على تجاوبه مع ما نشر حول التبشير في العالم الإسلامي [العدد ٤١] وتبرعه الكريم لتحقيق شعار [ادفع دولاراً تنقذ مسلماً] .. وقد سُئلنا من أكثر من جهة عن المشروع الذي أعلن عنه الدكتور يوسف القرضاوي . ونحب أن يعلم الإخوة : أن الدراسات لم تكتمل بعد وأن لجنة تحضيرية تعمل لإعداد الكيان الخاص بالمشروع من الناحية القانونية .. وتتوقع اللجنة أن تحصل - قريباً - على موافقة السلطات في دولة الكويت التي غالباً ما تكون المقر ..

■ الأخ أ . م (تونس) ..

●● اتفق العلماء على أن الذي يُقيم الحدود هو ولي الأمر الذي يحكم بالإسلام أو من يُنيبه من القضاة وغيرهم .. وإذا لم تتوفر الدولة المسلمة والحاكم المسلم ، فليس أمام من ارتكب أمراً يوجب الحدّ إلَّا التوبة النصوح التي من شروطها : الندم على ما فات ، والعزم على عدم العودة وردّ الحقوق إلى أهلها - إن كان مالاً أو نحوه - مع الإكثار من الاستغفار والأعمال الصالحات والاجتهاد في العبادة ..

■ الأخ عمر محمد الحداد (السعودية) والإخوة الذين يكتبون مستفسرين حول إمكانية الاشتراك في « كتاب الأمة » ..

●● الفكرة جيِّدة وتجري دراستها ونأمل - لحين تنفيذها - أن نوفق في زيادة الكمية التي تطبع لنلبي طلبات أكبر عدد ممكن من القراء ..

●● وبهذه المناسبة نلفت انتباه الإخوة : محمد منصور عمر (اليمن) ، عبد الدايم أحمد سيد وسمير جبل (مصر) إلى أن « كتاب الأمة » السادس صدر في مطلع جمادى الآخرة وأرسل إلى موزعي المجلة على امتداد العالم الإسلامي .. ونأسف لكل من لم يوفق في الحصول عليه .. ونسأل الله أن نوفق لإعادة طباعته .. وسوف ندفع إلى السوق - قريباً - طبعة جديدة من كتابي « الأمة » الرابع والخامس ..

واحة الأخاء

○ في ظلال « الواحة » التقت رسائل الإخوة القراء من أنحاء شتى في العالم الإسلامي حول « الأمة » وما ينشر فيها ..

○ فمن (ساحل العاج) أعرب الأخ لاسين تور عن مدى سروره وفرحته في مطلع كل شهر عربي تصدر فيه « الأمة » وقطع على نفسه عهداً بأن يوافيها بما يفتح الله عليه من أخبار ومعلومات وصور ..

○ وأكد الأخ محمد حمو جمعة (الكاميرون) أن « الأمة » [أصبحت إحدى الوسائل الفكرية المستخدمة في مواجهة أعداء الفكر الإسلامي] .

○ وشاركه الرأي كل من الإخوة :

● جمال إبراهيم داود البلوشي (عُمَان) .

● ف . ب (تونس) .

● وعبد العزيز عمر هارون (غانا) .

○ وقال الأخ بلال أبو عائشة (إيران) في رسالته :

[... عندما أطالع « الأمة » أحس وكأنها تخاطب المسلمين قائلة : هيًا ، شمروا عن سواعدكم فقد آن الأوان ليقول المسلم كلمته ... هي نسخة واحدة ، تصل إلى أحد الإخوة في بلدة تبعد عن بلدتنا ثلاث عشرة ساعة - بحساب الزمن - ثم يبعث بها إلينا ليتداولها أربعون شاباً فيما بينهم ، كل يحرص على قراءتها قبل الآخرين .. فهل نطمع في مزيد من النسخ ؟] ..

○ ومن (المغرب) شاركهم الأخ عمَّار محمد بقوله :

[... لست مبالغاً إذا قلت : إن سكان القرى النائية يوصون الذاهب إلى المدينة بأن يعود إليهم بنسخ من مجلة « الأمة » .. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن « الأمة » صارت غذاءً فكرياً لا غنى للمسلم - أينما كان - عنه] ..

○ أمَّا مساهمة الأخ موفق محمود خير الله (الإمارات العربية المتحدة) فقد كانت نظماً من مجزوء بحر الكامل :

وَمَجَلَّةٍ بِـالصِّـدْقِ جَـا ءَت مِنْ صَميمِ الصَّحْـوَةِ
شَمْسـاً تَـراهـا أَشْـرَقَتْ لِتُنيـرَ دَرْبَ الـدَّعْـوَةِ
أَكْـرِمْ بِهـا .. وَبِفِكْـرِهـا فَهْـوَ السَّبيـلُ لِأُمَّتي
أَنـا لَا أُطيقُ فِـرَاقَهـا فَهْيَ الأَنيسُ بِـوِحْـدَتِي
مَنْ بَعْـدِ قُـرْآنٍ كَـرِيـ......ـمٍ قَـدْ أَنـارَ وَسُنَّـةِ

○ للتأكيد على « معنى الدين في حياة الفرد والمجتمع » كتب الأخ هشام محمد عبد المنعم (مصر) :

ما أحســن ما نظم الشـاعـر :

لَعَمرُ اللَّـهِ مـا الإنسانُ إلَّا بـدينـه فَلا تَترِكِ التَّقـوىٰ اتِّكالاً على النَّسَبِ
لَقَـد رَفَـعَ الإسـلامُ سلمانَ فـارسـاً وَقَـد وضع الشِّـرْكُ النَّسيب أبا لهبِ

وما أصدق قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٦) ..

إن سعادة الأمة - على مستوى الفرد والمجتمع - مشروطة بالإيمان والتقوىٰ ، بهما تعلو وتسمو وتتقدم الأمم وبدونهما تذل وتشقى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (طه : ١٢٤) .

وَإذا الإيمانُ ضـاعَ فَـلا أَمـانَ وَلا دُنْيـا لِمَن لَم يُحْيِ دِينـاً
وَمَنْ رَضِيَ الحَيـاةَ بِغَيْـرِ دِينٍ فَقَـدْ رَضِيَ الفَنـاءَ لَـهُ قَرينـاً

بأقلام القراء

[بُشْـــرى]

بُشْرىٰ لِقَوْمي فَإِنَّ الصُّبْحَ قَدْ بَلَجَا
فَأَدْبَــرَ اللَّيْلُ مَهْزُوماً وَمُخْتَلِجاً
مَا كَانَ يَنْفَعُـــهُ قَـوْلٌ يُدَبِّجُهُ
قَدْ أَبْطَلَ النُّورُ في لألائِه الحُجَجا
« هي الأمُورُ كَمَا شَاهدتها دولٌ »
واللَّهُ يُعْقِبُ بَعْدَ الغُمَّةِ الفَرَجا
بُشْـرىٰ لِقَوْمِي فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُنَا
واللَّهُ يَحْفَظُ مَنْ دَرْبَ الهُدىٰ انْتَهَجا
كَحَدِّ سَـيْفٍ هُو الإسلام مَنْهَجُنَا
مَا يَجْعَـلُ اللَّهُ في إسْلامِنَا عِوَجَا
كُلُّ الدروبِ سوىٰ الإسلامِ قاصِرَةٌ
لاَ نَرْتَضِي غَـيْرَ دِينِ اللَّهِ مُنْتَهَجَا
نفسي تَكـادُ علىٰ بُعدٍ يُطالِعُهَا
عِطْـرُ الجِنَانِ وَتَلْقَىٰ دُونَهَا الأرَجَا
حُبُّ الشَّهَـادَةِ يَامَنْ كُنْتَ سائِلَنَا
غَزَا لَعَمْـرُكَ مِنَّا القَلْبَ والمُهَجَا
مَنْ كَانَ تُلْهِيـهِ دُنْيا عَنْ مَجَاهَدَةٍ
فَإِنَّ قَلْبِي بِحُبِّ الجَنَّــةِ اعْتَلَجَا

محمود خليل رشيد محمد [الأردن]

[ما بـــال أقـــوام يكفـرون أقوامـــاً !!]

[أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه رحمة للعالمين .. والرحمة هنا بمعنى اللين والرفق .. والعالمين : جميع أجناس البشر ، وهكذا تكون الدعوة لله بالرفق واللين لا بالقسوة والعنف .. ولم يمنحنا الله علم الغيب ، بمعنى أن إنساناً قد يكون عاصياً في هذه اللحظة ثم يتوب فيتوب الله عليه ويغفر له .

ولقد رأينا « خالد بن الوليد » الذي قاتل المسلمين في(أحد) وكان من الد الأعداء ، عندما أسلم أصبح سيف الله .. ولو أننا حكمنا على « خالد » في غزوة أحد بانه كافر وملحد ولن تقبل له توبة لكنا من المخطئين ..

ولعل في هذا درساً للمسلم ألاَّ يتسرع في إصدار احكامه على الآخرين وتوجيهاً بعدم التصدي للناس بالقوة مما يخرج الدين عن مفهومه ، وهو عبادة الله طواعية واختياراً لا كرهاً ، فالله تعالى لو شاء لجعلنا جميعاً كالملائكة ..

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة جمعيات وجماعات تدعي الإسلام لنفسها فقط وتنفيه عن غيرها وتقول :

إنه لم يعد للإسلام دار في الأرض .. وأن المجتمع الذي نعيش فيه : جاهل .. وكافر ..

ولا ندري كيف يحكمون على بلد أهله يقيمون الصلاة .. ويؤدون الزكاة .. ويحجون ويصومون ويقيمون الشعائر .. أنه بلد غير مسلم ؟ .. هلاّ شققنا عن صدورهم ؟!

لقد كان الرسول ﷺ على خلق عظيم فكان لا يكفر إنساناً قال « اشهد ان لا إلـه إلَّا الله » ..ولم يكن يحكم على فرد يصلي أنه غير مسلم .. ولم يكن يتهم احداً .. بل حتى إذا رأى ما ينكره على أحد من الناس قال : « ما بال أقوام يفعلون كذا .. وكذا .. » حتى لا يجرح احداً .

والخلق الكريم يعني أول ما يعني عدم اتهام الناس بالباطل وعدم إيذائهم بالقول .. وكل إنسان حسابه على الله تعالى ..]

بهـاء لطفي عبد المجيد قابيل [مصـــر]

خدمـــة الإســـلام ...

[... علينا أن نخدم الإسلام بإعطاء المثل الطيب ، وتقديم الأسوة الحسنة ... لا نريد أن يكون الإسلام حبيساً في المساجد ولا ان يبقى دفيناً في بطون الكتب ، ولا ان يظل محفوظاً في صدور الوعّاظ والمرشدين .. نريد أن نراه في متاجرنا وأسواقنا ميزاناً وافياً ، وقولاً صادقاً ، ويميناً بارّة ، وسلعاً غير مغشوشة .. نريد أن نجده في مصانعنا عملاً متقناً وبضاعة جيّدة .. نريد أن نسمعه في مكاتبنا وإداراتنا كلمات طيبة ووعوداً صادقة .. ذلك هو الإسلام الحق الذي نريد أن يسود بلادنا ، وذلك هو الدين القيِّم الذي نودُّ أن يتمســك به كل مسلم حتى نعود كما كنا « خير أمَّـة أخرجت للنـــاس »] .

الحبيب بوعجاجـة [تونس]

[نصـيب الدنيـا]

[إن الدين الإسلامي ينكر على الإنسان منا أن يجعل الدنيا أكبر همه وأن يركز قواه العقلية في خدمة نفسه دون غيره من الناس فلا يعطف على الفقراء والمحتاجين . بل يكون هناك طغيان وتفاخر بالمال مما يغرس في النفوس الشح وينمي فيها عوامل البغضاء والأثرة وحب الذات .. وإننا إذا نظرنا بتدبر في القرآن الكريم ، في الآيات التي تحدثت عن الذين تعلقوا بالدنيا وتشبثوا بها وقطعوا صلتهم بالدار الآخرة وتكالبوا على جمع المال ، تبين لنا أن التكالب على الدنيا من دلائل التكذيب بيوم القيامة .

وقص علينا القرآن الكريم قصة صاحب الجنتين ، وكيف أنه افتخر على صاحبه .. وما أصابه في الدنيا من الحسرة والندامة ، والآخرة أشد عذاباً وأبقى .. يقول الحق في محكم التنزيل ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ (الكهف : ٣٤ ـ ٣٦) ماذا كانت النتيجة ؟

النتيجة ذكرها المولى سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـا لَيْتَنِي لَمْ أُشْـرِكْ بِـرَبِّي أَحَـداً ﴾ (الكهف : ٤٢) .

إنها نماذج حيَّة وعظة لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد .. وكقصة قارون ، ذلك الرجل الذي أنعم الله عليه بمال وفير تعجز الجماعة القوية على حمل مفاتيح خزائنه فمنع حق الله وحق الفقراء وطغى وبغى وعاث في الأرض فساداً فكانت عاقبته كما وضحها القرآن الكريم : ﴿ فَخَسَفْنَا بِـهِ وَبِـدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ صدق الله العظيم .. وأصبح قارون حكاية من حكايات الزمان .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد قص علينا هذه القصص في القرآن الكريم للعظة فهل معنى ذلك أن يترك الإنسان الدنيا ويركلها بقدمه ؟.. كلا ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَـكَ مِنَ الـدُّنْيَـا ... ﴾ (القصص : ٧٧) ولكن ، بقدر .

مصطفى عبد الظاهر أبوعمرة [مصر]

الأســس الأيديولوجيــة للاقتصــاد الإســلامي

ترجمة : عبد الرحمن يسن المبارك

■ تمر المفاهيم الاقتصادية في العالم الحديث بتغييرات كبيرة - فالبنْيَة الزراعية والتجارية والصناعية ، وعلاقات النقد الدولي اتخذت اشكالاً معقدة وافرزت مشكلات اقتصادية جديدة ، فالأنظمة الاقتصادية الحالية قصرت عن إفادة قطاع كبير من المجتمع الإنساني ، وذلك لانها تعمل ضمن إطار فرضيات معينة تتلاءم مع النظم الاقتصادية المتقدمة والتي هي بعيدة عن واقع البلاد النامية ، واية محاولة غير واعية لتطبيق تلك النظريات على البلاد النامية تؤدي إلى تعقيد المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بدلاً من حلها . مثلاً - نظرية الاستخدام العامة - التي هي من اشهر اعمال كينز - اقتصرت على معالجة مشكلة العطالة في البلاد المتقدمة وبالتالي لم تقدم تحليلاً شمولياً لأسباب هذه الظاهرة في ظروف وبيئات اخرى ؛ كما لم ترسم اية مؤشرات عن كيفية معالجة مشكلة العطالة وتوفير فرص العمل في المجتمعات النامية ■

السلوك البشري

يستمد علم الاقتصاد الحديث نتائج منطقية من دراسته لأنماط السلوك البشري والتي عليها يقوم بناء نظرياته ومبادئه ، ثم يتدرج من حالات مبسطة إلى نماذج معقدة لإجراء تجاربه على ضوء المعلومات المتاحة للوصول إلى معدلات حسابية تحل محل التعميمات الإنشائية . فإذا كانت المعلومات المستخدمة غير صحيحة فإن النتيجة تكون خاطئة ومضللة .

إن جوانب الحياة الاقتصادية في البلاد النامية والإسلامية خاصة قابلة للتفاعل العضوي مع الجوانب الاجتماعية - الدينية ، ومن ثم يقتضي ذلك إخضاع النظريات الاقتصادية المجردة وتكييفها لواقع البلاد النامية وإلا كان فشلها مؤكداً مما قد يترتب عليه صراعات واضطرابات اجتماعية .

معلومات مضللة

في البلاد النامية هناك صعوبة وندرة في الحصول على معلومات صحيحة عن الماضي والحاضر ، مما يشكل عقبة كبيرة في تكييف النظريات الاقتصادية للواقع وتطبيقها .

هل يوجد دراسات اقتصادية إسلامية ؟!

ويرى بعضهم انه لا توجد دراسات اقتصادية إسلامية . فإن وجدت فإن المبادىء المتفق عليها والقابلة للتطبيق العملي قليلة جداً ودراستها تحتاج إلى عالم او خبير . هذا غير صحيح ، والصحيح ان في الإسلام مبادىء متفق عليها تنير جوانب العمليات الاقتصادية في مختلف الظروف والبيئات . ومن وراء ذلك توجد مذاهب مختلفة ، وفي إطار هذه البنية الشمولية للنظام الإسلامي تملك المجتمعات الإسلامية السيادة في استنباط الاحكام الشرعية لكل مايستجد في حياتها من وقائع وحوادث طبقاً لمتطلبات الظروف .

إن دراسة الاقتصاد الإسلامي لم تحظ بالاعتراف بها كعلم اكاديمي في جامعات البلاد الإسلامية وبدون فتح حوار نشط بين تلك الجامعات يفقد هذا الفكر فاعليته ويتقوقع داخل ايدولوجيته . هذا وقد انشات باكستان المعهد الدولي لدراسة الاقتصاد الإسلامي بالجامعة الإسلامية والذي ننتظر مساهمته في إيجاد الحلول للمشكلات الاقتصادية التي تؤرق الأمة الإسلامية ..

اقتصــاد هــادف ..

إن علم الاقتصاد الإسلامي لا يلتفت إلى تعريف ماهو الاقتصاد بل يهتم بما ينبغي ان يكون عليه الواقع الامثل ، ويتضمن هذا الاتجاه الاخذ في الاعتبار القيم الاخلاقية والاجتماعية والعوامل غير الاقتصادية عامة . فالسياسة الاقتصادية يجب ان تتحاشى الاصطدام بجوهر المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية والاعراف والتقاليد المرعيّة في المجتمع الإسلامي .

ويهدف النظام الاقتصادي الإسلامي إلى الارتقاء بمستوى الفرد والمجتمع بما يحقق للإنسان طموحاته الدنيوية والاخروية ، ومن ثم فإن الأهداف الاجتماعية والاقتصادية يتم تحديدها على ضوء القيم المستمدة من القرآن والسنة وعلى هذا المنوال توضع السياسات التطبيقية لها .

المبــادىء الأساسية

في تنظيم جوانب الحياة الاقتصادية لا يضع الإسلام تشريعات جامدة بل يعتد بمبادىء اساسية عامة تشكل القاعدة التي يقوم عليها البناء الاقتصادي ، وتتلخص هذه المبادىء فيما يلي :

(ا) يقرر الإسلام الاعتراف بالفروق الطبيعية بين البشر في الذكاء والصحة والقوة والتعليم والأخلاق والإيمان .

(ب) يحث الإسلام على تعميق التكامل الإجتماعي ، فالفرد ملتزم نحو نفسه ومجتمعه . والقرآن الكريم لا يحرم على الفرد تملك كسبه الشريف ، ولكنه يضع قيوداً على التصرف في هذه الأموال في إطار نظريته الخاصة بطرق الكسب وترشيد الاستهلاك .

(ت) طبقاً لأحكام القرآن فإن للفرد حقاً على مجتمعه بان يخرجه من الفاقة إلى وضع يمكنه من كسب عيشه اعتماداً على النفس . ففي المجتمع القرآني الصحيح من كان عنده فضل شيء عاد به على من لا شيء له . ففائض الحاجة هنا تحدده المعايير الاجتماعية السائدة .

(ث) إن الاستئثار الطبقي بالثروات يخالف تعاليم القرآن الذي يحض المؤمن على التوسط وعدم الإسراف والتباهي بالزينة والأموال في الملبس والمسكن بينما لا يجد ذلك إلا قلة من الناس .

(ج) لقد كرم الإسلام الإنسان ووضعه في اعلى مراتب الخلق وجعل له القدرة على الوقوف في وجه كل الظروف التي تكبله بقيود الذل والعبودية .

(ح) يهدف الإسلام إلى تحقيق رفاهية الإنسان دون صراع طبقي ودون المساس بحرية الإنسان وكرامته .

(خ) العدالة الاجتماعية في الإسلام لا تقوم على فرضيات جزافية تتجاهل الفروق الطبيعية بين البشر - وما فضل الله به بعضهم على بعض - كما يرفض الإسلام النظريات التي تقول بالتفسير الاقتصادي الصرف لظواهر الحياة الإنسانية .

(د) يلتزم الإسلام بقواعد حكيمة في توزيع الثروة فهو لا يقر مبدأ الامتيازات الفردية لانها تفسح المجال للتميز والاستقلال وتجافي شمولية العدالة الإسلامية . كما لا ياخذ الإسلام بمعيار الحاجة بان يحصل كل فرد على ما يحتاجه - لأن ذلك بدوره لا يشكل نظاماً عادلاً للتوزيع - بل يضع الإسلام حداً ادنى للمعيشة يشكل ضماناً لكل فرد بحيث لا يوجد من هو دونه ، ثم يترك لكل مجتمع الحرية في تحديد هذا المستوى طبقاً لظروفه . وفي سعي المجتمع الإسلامي نحو تحقيق العدالة الاجتماعية وفقاً لمعيار المساهمة في الإنتاج يسمح النظام الإسلامي بإعادة توزيع فائض الثروة على المستحقين على اساس مساهمتهم في تحقيق الرخاء الاقتصادي للمجتمع .

(ذ) في ظل الإسلام فإن القانون لا يسبق الظروف الاقتصادية والاجتماعية بل يكون تابعاً لها ويتكيف معها بالتدرج .

هــوامش

(١) الدكتور عبد الغفور مسلم - باكستان تايميز ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣م .

يوم القرآن الكريم الرابع والعشرون

■■ ما على وجه الأرض كتاب اجتمع له من المجادة والكرم وشرف المصدر وهداية البشر ما اجتمع لهذا القرآن الكريم ... فهو وحده الذي تمحض لهداية البشرية وإنقاذها ، وهو وحده الذي يقوم على أمرين لا غنى عنهما ، في صلاح الناس وتحقيق سعادتهم : الهدى والحق ... وما أشد حاجة العالم إليهما في كل جيل وقبيل ... لذلك حث النبي ﷺ على ضرورة تعلم القرآن الكريم وتعلمه والعمل بمقتضاه « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وأثر عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم ما كانوا ينتقلون من آيات حفظوها إلى غيرها ليحفظوها إلا بعد أن يكونوا قد التزموها في حياتهم وسلوكهم ... كما بين عليه الصلاة والسلام أن القرآن الكريم هو المخرج لهذه الأمة من الفتن والاضطرابات « ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى .. » ودعا إلى الاستمساك به والاعتصام بحبله « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ... » وبين أن « من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم » من هنا كان اهتمام المسلمين بحفظه وتدارسه والتواصي بالعمل به منذ عهد رسول الله ﷺ وإلى الآن ، وسيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

وفي يوم السبت الثالث عشر من رجب الفرد ١٤٠٤هـ . الموافق للرابع عشر من نيسان (أبريل) ١٩٨٤م احتفلت دولة قطر بيوم القرآن الكريم الرابع والعشرين ، وهو احتفال سنوي تنظمه وزارة التربية والتعليم لتكريم النابغين والمتفوقين في حفظ كتاب الله عز وجل من النشء بالمدارس (طلبة وطالبات) ومن عامة الناس أيضاً (ذكوراً وإناثاً) ومما يجدر ذكره أن زيادة واضحة في الإقبال على حفظ كتاب الله الكريم وتجويده لوحظت بالمقارنة بالسنة الفائتة حيث بلغ مجموع المتقدمين لمسابقة حفظ القرآن الكريم هذا العام (٢١٢٧) فاز منهم في المسابقة المدرسية (١٦٢٣) وكانوا في العام الماضي (١٥٧٠) كما فاز في المسابقة الشعبية العامة (٢٠٨) وكانوا في العام الماضي (١٦٧) .

وبهذه المناسبة ألقى فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار كلمة بيّن فيها أن القرآن الكريم يتميز عن سواه بأنه حفظ في الصدور قبل أن يحفظ في السطور ، وثبت بالتواتر وبما لا يقبل الشك ، وكيف أن حفاظ كتاب الله عز وجل (القراء) كانوا هم الطليعة دائماً في الاستبسال والاستشهاد والسلوك الحسن ، وأثنى على الجهود التي تبذلها وزارة التربية والتعليم تجاه تحفيظ كتاب الله تعالى ومحاولة نشر تربيته بين الطلبة ، وعلى الدعم المستمر الذي يقدمه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر وولي عهده الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني لتحفيظ القرآن الكريم ... كما ألقى الشيخ عليوة مصطفى عليوة قصيدة بهذه المناسبة ، ثم وزع الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم الجوائز على الفائزين . ■■

الفــــراغ الديني في المجتمع المـــادي ..

■■ نشرت مجلة « تايم » تقريراً حول المناقشات التي دارت مؤخراً في الكونجرس الأمريكي أثناء بحثه مشروع قرار بتعديل الدستور ؛ يسمح بممارسة طقوس العبادة النصرانية في المدارس الحكومية .

ويرى كثيرون أن هذه القضية تنطوي على أبعاد سياسية بسبب مساندة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان لإجراء التعديل ـ حيث اشترك بنفسه في إعداد صيغة القرار المقترح ـ الذي سيكون مناقضاً ـ في حالة تطبيقه ـ لأحكام صادرة عن المحكمة العليا خلال عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م بهذا الصدد ..

وأشارت « التايم » إلى أن مساندة ريجان قد تكون نابعة من اقتناع شخصي ، غير أن توقيته والتدابير التي اتبعها في هذه المساندة لا تخلو من اعتبارات سياسية ، حيث إن فوزه في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ إنما تحقق بتأييد عناصر من النصارى المتدينين ، ولكن بعد توليه الرئاسة لم يقم بأي إجراء لتحقيق مطالبهم ـ حتى على الصعيد الاجتماعي ـ مثل سن قانون تحريم الإجهاض ، وعندما حان الوقت لخوض معركة انتخابات جديدة ، رأى مستشاروه أن الفرصة مواتية للمطالبة بالسماح بأداء طقوس العبادة في المدارس ..

وعلى أية حال فإن مشروع القرار هذا ـ في حالة الموافقة عليه وإقراره من جانب الكونجرس ـ لن يكون بالإمكان تطبيقه ووضعه موضع التنفيذ قبل التصديق عليه من ولايات عديدة ، الأمر الذي يستغرق وقتاً وجدلاً طويلين ، وحتى ذلك الحين سوف تبقى الكلمة الفاصلة في شأن تحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة من اختصاص المحكمة الأمريكية العليا ..

ومن ناحية أخرى ـ يلاحظ تقرير « التايم » أن تغييراً في موقف المحكمة العليا بشأن هذه القضية قد طرأ في الآونة الأخيرة ، تحت ضغط المتدينين حيث سمحت لإحدى المدارس بتمثيل مشاهد مسرحية لميلاد المسيح (عليه السلام) ، إلا أن قرارها لم يكن بالإجماع ، بل صدر بأغلبية صوت واحد ، مما سبب قلقاً في صفوف النصارى المتدينين ، الذين يرون أن المحكمة تعمل لتحطيم القيم الأخلاقية على الصعيد القومي بمنع أقل مظاهر الإعراب عن « الإيمان » بشكل علني ، ويعقد بعضهم مقارنة بموقف النصارى الكاثوليك في بلد مثل بولندا ـ حيث يعارضون محاولات السلطة إزالة شعار الصليب من الفصول المدرسية ..

هــذا ، ويعكس تقرير « التايم » حقيقة هامة ، هي أن القضية الدينية لا تزال هي المحرك الأساسي ، حتى في المجتمع المادي ، المتقدم علمياً وتكنولوجياً بغير حدود ، سواء أكان توجه الرئيس الأمريكي عن اقتناع شخصي أو لوناً من ألوان النشاط الانتخابي والابتزاز السياسي .. وأن الشرط الذي فرضه الدستور الأمريكي ـ منذ أكثر من مائتي سنة ـ باستبعاد فكرة الدين من أجل إقامة « المجتمع الحر » ، قد أكّد النزوع الديني ولم يلغه .. ■■

الحـــرب القـــذرة ..

■■ أشارت صحيفة « واشنطن بوست » إلى تقرير وضعه المدير التنفيذي لجمعية الأطباء لما وراء الحدود - باريس - الدكتور « كلود مالهوريست » - وهو واحد من (١٦٢) طبيباً وممرضاً تناوبوا العمل في أفغانستان لإسعاف جرحى الألغام - الذين يغمرون المستشفيات هناك - يقول : إن القوات السوفييتية تنصب الأشراك القاتلة وتبث الألغام التي تشبه الأقلام أو سيارات الأطفال (اللعب الصغيرة) حمراء اللون لتجذب إليها الأبرياء حتى يلاقوا حتفهم بفعل المتفجرات الموجودة بداخلها ..

ويضيف التقرير بأن أهدافهم الرئيسة هي الأطفال ، الذين تنسف أيديهم وأذرعهم ، ولذا صارت رؤية الأطفال ذوي الأيدي المبتورة من الصور المألوفة في أفغانستان ، حيث صممت هذه الألغام بطريقة لا تحدث القتل فوراً - على الأقل - وهي منشورة وموزعة بمئات الألوف .. خضراء اللون في المناطق الزراعية ومناطق الأعشاب ، وبنيّة اللون في الأراضي العراء القاحلة ، وبيضاء في مناطق الجليد ، وفي الغالب تكون هذه المناطق قرب القرى والمناطق السكنية ..

■ مرضاة الله هي الغاية ■

ويعلق الدكتور « مالهوريست » قائلاً : إن هذه الأسلحة التي لا تميز بين الناس ، تعبّر عن استراتيجية غير محدودة في حرب يشنها أكبر جيوش العالم على شعب بأكمله ، فالألغام مصممة للتعطيل أو للتشويه أو للقتل البطيء ، والمخططون السوفييت يعرفون أن المصابين والجرحى يشكلون عبئاً على المجتمع ونزيفاً لطاقاته وموارده بسبب احتياجاتهم المستمرة للعناية والرعاية والعلاج .. وفي أحوال كثيرة تكون الإصابات قاتلة .. ويستهدف التكتيك السوفييتي من وراء ذلك تحطيم معنويات كل شخص يتعرض للآلام البشعة أو من يشاهد أولئك الذين يعانون من ضحايا الألغام ، خاصة الأطفال ، الذين يموتون نتيجة إصابة جراحهم بالمكورات العنقودية أو التعفن الدموي ..

هذا ويُعتبر أعضاء « جمعية الأطباء لما وراء الحدود » والعاملون فيها من بين الأجانب القليلين الذين شاهدوا ويشاهدون هذه الحرب التي كادت أن تنساها الصحافة الإسلامية - فضلاً عن العالمية - إلا من بعض معلومات تقليدية متأخرة .. الأمر الذي دعا الدكتور « كلود » إلى استنكار إهمال وسائل الإعلام لهذه العمليات « الهمجية الوحشية » .. فقال :

[... إذا كانت منظمة مثل « جمعية الأطباء لما وراء الحدود » بإمكاناتها البسيطة استطاعت أن تحافظ على وجودها ضمن أربعة أقاليم في أفغانستان رغم المعارضة السوفييتية والعنف السوفييتي الصارخ فإن المؤسسات والمنظمات الإخبارية تستطيع أن تفعل الكثير ...] ■■

عمـــود الخشـــب ...

■■ دأبت الدعاية الصهيونية على الترويج لفكرة أن إسرائيل هي حصن الديمقراطية والأمان والحرية في المنطقة ، ويعتبر موسم المزايدات الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية سوقاً رائجة لتداول مثل هذه الادعاءات على نطاق واسع حيث يتبارى المرشحون في السعي لكسب أصوات اليهود ، فيقول ريجان ، على سبيل المثال - في خطاب انتخابي له مؤخراً - عن إسرائيل : « ... إنها الأعجوبة التي ينبغي أن نقف أمامها مبهورين » (!!) - ومما يساعد في ذلك - إلى حد بعيد - سهولة ملاحظة الواقع الاستبدادي للحياة السياسية في دول كثيرة من حولها ، من المفروض أن تكون في موقع الصراع معها ، ولذلك تسهل المقارنة ..

غير أنه يبدو أن ادعاءات الصهيونية - فيما يتعلق بقضية الحرية والديمقراطية في إسرائيل - لا تعدو أن تكون في إطار حرية العدوان واستلاب حقوق الآخرين ، وديمقراطية لجنة « كاهانا » ، التي قامت بعملية تخدير للضمير العالمي بعد أن أصابه العناء من مشاهدة مذابح صبرا وشاتيلا وساعدته على النسيان بإخفاء وجه شارون - مؤقتاً - فقبل عام تقريباً ، قامت لجنة الرقابة على المسرح في إسرائيل بفرض حظر على عرض مسرحية « الوطني » الساخرة ، للكاتب المسرحي اليهودي « يهوشع سوبول » ، حيث رأت اللجنة أن المسرحية تكشف ممارسات المؤسسة العسكرية اليهودية ، وقد تناولنا الموضوع في حينه ... وقبل أسابيع قليلة : أصدرت دائرة الترخيص والإشراف في قسم « خدمات الطوارىء والمهمات الخاصة - التابع لوزارة الداخلية » أمراً يحظر على مركز « تسافت » الثقافي في تل أبيب عرض مسرحية أخرى بعنوان « عمود الخشب » للكاتب نفسه ..

وفي فصول المسرحية الجديدة ، يحاول « سوبول » بالاشتراك مع زميله المؤلف « ميتلبوكنت » أن يقدما بأسلوب ساخر أحداثاً مختارة من تاريخ الاستيطان وممارساته بين عامي ١٩٧٧ - ١٩٨٤م ، وقصة « الحرب العجيبة في بلاد الأرز » ، حول غزو إسرائيل للبنان واحتلال جنوبيه ، أو عملية « أمن الجليل » ، وكذلك كشف الوضع الاقتصادي السيء داخل إسرائيل وتأثير حالة التضخم على هبوط قيمة « الشيكل » الإسرائيلي .. ■■

قراءة ثقافية

معالم فلسفة التعليم في إسرائيل [٤]

العنصرية والعدوانية :

بناء على روح الانعزال لدى اليهود ، وعلى الكراهية المتبادلة بينهم وبين مختلف الأمم ، بل وقبل ذلك بناء على تعاليم الدين اليهودي نفسه تكونت عند الصهيونيين عقيدة « الشعب المختار ، العبقري المتميز » ؛ والكتاب المقدس مليء بالنصوص التي استدل منها اليهود على ذلك ، وفسروها وفق هواهم ؛ من هذه النصوص :

(انا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب) .

(وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي) .

(لأنك انت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) .

وهذه العقيدة اصبحت مقررة في نفوس زعماء الصهيونية ، فبنسكر يقول : « إن الشخص الذي لا يقول : إن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار ، لا بد ان يكون أعمى » و (هس) يعتبر ان اليهودية هي أساس النظرة المعاصرة للحياة العالمية كلها ، ويعتبر ان التعاليم الخلقية النصرانية ، وفلسفات العصور الوسطى ، والحركة الإنسانية الحديثة ، والفلسفات الحديثة كلها تنبع من اليهودية ، لذلك فإنه يستنتج ان « اليهود وحدهم هم شعب الله » .

وقد نشأ من هذه العقيدة او العقدة ، وارتبط بها مبدأ آخر هو احتقار الأمم الأخرى ، الذي انتج سياسة التمييز العنصري التي انتهجتها إسرائيل ، وهذا المبدأ ناتج عن التفسيرات الدينية لكثير من نصوص الكتب المقدسة ، فقد جاء في بعض كتبهم المقدسة « يا معشر اليهود إنكم انتم البشر ، اما الشعوب الأخرى فليسوا من البشر في شيء إذ ان نفوسهم آتية من روح نجسة ، اما نفوس اليهود فمصدرها روح الله المقدسة ... الشعب اليهودي جدير بحياة الخلود ، اما الشعوب الأخرى فإنها اشبه شيء بالحمير » وجاء في التلمود « نحن شعب الله في الأرض ، سخر لنا الحيوان الإنساني ، وهو كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لأنه يعلم اننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان ، نوع اعجم ، كالدواب والأنعام والطير . ونوع كسائر الأمم من اهل الشرق والغرب . إن اليهود من عنصر الله ، كالولد من عنصر ابيه ، ومن يصفع اليهودي كمن صفع الله ، يباح لإسرائيل اغتصاب مال اي كان ، وإن اموال غير اليهود كالمال المتروك ، يحق لليهودي ان يمتلكه ... وكما ان بني الإنسان يسمون على الحيوانات ، فإن اليهود يسمون على شعوب الأرض جميعاً » .

ولقد جاءت في الكتاب المقدس نصوص كثيرة فسرها اليهود على انه لا تجوز معاملة غير اليهود كمعاملة اليهودي ، وفي ذلك بذور التمييز العنصري ، من هذه النصوص على سبيل المثال « لا تقرض اخاك بربا ، ربا فضة او ربا طعام ، او ربا شيء مما يقرض بربا ؛ للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك » .

وقد نشأ من هذه النظرية العنصرية التمييزية وارتبط بها عنصر عدواني تجاه الشعوب ، لا شفقة فيه ولا رحمة ، زادته نصوص الكتاب المقدس - حسب تفسيراتهم - عمقاً ، فقد ورد فيه :

« حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن اجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ... هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما » .

وقصة دخول يوشع إلى اريحا وإبادته لسكانها ، والطلب من اليهود الاقتداء به معروفة ، ونصوص التوراة مليئة بها وبامثالها .

ولقد كانت هذه التعاليم هي النواة التي اعتمد عليها جابوتنسكي في صياغته لفلسفته العسكرية التي تقول : « السياسة هي القوة ، نحن لا نملك هذه القوة ، يجب على الصهيونية ان تسعى لكي تصبح قوة » وبناء عليه سعى إلى تكوين فرقة البغالة اليهودية في الحرب العالمية الأولى ، وبدأ بتنظيم العمليات الإرهابية في فلسطين منذ سنة ١٩٢٠م وتشكيل جيش الهاجاناه والمنظمات الإرهابية الأخرى .

من هذا الاستعراض نستطيع ان نفهم سياسة إسرائيل تجاه الأقلية العربية فيها ، فقد كانت تسعى لإبادتهم إبادة كاملة اثناء حرب سنة ١٩٤٧/١٩٤٨م وقامت بعدة مذابح في سبيل ذلك تنفيذاً للتوصيات الدينية التي مر سردها ، وهي إذ لم تستطع فقد نجحت وسائل التعليم ان تغرس هذا الشعور في نفوس ابناء الجيل الجديد من الطلبة .

وإذا كانت إسرائيل لم تنجح في تطبيق الشق الأول من التعليمات اليهودية في إبادة العرب ، فقد نجحت في تطبيق الشق الثاني وهو استعباد المغلوبين وجعلهم طبقة خادمة . ويبدو ان إسرائيل اعتبرت عرب فلسطين بمثابة التجربة لما بعدها فيما لو توسعت وفقاً للعقيدة الصهيونية ، واحتلت بلاداً اخرى ، وكان لا بد ان تشمل هذه التجربة قطاع التعليم العربي .

أخبار ثقافية

- جارودي من الشك إلى الإيمان .. كتاب جديد يتناول فيه المؤلفان أمينة الصاوي والدكتور عبد العزيز شرف الرحلة الفكرية للمفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي .
- يفتتح في شهر مايو [أيار] الجاري المعرض الدولي للحضارة الإسلامية في ماليزيا ويستمر ثلاثة أشهر ، وستعرض فيه قطع فنية مختلفة أحضرت من مختلف الدول الإسلامية ، كما تعقد ندوة تستمر خمسة أيام خلال المعرض ، يشترك فيها خبراء من الدول الإسلامية .
- وافقت دولة الإمارات العربية على المساهمة في إنشاء مركز البحوث الثقافية في استانبول بتركيا .
- طالب مكتب الجامعة العربية بلندن بوقف فيلم (أشانتي) الذي تعرضه الشبكة التلفزيونية التجارية البريطانية ، وفيه اتهام للعرب بالمتاجرة بالرقيق وإهانة واضحة لمشاعرهم عامة .. رفضت السلطات المسؤولة الطلب .
- المخطوطات .. دراسة تاريخية وإظهار لمنهج البحث وتحقيق المخطوطات قام بها الدكتور أكرم ضياء العمري وصدرت عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

المكتبات والاهتمام المفقود

■■ تمثل المكتبات أهمية بالغة في البناء الثقافي لأجيال المسلمين .. فمنذ خلق الإنسان وذاكرته جزء من ذاته ، فقد تضعف معه ، ويتفاوت هذا من إنسان لآخر ، لذلك بدأ التفكير مبكراً في تسجيل محتويات هذه الذاكرة الداخلية وتحويلها إلى ذاكرة خارجية ممثلة فيما يخطه الإنسان بيده في شكل (مخطوط) - أياً كانت مادته التي يكتب عليها - ليرجع إليه الإنسان نفسه أو راغبو المعرفة من بعده .

وبدأت عملية حفظ هذه المخطوطات في أماكن محدودة ، فكانت المكتبات التي انتشرت وواكب الاهتمام بها قيام الحضارات المختلفة .

وتحتوي هذه المكتبات على مكونات ثقافية يمكن لها أن تقوم بدور أساسي في البناء الثقافي المطلوب اليوم .

ولكن وجود هذه المكتبات بما فيها من ملايين المجلدات وعشرات بل مئات الآلاف من المخطوطات يتعرض اليوم لمزيد من عوامل الضياع والتلف .. فهناك أكثر من مائة وسبعين مكتبة رئيسة في بلاد المسلمين بقيت بما فيها من ذخائر العقل الإسلامي بعد أن سرق منها ما سرق وحرق ما حرق أصبحت اليوم في حالة سيئة من الإهمال .. وقد يرجع هذا إلى أمرين :

- عدم الاعتراف والتقدير لأهمية دور المكتبة ومركز المعلومات عامة .
- عجز في وسائل الحماية لجهل تقني أو فقر مادي .. وكلا الأمرين واقع !

ففي الوقت الذي تفتقد فيه إحدى المكتبات الهامة في العالم الإسلامي والعربي إلى نوع من التهوية داخل المخطوطات المخزونة بحجراتها أو تكييف الهواء تشير التقارير الصحفية التي نقلت خبر افتتاح مكتبة الفاتيكان مؤخراً إلى أن (٣٧٠٠) متر مكعب من الهواء تتجدد ثلاث مرات كل ساعة داخل أجواء المكتبة .

وفي الوقت الذي تتعرض له مكتبات عدة لحرائق مفتعلة أو بفعل الإهمال المنتشر دائماً بها نجد في المكتبة التي يطلقون عليها (معبد المعرفة والحكمة) بالفاتيكان أبواباً مصفحة بسمك (٣٠) سنتيمتراً توصد على الكتب القيمة والنادرة .

أما الفهارس التي تفتقد في كثير من مكتبات العالم الإسلامي « إحداها فيها أربعة آلاف مخطوط لا يوجد لها فهرس سوى واحد مكتوب باليد وليس به أية دلالة على تاريخ أو قيمة المخطوط » .. فهي في مكتبة أصغر دولة في العالم « الفاتيكان » (٤٤ هكتاراً) تمتد (٥٥٠) متراً مربعاً لها مبنى خاص (مبنى مايكل انجلو) .

والفطريات والأتربة والتلوث عامة هي سمة متكررة في دور المكتبات في العالم الإسلامي .. ولكن في المكتبة التي افتتحها البابا بولس مؤخراً قامت إحدى المؤسسات الفرنسية بإقامة رفوف لها على مساحة ستة آلاف وخمسمائة متر ، كل واجهاتها من الألمونيوم المصقول الذي يمنع وجود الفطريات كما تتكون الطبقة الداخلية لهذه الرفوف من الألمونيوم المصقول على شكل اسطوانات أفقية تسمح بانزلاق الكتب الثقيلة دون إحداث أثر لها من الاحتكاك .

إن مئات الآلاف من المخطوطات التي تنتشر في قرى وبلاد المسلمين أو في مساجدهم يجب أن يواكب الاهتمام بإعادة تشكيل العقل المسلم الاهتمام بها ، وتقدير الدور الذي يمكن أن تؤديه إذا أريد للروافد الحقيقية لهذا العقل أن تعمل طبقاً للفهم الواعي للتراث !.. ■■

التعبير بالصورة

الفقـــر في أفريقيـــا ...

[السقوط في شباك المنصِّرين]

الطـالب المسلم والأطماع الأجنبية في دول الخليج

■■ انعقدت بالكويت ندوة ثقافية هامة بعنوان « دور الطالب الجامعي المسلم إزاء الأطماع الأجنبية في منطقة الخليج » وذلك ضمن أنشطة الأسبوع الثقافي والفني الأول لشباب جامعات الخليج ، وشارك فيها الطلبة الذين قاموا بأبحاثهم الثقافية ، قام الدكتور رشيد العميري بتقديم الندوة فأشار إلى الأطماع الدولية التي تتربص بدول الخليج ونقل عن المستشار السابق للرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي (بريزنسكي) قوله : « ... إن منطقة الخليج تعتبر الحد الاستراتيجي المركزي الثالث بعد الولايات المتحدة نفسها وأوروبا الغربية وهي ذات أهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة في الميزان العسكري العالمي » .

كما نقل عن بعض الاستراتيجيين الأمريكيين قولهم : [... إن منطقة الخليج هي اليوم فراغ ، وإن هذا الفراغ سوف يملأ بالضرورة من قبل إحدى القوتين العظميين أو من قبلهما معاً] .

أما أسلوب التصدي لهذه الأطماع فهو : إعداد الشباب الجامعي المسلم ليقوم بدور إيجابي وفعال في عملية التصدي للأطماع الأجنبية في منطقة الخليج والجزيرة .. وقد حفل الأسبوع الثقافي والفني الأول لشباب جامعات الخليج والذي نظمه مكتب التربية العربي لدول الخليج بمسابقات ثقافية مختلفة ، من أهمها البحث الذي اشترك فيه عدد من مختلف جامعات الخليج عن الصهيونية العالمية وقامت حوله كثير من المناقشات . ■■

في عالم الاقتصاد

الفكر الإسلامي والمشكلات الاقتصادية ...

■■ عقدت جماعة الفكر والثقافة الإسلامية - بالعاصمة السودانية الخرطوم (نوفمبر [تشرين الثاني ١٩٨٣م] - مؤتمرها السنوي الثاني تحت عنوان :

« الفكر الإسلامي ومشكلات الاقتصاد السوداني »

وعلى الرغم من أن المؤتمر قد خصص مناقشاته ودراساته حول قضايا اقتصادية إقليمية خاصة بالسودان ، إلا أن المنظور الإسلامي الذي انطلقت منه يوسع من نطاقها لتشمل معظم بلدان العالم الإسلامي ، فضلاً عن أن معظم هذه البلدان ذات طبيعة اقتصادية واحدة ، سواء في هيكلها الاقتصادي العام الذي يقوم على إنتاج المواد الخام ، أو في المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها ..

وقد دعا المؤتمر علماء الشريعة والاقتصاد والمشتغلين بالنشاط الاقتصادي إلى توحيد جهودهم في الدراسة والبحث وتبادل الرأي حول أسس الاقتصاد الإسلامي ووسائله ونظمه وكيفية تطبيقه في الحياة المعاصرة وفقاً لتجارب علمية وعملية ، حتى يتبلور علماً نظرياً وتطبيقياً واضح السمات ، والاهتمام بنقل هذا العلم عن طريق المدارس والمعاهد والجامعات ووسائل الإعلام إلى المسلمين كافة ..

وقد دارت أبحاث المؤتمر ودراساته حول عدة موضوعات جرت مناقشتها في جلساته الست .

وحول الوظيفة الاقتصادية للدولة ، أكد المؤتمر قوامة المجتمع والدولة على نظام الاقتصاد تخطيطاً وتوجيهاً ومراقبة بما يسد الحاجات الضرورية للناس ، بتوفير الحياة الكريمة والصحة والمأوى والتعليم والأمن لهم ، ويحقق العدالة بين الأفراد والفئات والأقاليم في توزيع الثروة ، حتى لا يتفشى الاستغلال وأكل الحقوق بالباطل ..

وحدد المؤتمر - في هذا الصدد - أن الإنسان هو أساس التنمية الاقتصادية وغايتها ، لذلك لا بد من تحريره من الخوف والذل والجوع ، حتى تتهيأ نفسه للعبادة والعمل والعلم والإبداع ، فيسعى لإقامة مجتمع الإنسان وعمارة الدنيا ، ولا يتم ذلك إلا بتعبئة طاقاته الروحية وقوته الجماعية ، وباستغلال الموارد المادية بالتخطيط الشامل ، وتسخير العلم والتقنية الحديثة ..

وأكد المؤتمر أن العمل هو أصل الكسب - في الحياة الدنيا وفي الآخرة - وأنه في مجال الاقتصاد هو شرط النهضة ، وأن القرار الاقتصادي - كغيره من القرارات الحيوية الهامة - يخضع للشورى بين أهل الخبرة والاختصاص ..

وقد أبرزت المناقشات التي تناولت السياسات المالية والنقدية أهميتها كوسيلة فاعلة في تحقيق أهداف المجتمع الاقتصادية وتوفير الموارد الأساسية وتوزيع الثروات .. وعلى ضوء المشكلات التي تتعلق بالهيكل الاقتصادي في السودان : دعا المؤتمر إلى تضافر جهود المؤسسات لوضع خطة اقتصادية متكاملة ، تكون السياسة المالية والنقدية إحدى وسائلها ..

أما عن دور المصارف الإسلامية ، فقد أشارت الأبحاث إلى أنه لا ينبغي أن يكون دوراً استثمارياً يعمل لصالح المستثمرين فقط بل لا بد أن يلتزم بتعاليم الإسلام وأهدافه في إقامة مجتمع العدل والطمأنينة ، بتمويل صغار المزارعين والحرفيين ، والاهتمام بتنمية المناطق المتخلفة ، والمساعدة في توفير الغذاء والسلع الاستراتيجية ، ومحاربة الاحتكار والاكتناز والاستغلال وأن تخرج الزكاة وتحدد حصة من أموالها للقرض الحسن ، وتتحمل مخاطر حقيقية في عقود البيوع .. وينبغي على الدولة - في هذا الصدد - أن تسعى جادة في إبطال كل أنواع المعاملات الفاسدة شرعاً - كالربا ، والكنز ، والاحتكار ، والغش ، وتعدد الوسطاء في التجارة ، وأن تشجع أنماط السلوك القويم وتقنن له - كالسماحة في البيع وحسن التقاضي والتكافل والتعاون وعدم بخس الناس أشياءهم والحرص على كتابة الدين وحفظ الحقوق ..

وفي إطار المناقشات التي دارت حول العلاقات الاقتصادية الدولية ، تناول المؤتمر ممارسات الهيمنة الاقتصادية للدول الصناعية الكبرى على دول ما يسمى بالعالم الثالث - بما فيها دول العالم الإسلامي - الأمر الذي يجعلها تابعة ومعتمدة على اقتصاديات الدول الكبرى ، فتعاني من بخس قيمة ما تصدره من مواد خام ، وارتفاع قيمة ما تستورده من سلع مصنوعة وآليات ، كما تتحمل الآثار السلبية للتضخم المالي العالمي الذي يحدث خللاً في ميزان مدفوعاتها ، الأمر الذي يزيد من اعتمادها على القروض والمعونات الأجنبية ، وهو ما يجعل الدول الفقيرة تلهث لمجرد دفع خدمات القروض المتعاظمة ، وتطلب إعادة جدولتها للحصول على المزيد منها تحت أية شروط ، مما ينتهي بها إلى فقدان سيادتها وقدرتها على التحكم في مصيرها ومستقبلها ..

لذلك فقد جاء رأي المؤتمر في هذا الصدد ليؤكد أنه لا خيار أمام دول العالم الإسلامي - للانعتاق من التبعية الاقتصادية وتحقيق الاكتفاء الذاتي - إلا في التعاون والتنسيق فيما بينها ، على أساس استراتيجية اقتصادية ، تتكامل بها وتتكافل ، وتسد بعضها عجز بعض في مجالات : رأس المال ، والخبرة الفنية ، والعمالة المدربة ، والتقنية الحديثة ، والسلع والمواد الأساسية .. ولا يمنع هذا من التعاون مع سائر الدول ، في إطار نظام اقتصادي عالمي عادل ، من أجل نهضة إنسانية ، تقوم على الفضيلة وتبادل المصالح ..

أما عن فريضة الزكاة - كركن من أركان الإسلام - يتحقق من خلاله التكافل ، ويعالج مرض الشح والجشع عند الأغنياء ، وداء الفقر والحسد عند الفقراء ، فقد أوصى المؤتمر بضرورة تقنينها وفرضها على كل مسلم قادر ، واتخاذها قاعدة لنظام شامل للتأمين الاجتماعي ، ودراسة ما استحدث من أنواع العمل وأنماط الاستثمار حتى يتم تطهيرها بالزكاة ..

وفي مجال الزراعة - كقطاع إنتاج أساسي في السودان وفي معظم بلدان العالم الإسلامي - فقد رأى المؤتمر أهمية استدراك التدني المستمر في مستويات الإنتاج الزراعي والحيواني ، ومعالجة قضية هجرة العمالة الزراعية إلى مجالات أخرى ، بتطوير أساليب الزراعة ومساعدة المنتجين وتسهيل إجراءات تمويلهم - دون فوائد - من قبل الدولة والمصارف ، وإصلاح قوانين حيازة الأراضي حتى تعود منفعة الأرض لمن يفلحها ، وترشيد علاقات الانتاج ورفع حوافزه ..

وفي ختام توصياته ، أكد المؤتمر أهمية أن تكون معايير الولاية والمسؤولية في المجتمع والدولة هي الأمانة والقوة ، حيث لا مجال للفصل بين الكفاءة والعلم والخبرة من ناحية ، والخلق والدين والفضيلة من ناحية أخرى ، وأهمية ضبط إجراءات العمل والمحاسبة ، وإفساح المجال للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحد من الفساد الذي استشرى أمره في السنوات الأخيرة بالسودان ، وتطبيق أحكام الشرع في حق كل من يسيء استعمال المال العام أو الإهمال في أداء الواجب .. ■■

○○ تقوم موسكو حالياً بتكثيف وحدات من القوات السوفييتية في ثلاث مناطق من أفغانستان خاصة قرب وادي « باتشير » حيث تتركز فصائل المجاهدين ، وتعتقد المصادر الصحفية أن موسكو تحضر لهجوم « الربيع » ضد هذه الفصائل .

●● يوجد على جدول أعمال المجمع السنوي للكنيسة الانجليكانية البريطانية هذا العام اقتراح بإلغاء الحواجز التي تعترض تعيين « رجال الدين » من بين النساء ..

ومن المعروف أن الكنيسة البروتستانتية كانت أول من فتح هذا الباب أمام المرأة ، حيث يوجد الآن أكثر من ستمائة كاهنة بروتستانتية في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا .. أما الخطوة التالية المطالب بها فهي أن ترأس الصلاة وتقوم بالوعظ ..

○○ توجّه إلى جنيف ـ قبل انعقاد مؤتمر الحوار اللبناني ـ « لوبراني » منسق الشؤون الاسرائيلية في لبنان ، وأوفد بعض مساعديه إلى لوزان لتزويده بتقارير يومية عن مراحل الحوار ..

●● تقدم السناتور الأمريكي باتريك موينيهان إلى مجلس الشيوخ بمشروع يدعو إلى نقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس والاعتراف بالمدينة المقدسة عاصمة لإسرائيل ، وتمكّن من الحصول على تأييد عدد كبير من أعضاء الكونجرس .

○○ يفتتح في الأيام القليلة القادمة مكتب دائم للميليشيات النصرانية الموحدة في إسرائيل .

وتقول صحيفة « دافار » الاسرائيلية : إن رئيس هذا المكتب « بيير يزبك » قد استأجر بالفعل مكاتب للبعثة التي سيرأسها في مبنى كبير بالقدس ـ وإن اتفاقاً تم على إثر مباحثات أجراها يزبك مؤخراً مع مسؤولين في وزارة الخارجية الاسرائيلية على أن يكون لهذه البعثة وضع شبه دبلوماسي ..

ومن ناحية أخرى ، ذكرت صحيفة « يديعوت أحرنوت » نقلاً عن دوائر مسؤولة في إسرائيل أن الرئيس اللبناني أبلغهم بأنه لا يعتزم إغلاق مكتب الاتصال الاسرائيلي في « ضبية » ..

أخبـــار

قصيـــرة

●● تم إيقاف مفوض الشرطة الإسرائيلي « عساف هافبتر » عن عمله ، بتهمة إبلاغ الصحافة بمعلومات سرية عن التحقيق مع المتهمين بمحاولة الاعتداء على المسجد الأقصى في القدس ، حيث صرح بأن المتهميْن كانا موضع مراقبة الشرطة منذ عام وأن المعلومات التي جمعت عنهما لم تستغل في الوقت المناسب ..

●● وجّه رئيس جمعية علماء الهند ـ الشيخ أسعد المدني ـ تحذيراً إلى الحكومة الهندية بسبب تدخلها المستمر في قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين وشؤونهم الدينية ، رغم ادعائها بعدم رغبتها في ذلك إلا بناء على طلب من المسلمين أنفسهم ، وقال : إن هذا الادعاء يستحث ضعاف النفوس وقليلي المعرفة بالدين الإسلامي من المسلمين على إثارة الشكوك والشبهات حول أحكام الشريعة الإسلامية ، وعلى مطالبتهم بتغييرها ، كما كشف النقاب عن المنظمات والدوائر الهندوكية المتعصبة المتطرفة التي تطالب الحكومة بإصدار القانون المدني الموحّد ، وتعرض عليها مشروعات تهدف إلى إلحاق الضرر بقضايا المسلمين الدينية والاجتماعية ..

○○ حذّرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي من النشاط التخريبي الذي تمارسه منظمة « شهود يهوه » ودعت البلدان العربية والإسلامية والهيئات والجمعيات الإسلامية للعمل على مطاردتها وتطهير بلاد الإسلام من أتباعها بشتى الوسائل ، وذلك بعد دراسة نشاطها في الدورة الخامسة للمجلس التأسيسي للرابطة ـ سبتمبر [أيلول] ١٩٨٣م ـ الذي يهدف إلى النيل من الإسلام والشباب المسلم ..

●● تدور معارك عنيفة بين المجاهدين في جنوبي الفيليبين وبين قوات الحكومة الفيليبينية في معظم مناطق محافظتي « راناو » و « منداناو » لصد الحملات العسكرية الجديدة التي بدأت تشنها منذ شهرين ، وتستخدم فيها الأسلحة الثقيلة والدبابات والطائرات ، وتعمد هذه القوات إلى نهب ممتلكات المسلمين وتدمير وسائل معيشتهم وإحراق المزارع والبيوت والمساجد والمدارس الإسلامية .. وتدعو جبهة تحرير مورو الإسلامية الحكومات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ممثلة في مؤتمرها العام إلى تحمل مسؤولياتها أمام الله تجاه المسلمين المستضعفين في جنوبي الفيلبين ..

○○ أصدر وزير الداخلية الإسرائيلية « يوسف بورج » قراراً بإنشاء محكمة دينية في مدينة الخليل لإضفاء الصبغة القانونية على الاستيطان في المدينة ، والذي يشهد توسعاً كبيراً في الآونة الأخيرة ..

●● تشير الوقائع إلى أن الغزو السوفييتي لأفغانستان والحرب التي يخوضها المجاهدون هناك ضد هذا الغزو منذ أربع سنوات قد أدت إلى أكبر حركة هجرة بشرية منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث لجأ حوالي خمسة ملايين من الأهالي هناك إلى باكستان وغيرها من البلدان المجاورة ..

وعلى صعيد آخر ، أعلن المجاهدون أنهم نقلوا بعض عملياتهم العسكرية داخل الأراضي السوفييتية ..

○○ لجأت السلطات الإسرائيلية مؤخراً إلى أجهزة تصوير ، وأجهزة أخرى لرش سائل أحمر على المتظاهرين من سكان فلسطين المحتلة ليسهل عليها معرفتهم واعتقالهم .

●● أيّد حاخامات مدينة القدس شابين قاما باستخراج جثة فتاة غير يهودية من مقابر اليهود ، حيث أعادا دفنها في مقابر المسلمين ..

○○ وافق مجلس مدينة برادفورد البريطانية بعد تصويت أجراه على تزويد مدارس المدينة والمنطقة المجاورة لها باللحم الحلال المذبوح على الطريقة الإسلامية .. وجدير بالذكر أن عائلات المسلمين قد امتنعت عن إرسال أبنائها إلى هذه المدارس ثم احتجت في مسيرة إلى قاعة البلدية على معارضة لجنة حقوق الحيوان التي ترفض ذبح الحيوانات بهذه الطريقة وتقديمها في المدارس ..

متابعة إعلامية

■■ في الآونة الأخيرة ، وبعد أن أصبح ما لحق بالمقاومة الفلسطينية غير خاف على أحد ، برزت على السطح ظاهرة تدعي أنها تحاول رأب الصدع بين الفلسطينيين ، وما أكثر ما رددت وسائل الإعلام نبأ مشاركة ما يسمى بالحزب الشيوعي الفلسطيني في هذه الظاهرة ، والغريب في الأمر أنه يعلن وقوفه ضد نهج التسوية والمصالحة السلمية مع العدو الصهيوني ، إلا أن الأغرب من هذا أن ننسى أنه كان وما يزال وغيره من الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية والمسلمة ، أول من نظَّر للتسوية والتقسيم والصلح ، لأن مواقفها ما هي إلا امتداد لموقف الاتحاد السوفييتي ...

كما أنه لا بد من التذكير بأنه عندما جرت محاولات إدخال هذا الحزب في المجلس الوطني الفلسطيني ، سأل أحد أعضاء هذا المجلس ممثلي الحزب : هل تلتزمون بالميثاق الوطني الفلسطيني ؟ فأعلنوا رفضهم وعدم التزامهم بحجة أن الميثاق ينص على تحرير فلسطين كلها ...

ونظن أن من حقنا التساؤل : أين هي المقاومة التي مارسها هذا الحزب ضد العدو الصهيوني ؟ وكم رصاصة أطلق طيلة وجوده على هذا العدو ؟ أم أن العكس هو الصحيح ، وأنه كان يقف ضد المجاهدين لإبعاد شر اليهود عن فلسطين وما زال ؟ أليست القيادات الأولى التي شكلت معظم الأحزاب الشيوعية العربية (السوري واللبناني والفلسطيني والعراقي والمصري) كانت يهودية ؟

إن على وسائل الإعلام أن تتحرى الدقة والصدق فيما تقدم ، وأن لا تردد ما يرد إليها دون تمحيص حتى لا تقع فريسة أولئك الذين يصنعون الأخبار ويوجهونها الوجهة التي تخدم مصالحهم ، وهي بالتأكيد ليست مصالحنا ، فالكلمة أمانة وشرف ومسؤولية ... ■■

كيهان

المسلمون وضرورة وقف حرب الخليج ..

■■ لا يوجد مسؤول في العالم الإسلامي لا يدرك خطورة استمرار وتصاعد الحرب العراقية الإيرانية ، ورغم ذلك لم تبذل الجهود المتوازنة مع هذا الإدراك لاحتواء هذه الحرب ، وتسوية الخلافات بين الجارين المسلمين بالطرق السلمية المتعارف عليها .

إنها ليست أول خلافات في التاريخ تؤدي إلى الحرب ، ولكن من غير المعقول أن تستمر الحرب إلى ما لا نهاية خاصة بعد هذا التصاعد الخطير الذي تطورت إليه مؤخراً ، والذي تسبب في مزيد من الخسائر البشرية والمالية والاقتصادية .

وبعيداً عن أية تقديرات رسمية أو دولية ، فإن الخسائر التي لحقت بالبلدين تعتبر فادحة ، واستمرار الحرب يزيدها فداحة ، وليس هناك من مستفيد غير إسرائيل والدول الكبرى الطامعة بالعراق وإيران على السواء ، بل وبالعالم الإسلامي كله . فالعدو الإسرائيلي يرى في هذه الحرب فرصة ذهبية لتدعيم توسعه واستيطانه واحتلاله للأرض الإسلامية ، مطمئناً إلى أن قوتين مهمتين في الصراع المصيري معه منشغلتان عنه بالاقتتال فيما بينهما .

والدول الكبرى ترى في هذا القتال فرصة للعبور من جديد إلى العالم الإسلامي . ولذلك فإنها لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية لا تبذل أي جهد لوقف مثل هذه الحرب . بل إنها تعمل بشتى السبل لاستمرارها مستفيدة من المتاجرة بالسلاح ، ومستفيدة من حالة الضعف التي ستصيب البلدين من جرائها ، لأن هذا الضعف سينعكس على العالم الثالث بأسره .

الشرق الأوسط

المسلمون والحوار مع الذات

■■ إن الذي يميز ويطبع لقاءات العالم الإسلامي التي أخذت تتعدد وتتوالى على مختلف المستويات : العزم على تعميق الحوار مع النفس ، انطلاقاً من البدايات أي : من اكتشاف الإمكانات والتعرف على الطاقات ، وتقييم الوسائل وتصنيفها واستخدام ذلك كله لاستبعاد السلبيات والمعوقات بما يتيح بناء الكيان الإسلامي المعاصر بناء قاعدته : الإمكانات المادية والطاقات البشرية المشتركة ، وقوامه : استلهام روح الإسلام كقوة محركة دافعة للعمل الإسلامي المشترك .

وميزة هذا الحوار الذاتي أنه يجري بهدوء وتعمق ، وبوعي بما يحف به من صعوبات يدرك المتحاورون أنه لا يمكن التغلب عليها بين عشية وضحاها ...

لا يزال كثير من المسلمين يشكون في قدرة عالمهم على مواصلة السير في هذا النهج ، بسبب انقساماته السياسية والعرقية ، وكثير منهم يعتبرون الصحوة الإسلامية مجرد ظاهرة عابرة ، ويشكون في قبول القوى الكبرى لقوة إسلامية قادرة على الإخلال بتوازن القوى في الصراع العالمي .

ولكن هؤلاء ينقصهم الإيمان بقدرة المسلمين على تغيير واقعهم ، واستعادة انسجامهم وتضامنهم ووحدتهم .

إن الصحوة الإسلامية ليست من الظواهر الآنية والعارضة ، بل هي ظاهرة جاءت في وقتها لتحقق هدفاً وترسم خطة ، مواكبة لتصاعد تشككات عالم الحضارة المادية نفسه في صلاحية حضارته وتساؤلاته عن بدائلها .

ومع ذلك لا ينبغي أن يغمرنا تفاؤل ساذج بالنجاح ، ويجب ألا تجري محاولات تطبيق الإسلام بصورة عشوائية غير مدروسة ، مستمدة من قوة العاطفة وحدها .

وربما كان أسلم عمل الآن لاستعادة الوحدة الإسلامية : التركيز على التنمية الثقافية والاقتصادية ، فبدونهما لن يكتشف العالم الإسلامي مقومات وجوده الأساسية ، ولن يحقق أصالته ويستعيد شخصيته ويتقدم للعالم بهوية متميزة ، ولن يتمكن من حشد طاقاته بما يجعل منها قوة ذاتية .

بدون تنمية ثقافية تقرب بين أجزائه ، وتنسق بين مشارب تفكيره سيظل كمية مهملة محكوماً عليها بالاندماج في غيرها ، والذوبان في شخصيته والتسخير له ، وبدون تنمية اقتصادية سيظل عالم الإسلام مجرد سوق كبرى لاستهلاك اقتصاد الآخرين وأداة لتنمية قوتهم الاقتصادية على حساب مصالحه الذاتية ، وبدونهما يصبح التضامن الإسلامي عبارة جوفاء فاقدة المحتوى ؛ وعبر التنميتين يتم التضامن السياسي الذي هو واجهة فوقية . ■■

[العدد : ١٧٤١]

وإذا كان من مصلحة البلدين ، العراق وإيران ، وضع حدّ فوري لإراقة دماء أبنائهما ، فإن من واجب جميع الدول الإسلامية تكثيف جهودها لإقناع طرفي القتال بعدم جدوى الاستمرار في هذه الحرب الاستنزافية الرهيبة ، وضرورة وقفها فوراً ، والتلاقي حول مائدة المفاوضات بروح إسلامية متسامية . ■■

[العدد : ١٣٨٣]

الدستور

غياب الأساس الفكري

■■ إن انبهارنا بحضارة الغرب وإعجابنا الشديد بأفكاره التي نشرها في أرجاء المعمورة ، قد حجب عن أعيننا الكثير من مساوئه ومثالبه ومخازيه التي ما نزال نعاني منها ونكابد .

وبفضل الهيمنة الغربية استقر في روعنا أننا لسنا أمة متخلفة فقط ، بل وأن تخلفنا أمر دائم إن لم نماثل الغرب ونحاكيه في كل صغيرة وكبيرة ، فكانت النتيجة أننا تحولنا إلى نماذج ضائعة وأنماط مبتورة تابعة ، بالإضافة إلى ذلك فلقد قام الغرب بتصدير كثير من مشاكله إلينا ، مرفقاً معها الحلول التي توصل إليها بشأنها ، وهي على أية حال مشاكل مصطنعة بالنسبة لنا ، مما أدى إلى إلهائنا عن مشاكلنا الحقيقية .

لا الأشكال الحضارية المستوردة استطاعت أن تتعمق في أراضينا ، ولا النظريات الغربية استطاعت أن تتأصل في عقولنا ، ولا سُمح لنا أن نطور أساليبنا الموروثة الأصيلة بصورة تتناسب مع المرحلة التاريخية التي نعيشها .

هناك نقطة جوهرية لا بد من مواجهتها إذا أردنا لهذه الأمة أن تتقدم وتتطور لتأخذ مكانها اللائق بها بين الأمم ... إن الضياع الذي نعيشه وعدم وضوح الرؤية لدينا سواء في قضايانا الحاضرة أو صور الأيام القادمة هي نتيجة غياب الأساس الفكري الصلب وفقدان المعالم الواضحة على دروب المسيرة ، الذي أدى إلى حالة اليأس والقنوط وفقدان الحماس والانفعال والانصراف عن الهموم العامة إلى الهموم الشخصية . ■■ [العدد : ٥٦٣٥]

Arabia

مستقبل الصحوة الإسلامية

■■ الإسلام السياسي ... الإسلام المجاهد ... الانبعاث الإسلامي ... الصحوة الإسلامية ... المد الإسلامي ... العودة إلى الأصول ... هذه بعض تعبيرات أطلقت على الروح الجديدة التي دبت في العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة ، وهي الروح التي تعكس تطوراً هاماً في البنية السياسية والاجتماعية للعالم الإسلامي ، وتطلعاً إلى إعادة تشكيل حياة المسلمين على نحو يتفق ومبادىء الإسلام ... وكان من نتيجة ذلك أن أصبح الإسلام قوة يحسب حسابها ، وتهديداً تحسب الدول الغربية ، المسيطرة على العالم الثالث حسابه ، رغم أن المسلمين لا يزالون متفرقين .

التساؤل الرئيس هنا هو حول مستقبل الصحوة الإسلامية وأثرها على حياة المسلمين ، ومساهمتها المحتملة في تحسين ظروف حياتهم بشكل عام ، ونوعية العلاقات الإنسانية بشكل خاص .

قبل الإجابة على هذا السؤال يجدر بنا وصف معالم الانبعاث الإسلامي الجديد ومنها :

- الالتزام المتزايد بالشعائر والعبادات الإسلامية ، خاصة تلك التي تميز الهوية الإسلامية .
- محاولات عدد من الدول إحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية (العلمانية) ، خاصة تلك التي فرضت أثناء السيطرة السياسية الأوروبية .
- التأكيد على شمولية الإسلام ، فلا فصل بين حياة روحية وأخرى دنيوية أو سياسية ، وصلاحيته لتسيير أمور الحياة ...

لكن المراقبين الغربيين يرون أن ملامح الصحوة الإسلامية تنحصر في العودة إلى الأصول والتعصب والتطرف ، وهذا يؤكد عدم ترحيبهم بها ، بل إنه يعكس الموقف السلبي التاريخي العدائي للأوروبيين من الإسلام ... إنهم يرون فيه تهديداً للبعثات الكنسية ، وبديلاً لأساليب الحياة الغربية .

ولكن بغض النظر عن هذا التفسير الغربي ، فإن العودة إلى الأصول تعني الرغبة العارمة في الحفاظ على الهوية الإسلامية والأصالة ، أما ما يسمونه بالتعصب فهو في حقيقته الالتزام وعدم التهاون في أمور الدين ، وهو رد طبيعي على الشلل وعدم الفعالية والتدهور السياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي .

إنه انتفاضة ضد التفسيرات التي جعلت من الإسلام مجرد شعائر وطقوس وشكليات لا أثر لها في حياة الناس والمجتمع .

من المؤسف والغريب أن الباحثين والسياسيين الغربيين يرفضون رؤية الجوانب الإيجابية للصحوة الإسلامية ، ومن المؤسف كذلك أن يفرض العداء التاريخي نفسه عليهم فلا يرون في هذه الصحوة إلا نذيراً بحروب جديدة وعنف واضطراب .

ولكننا نعتقد أن الصحوة الإسلامية هي تيار جديد يستهدف الاستئناف الكامل للحياة الإسلامية ، والإسهام في تقدم الحياة والثقافة الإنسانية عبر تطبيق القيم والمبادىء الإسلامية في حياة المسلمين وعلاقاتهم مع الأمم الأخرى .

أما الملامح الرئيسة لهذا التيار فهي :

- التطبيق الوظيفي للتعاليم الإسلامية : فالإسلام أساساً نظام من القيم والمبادىء الموجهة لإرشاد الجنس البشري ، وفي إطاره تكون التشريعات والشعائر والمعتقدات تعبيراً عن تلك القيم ، وتطبيقاً لها في الحياة اليومية للبشر .
- الاهتمام باستعادة الحس الإنساني كمعيار أخلاقي ومعرفي ، وتطويع التقدم العلمي والتكنولوجي لمصلحة البشرية .
- التطلع نحو المستقبل بدل التطلع الهروبي نحو الماضي الذي تسبب في ركود الحياة الإسلامية ، والتعامل مع الماضي بطريقة عقلانية نقدية غير تقديسية ... ■■

[العدد : ٢٨]

مسابقة العدد الرابع والأربعين
السنة الرابعة

١ - قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

- وَخَرَقُوا : — افتعلوا واختلقوا كذباً — خلقوا — وهبوا
- لَمْ يَطْمِثْهُنَّ : — لم يَضْرِبهنَّ — لم يَمْسَسْهُنَّ — لم يُحادثهن
- وَقَاسَمَهُمَا : — حلف لهما — كذب عليهما — آواهما
- القَالِينَ : — الخائفين — المكذبين — المبغضين
- لَبُوسٍ : — سيوف — دروع — رماح

٢ - من أوائل الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، ان آخى بين المهاجرين والأنصار ، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثاً مُقدَّماً على القرابة .. ثم نُسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر .. وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلاً : خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار . ويقال : خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء . ويُقال : إنَّه لم يبق من المهاجرين احد إلَّا آخى بينه وبين انصاري . وقال ابن الجوزي : « وقد احصيت جملة من آخى النبي بينهم فكانوا مائة وستة وثمانين رجلاً » .. بعد كم شهر من مقدم النبي ﷺ المدينة كانت المؤاخاة ؟

٣ - من هو ؟ :

- من بني سعد بن زيد مناة بن تميم .. كنيته : « ابو عبد الله » .
- أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقبل ان يدعو فيها ... استضعفه المشركون ، ولم يكن له أحد يمنعه ، فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر ، إلى ان كانت الهجرة .
- نزل بالمدينة على كلثوم بن الهِدْم ثم على سعد بن عبادة ..
- آخى رسول الله ﷺ بينه وبين جبر بن عَتيك .
- شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .
- توفاه الله سنة سبعٍ وثلاثين وهو يومئذٍ ابن ثلاث وسبعين سنة .. ودفن بالكوفة .
- وقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على قبره ، وقال : [رحم الله (......) ! أسلم راغباً وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلي في جسمه احوالاً ، ولن يضيع الله اجر من احسن عملاً] .

٤ - من القائل ؟ :

توكلتُ في رزقي على اللّه خالقي — وايقنت أنَّ اللّه لا شكَّ رازقي
وما يَكُ من رزقي فَلَيْسَ يَفُوتُني — وَلو كان في قاعِ البحارِ العَوامِقِ
سيأتي بِهِ اللّهُ العظيمُ بفضلِهِ — ولو لم يكنْ مني اللّسانُ بناطقِ
ففي ايِّ شيءٍ تذهبُ النَّفسُ حَسْرةً — وقد قسَّم الرَّحْمٰنُ رزق الخلائِقِ

٥ - مؤلف وكتاب :

- [المؤلف] : شاعر مشهور له ديوان شعر .. واديب يغلب على كتاباته السجع المقبول الخالص من شوائب الصنعة والتكلف .. من كتبه : (المصون في سر الهوى المكنون) في مجلد واحد .
- عُني به كثير من كتَّاب التراجم .
- ذكره ابن رشيق في كتابه « الأنموذج » قائلاً : [كان شباب القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه] .
- كان يفهم ان لا موضوع للأدب ، فهو لا يحفل بترتيب المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات ، وإنما يتصرف من الجدِّ إلى الهزل ، ومن الأوصاف إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع .
- توفي سنة ٤٥٣ هـ - كما ذكر ابن بسام في « الذخيرة » - بمدينة القيروان التي ينسب إليها ..
- [الكتاب] : يعد من روائع التراث العربي ، وخزانة من خزائن الأدب العربي .. وصفه المتقدمون بانه « جَمَعَ كُلَّ غَرِيبةٍ » .
- يصفه الدكتور زكي مبارك بانه اغزر مادة واكبر قيمة من جميع اصول الادب : الكامل ، البيان والتبيين ، أدب الكاتب ، والنوادر ، لأن المؤلف يمتاز بذوق أدبي صرف .
- يحفل بأخبار الأدب والأدباء ، وألوان البلاغة والشعر والإنشاء ، وبكل ما يصوِّر العصر الذي عاش فيه المؤلف (القرن الخامس الهجري) ويبين بوضوح العادات الاجتماعية المحمودة التي كانت سائدة .
- يُعنى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين فينقل اخبارهم ويدوِّن آثارهم .
- يتكون من اربعة أجزاء ، وهذا تقسيم المحقق ، أما تقسيم المؤلف له فكان إلى ثلاثة اجزاء .

٦ - عرف العرب الترجمة منذ زمن بعيد وانشاوا لها مؤسسات لقيت من الحكام دعماً كبيراً .. ويوصف العصر العباسي بانه عصر النقل والترجمة في دولة الإسلام ، حيث استقدم الخلفاء العلماء ، وترجمت العلوم والمعارف عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية .. ويرجع الفضل إلى هارون الرشيد ومن بعده المامون في إنشاء اول مؤسسة علمية تُعنى بالتاليف والتوثيق والنقل والترجمة .. ما اسم هذه المؤسسة ؟

مسابقة الأمة

الجوائز

● الجائزة الأولى

خمسمائة ريال قطري

● الجائزة الثانية

ثلاثمائة ريال قطري

● الجائزة الثالثة

مائتا ريال قطري

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر .

حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة .

● ترسل الإجابات إلى : ص . ب ٨٩٣ - الدوحة - قطر ويكتب على الغلاف : مسابقة الأمة ورقم العدد

حل مسـابقة العدد الثاني والأربعين

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـة :

○ جَرَحْتُمْ : كسبتم .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٠)

○ يَأْتَلِ : يحلف .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٢)

○ جَاثِمِينَ : باركين على الركب .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٨ و ٩١) ، (هود : ٦٧ و ٩٤) ، (العنكبوت : ٣٧)

○ رَحُبَتْ : اتَّسعت .

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (التوبة : ٢٥ و ١١٨)

○ إذا وَقَب : دخل .

﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (الفلق : ٣)

٢ ـ هناك أكثر من قول في سبب تسمية غزوة « ذات الرقاع » بهذا الاسم .. بعضهم قال : لأنها كانت عند جبل فيه بُقع حُمْرٌ وبيض وسود كأنها رقاع ... وقيل : لأن القوم رَقَعُوا راياتهم .. وقيل : ذات الرقاع ، شجرة بذلك الموضع يُقال لها : ذات الرِّقاع .. وأصح الأقوال ما رواه « البخاري » من طريق « أبي موسى الأشعري » قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة - ونحن ستَّة نفر بيننا بعير نعتقبه - فَنَقِبَتْ أقدامنا ونَقِبَتْ قدماي وسقطت أظفاري ، وكُنَّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق ، فسميت غزوة « ذات الرِّقاع » لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا .

٣ ـ محمد بن مسلمة رضي الله عنه ..

٤ ـ القائل : الشاعر أحمد محرم (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥م) ، من قصيدة له يتحدث فيها عن الانهيار الذي شقيت به البلاد ويدعو إلى الوحدة والمؤاخاة .

٥ ـ [المؤلف] : الإمام الحافظ أبي عُبَيْد القاسم بن سلام .

[الكتاب] : كتاب الأمثال .

٦ ـ سُمي عبد الرحمن بن معاوية بـ « الداخل » لأنه أول من دخل الأندلس من بني أميَّة حاكماً .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد الثاني والأربعين

الفائز الأول :
- أحمد علي السيِّد هلبة ـــــ مصر

الفائز الثاني :
- ولي أحمد ـــــ بنغلاديش

الفائز الثالث :
- خديجة بو عصيدة ـــــ تونس

الفائز الرابع :
- محمد رضوان حسين ـــــ الإمارات العربية المتحدة

الفائز الخامس :
- صالح العلمي عبده ـــــ المغرب

الفائز السادس :
- محمد أبو الغيث ـــــ الهند

الفائز السابع :
- عصام خميس محمود ـــــ الأردن

الفائز الثامن :
- ثريا الحمصي ـــــ ألمانيا

الفائز التاسع :
- عمر الخليل محمد علي ـــــ السودان

الفائز العاشر :
- آسيا بناني الضوس ـــــ فرنسا

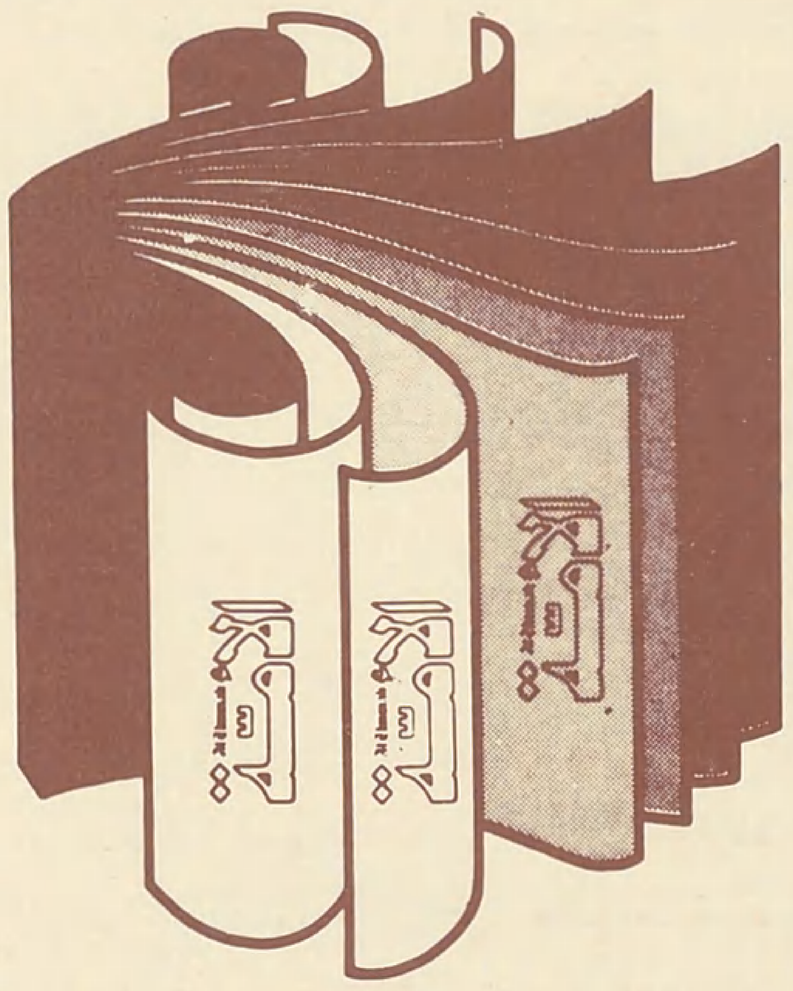

اقرأ في الأمة الأعداد القادمة

□ الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ..
في محاضرة للدكتور نبيل صبحي الطويل

□ الأدب التنصيري
للدكتور نجيب الكيلاني

□ نفسيات كشف غطاءها القرآن
الدكتور محمود بن الشريف

□ نحو منهج نقدي إسلامي
الدكتور عبد الباسط بدر

□ إسرائيل وقانون الجنسية والعودة
الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي .

□ ظاهرة الرشوة في المجتمعات الإسلامية
الدكتور رفيق المصري

□ الاجتهاد والتجديد بين الضوابط الشرعية والحاجات المعاصرة
في حوار مع الدكتور يوسف القرضاوي

من ملامح التغريب في المجتمع الاسلامي

□□ هل استطاع الاستعمار ان يحدد مسار التاريخ الإسلامي الحديث والمستقبلي سنوات لا يعلم مداها إلّا الله ؟!

فمنذ أن وقعت أجزاء عديدة من العالم الإسلامي تحت السيطرة الاستعمارية ، ومنذ ان هوت الدولة العثمانية ، ومات « الرجل المريض » ، وورثته « الدول الكافرة » الطامعة ، منذ ذلك الحين دخل التاريخ الإسلامي حقبة مظلمة هي اشد ظلاماً من حقبة « الجمود والانحطاط » التي سبقتها !!

صحيح أن مرحلة من « النضال والكفاح » رافقت الحقبة الاستعمارية ، وكانت نتيجتها ما سمي بمرحلة « الاستقلال » ، وظهور الدول « العربية » ، التي لكل منها حدود وعلم ونشيد وطني ويوم استقلال !

كل هذا صحيح ، وصحيح كذلك ان ظهور هذه « الدول » ما هو إلّا تحقيق لاهداف خبيثة جسدتها العبارة الاستعمارية الموجزة : « فرِّق تسد » !

فظهور هذه الدول التي جاوز عددها العشرين ! وانسلاخ اكثرها من « صبغة الله » التي رضيها لنا ، وانتشار الفكرة « القومية » ، التي هي الوجه المقابل للفكرة « الشعوبية » ، ثم انحسارها واقعياً ، وحلول الفكرة « الوطنية » او « الإقليمية » مكانها ، كل ذلك لم يكن إلّا هدفاً من اهداف التنصير والاستعمار الذي سعى إلى تمزيق بلاد المسلمين ، وخلع المسلم من دينه ، تشير إليه كلمة زويمر الشهيرة التي القاها في مؤتمر المنصِّرين الذي عقد في القدس في الثلث الأول من القرن الميلادي العشرين ، حيث أعلن انه ليس من اهداف التنصير إدخال المسلم في النصرانية ، بل إخراجه من الإسلام ، وبيَّن ان من السبل التي اتبعت في ذلك تلك المدارس الطائفية ، التي تقاطر عليها ابناء المسلمين ، فتخرجوا فيها وهم لا يعرفون الإسلام ولا يريدون ان يعرفوه ، همهم الأول الشهوات ، تعلّماً وعملاً ، وفي سبيلها يجودون بكل شيء !!

وقد تراجع المدّ الإسلامي أمام المد القومي ثم الوطني ! واصبحت القومية « عقيدة » ، كما كانت تقول إحدى الإذاعات العربية الشهيرة ! ثم صارت « الوطنية » في كل قُطر وثناً يعكف عليه العابدون ! ولم يعرف الدين الذي ارتضاه الله عز وجلّ لعباده موضع حديث او عناية او تركيز نظر ، إلّا في المناسبات الدينية ، او لغايات استرضاء مشاعر « المتدينين » !!

وكان من آثار الثقافة الغربية التي غزت ديار المسلمين او سعى إليها ابناء المسلمين في ديارها ، ان غلبت كثير من مفاهيمها ومصطلحاتها وافكارها على عقول كثير من ابناء المسلمين !

وإذا بهم يتحدثون عن الإسلام حديث النصارى عن دينهم ! ذلك الدين الذي لا علاقة له بالحياة ، فللحياة شان آخر ! وللحياة بشؤونها المختلفة خبراء متخصصون هم بها أعلم ! و « انتم اعلم بشؤون دنياكم !! » فما علاقة الإسلام بالسياسة ؟ وما علاقته بالاقتصاد ؟! وما علاقته بالإعلام ! وما علاقته بالأدب ؟!

فكثير من وسائل الحياة مستحدثة ، وليس للإسلام بها عهد !

وكثير من فنون الأدب « مستوردة » وأهل « الغرب » اعلم بفنونهم ! وهكذا تمت المؤامرة !!

فإذا الوطن الإسلامي يصبح اوطاناً ! والأمة الإسلامية تصبح اُمماً ، والعرب يصبحون دولاً ! وإذا بهم يتخلون عن الرسالة التي شرفهم الله عز وجل بها ، وجعلهم شهداء على الناس !

وإذا بكثير من المفكرين والأدباء من ابناء المسلمين يخلعون جلودهم ، ويستعيرون عقولاً غربية ، وإذا بهم يلوكون الفاظاً ومصطلحات عن الأصالة والتجديد ، والتراثية والتقليد ، والمحافظة والجمود ! ويدعون إلى دعوات هي اشبه ما تكون بمثل الغراب الذي نسي مشيته ولم يتقن مشية الحمامة !!

وإذا نحن اليوم نعيش واقعاً سياسياً يدفع إلى الياس ، بما فيه من الفرقة والنزاع ، وتمكن إسرائيل من جسد الأمة الإسلامية ، حتى صار المسلمون - ومنهم العرب - اضحوكة الأمم !! ونعيش واقعاً فكريّاً مشتتاً مشوّهاً ! فيه الفوضى والضياع ! ونعيش واقعاً ادبياً هو محصلة الواقع العام ، فهو مرآة التغيرات والتحولات والتشوهات التي يعيشها عالم المسلمين اليوم !

فإذا ما ارتفع صوت يدعو إلى الإسلام في ارض الإسلام ، وجد ردود الفعل المتباينة .. بحسب البيئة التي انطلق فيها ! وقد عانى دعاة الإسلام - ولا يزالون - من عنف المواجهة ، وشدة المطاردة التي كلفتهم ارواحاً ، وسنوات طويلة في ظلمات السجون ، وتشويهاً للسمعة ، وإساءة لهم ولما يدعون إليه !

ومرَّ حين من الدهر كان « المسلم » الداعية يعيش فيه في ظلال الحديث الشريف « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا » !

وإذا خيّل لبعض المفكرين او الراصدين للأحداث ان « الصحوة الإسلامية » قد جرفت في طريقها آثار المدّ القومي والوطني ، فإنهم واهمون ! فإن لهذا المدّ انظمته واجهزته ، وأبواقه وادواته ، ووسائله الفاعلة المؤثرة ، التي لا تزال تمعن تخريباً وتغريباً ، وإفساداً في العقول والضمائر ، والسلوك والأخلاق !

ولا يزال « التيار الإسلامي » تياراً من تيارات ، قد يكون صوتها اعلى ، وأثرها اكبر ! حتى في جماهير المسلمين وعامتهم ! الذين لا تزال فطرتهم اقرب إلى « دين الله » لم يلحقها كبير فساد ، ولكن الكيد لها لا يزال حثيثاً ! ويتولى كبر هذا الكيد ، طوائف من « المثقفين » الذين يتسنمون مراكز ، ويشرفون على وسائل إعلام وتوجيه وتعليم ! يصوغون برامجها ومناهجها وفق ما صيغت عليه عقولهم ، وأُلقي في « ثقافاتهم » التي تلقوها في بيئات من « الرجس » ، واجواءٍ من « النجس » ! فهم يسعون إلى التطوير والتغيير ، ويدعون إلى « الإبداع » ! ولكن وفق ما في ادمغتهم من النماذج والمثل ! وهذه إحدى « المتاهات » التي وقعوا في مسالكها حيارى ! ثم ساروا فيها مدفوعين ، ثم صاروا بها مقتنعين ! فالأنموذج او المثل الأعلى للمخططين وواضعي البرامج والمشاريع ، هو الأنموذج الغربي او الشرقي ، في الإدارة والتعليم والإعلام والاقتصاد والأدب والنقد !

ولو كان هؤلاء من المسلمين حقاً ! لأحسوا بالتحدي ، وشعروا بانهم « مسلمون » ! فعليهم ان ياتوا في مختلف الميادين بما ياخذونه من دينهم او بما يوافق هذا الدين ولا يناقضه ، فلا يجرون في تيار التغريب من حيث يدرون أو لا يدرون !

إن الواقع الذي يعيشه المسلمون .. واقع رهيب على المستويات جميعها ، وهذا يستدعي من العاملين للإسلام ان يعوا هذا الواقع ، ويخططوا لمواجهته ، ولا يغفلوا جانباً من جوانبه ، ويتخذوا لكل ميدان من ميادين المواجهة مع دعاة التغريب والتخريب عدة وسلاحاً ! وقد يخيل إلينا ان المعركة غير متكافئة ، ولكنها معركة طويلة الأمد ! وكما ان الفساد والانحراف بدا صغيراً ثم نما وكبر ! فكذلك الخير والهدى والصلاح ! يبدا صغيراً ثم ينمو ويكبر .. ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يملكون زمام امورهم ، ولا يخضعون في حاضرهم ومستقبلهم لأعدائهم ! □□

بقلم : مأمون فريز جرار

صدر

كتاب الأمة
Al Ummah

٦

المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري

الدكتور محسن عبد الحميد

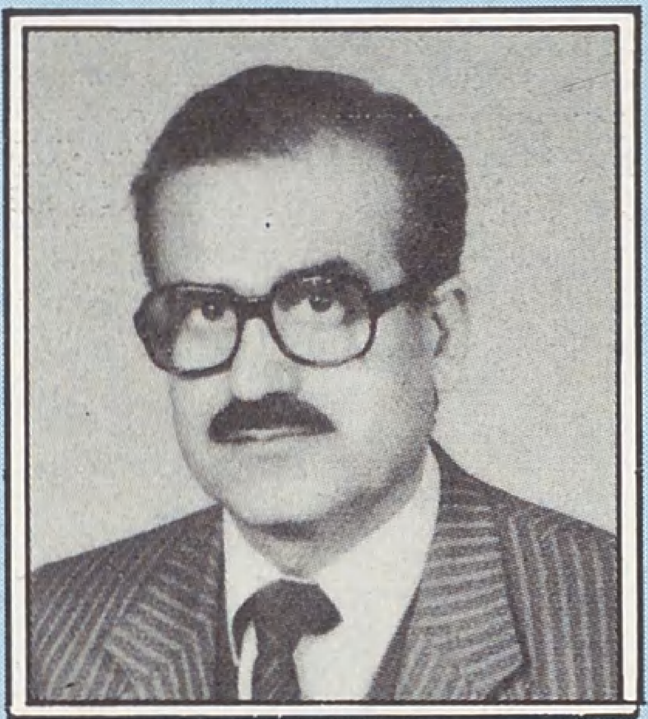

□□ إن الذين ينطلقون من منطلقات حضارية أخرى تتبع مذهبيات تتعارض في اسسها وخصائصها مع مذهبية الإسلام في التصور عن الله تعالى والعالم والإنسان يريدون ان يغيروا مجرى التاريخ، ويقطعوا الأمة عن خصائصها الحضارية واستمراريتها التاريخية، حتى تظهر امة اخرى غريبة عن ماضيها، تبدأ من الصفر ولا تمت إلى الإسلام وحضارته الربانية الإنسانية السامية بصلة ما ...

□□ إذا أردنا أن تتغير اوضاعنا الحضارية في ضوء المذهبية الإسلامية فلا بد ان تكون مصطلحاتنا الحضارية تعبر تعبيراً دقيقاً عن حقائقها وطبيعتها ووحدتها الداخلية ومنظومتها المتميزة، لان في ذلك الصفاء ووضوح الرؤية واستقامة المنهج، ولان التغيير الحضاري في اي مجتمع إذا قاده التلفيق بين مجموعات اصطلاحية تنتمي إلى منظومات حضارية مختلفة فإن التغيير يفقد التخطيط الموجه ويدخل في إطار الفوضى في الفكر والممارسة فيؤثر ذلك في كيان المجتمع كله ...

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

■■ كان الاستعمار الأوروبي يعمل جنباً إلى جنب مع التنصير وكلاهما يمهد السبيل للآخر ، ويضع كل إمكاناته تحت تصرفه ، وكان كبار الأساقفة يختارون للسلطة ومن ثَمَّ كان يصعب على المواطن الافريقي أن يفرق بين الموظفين الحكوميين وبين الأساقفة المنصِّرين . ولم يتحقق حلم الحكام والقادة الافريقيين في غربي أفريقيا ممن تقبل النصرانية لمصلحة ، إذ اتضح له أن المنصِّر مستعمر .. ■■

مجلة الأمة – Al Ummah

العدد ٤٤ السنة الرابعة شعبان ١٤٠٤ هـ